

بيان السعادة في مقامات العبادة

حاج سلطان محمد گنابادی

ملقب بسلطانعلیشاه







هو
۱۲۱

متن عربى

تفسير شريف
بيان السّعادة فى مقامات العبادة

تأليف

العارف الشّهير

سلطان محمّد الجنابذى سلطانعليشاه

مدنيّة بأسرها و قيل مدنيّه غير سبع اٰياتٍ فانّها نزلت بمكّة و هى قوله: و اذ يمكر بك الّذين كفروا، الى اخر هنّ و هى سبع او ستّ او خمس و سبعون اٰيةً

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْاَنْفَالِ﴾ جمع النّفل و هو الزّيادة و قد فسّرت فى بعض الاخبار بما هو مختصّ بالرّسول ﷺ و الامام ؑ ممّا لا يوجف عليه بخيلٍ و لا ركابٍ و بطون الاودية و الآجام و الاراضى الموات و المعادن و ميراث من لا وارث له و غير ذلك ممّا لا شركة لغيره فيه، و فسّرت فى بعضٍ آخر بالغنائم الّتى فيها الخمس للرّسول و البقيّة للمقاتلين، وورد انّها نزلت فى غنائم بدر حين اختلفوا فيها و تنازعوا و تشاجروا.
﴿قُلِ الْاَنْفَالُ لِلّٰهِ وَ الرَّسُولِ﴾ لا شراكة لغير الرّسول فيها فان فسّرت بالغنائم فهى منسوخة باٰية التّخميس و ان فسّرت بغير الغنائم فهى ثابتة ﴿فَاتَّقُوا اللّٰهَ﴾ و لا تطمعوا فيها و لا تختلفوا و لا تشاجروا و لا تريدوا اصلاح امر اللّه و رسوله فانّهم كانوا يوم بدر ثلاثة اصناف: صنف اغاروا على الغنائم، و صنف تخلّفوا عند رسول اللّه ﷺ، و صنف ذهبوا فى طلب العدوّ، و كان المال قليلاً و النّاس كثيراً و بعضهم ضعفاء و بعضهم اقوياء و كانت اوّل غنيمةٍ اخذوها فتكلّموا فيها و فى كيفيّة قسمتها و تنازعوا فى ذلك ﴿وَ اَصْلِحُوا ذٰاتَ بَيْنِكُمْ﴾ ما بينكم لا ما بين اللّه و الرّسول ﷺ و بينكم

فانّه لیس اصلاحه الیکم و ذات هی الّتی بمعنی الصّاحبة ثمّ استعملت فی مثل ذات الصّدور و ذات بینکم بمعنی ما فی الصّدور و ما بینکم لمصاحبة مافی الصّدور و کذا مافی البین لهما. ﴿وَ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ﴾ ولا تکلّموا فیما امره الیهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فانّ الایمان یقتضی تسلیم امر اللّٰه و تکلّمکم فی امر اللّٰه و رسوله ﷺ یورث الشّکّ فی ایمانکم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ تعلیل لما یفهم من الشّرط من الشّکّ فی ایمانهم او جواب لسؤالٍ ناشٍ من الشّرط کانّه قال قائل: ان کان هٰؤلآء مشکوکاً فی ایمانهم فمن المؤمن الّذی لا یشکّ فی ایمانه؟

فقال: انّما المؤمنون ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لذکره ﴿وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لکون قلوبهم خالیةً عن رین الاهویة فیؤثّر ذکر اللّٰه و آیاته فیها و قد مضی انّ الایمان له مراتب و درجات و انّه یزداد و ینقص ﴿وَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ عطف علی جملة الشّرط و الجزاء الواقعة صلة لعدم تقیّده بحینٍ دون حینٍ و للاشارة الی انّ التّوکّل لابدّ و ان یحصل آناً فآناً اتی بالمضارع دون الماضی.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ اشارة الی وصفی الایمان من التّولّی المعبّر عنه بالصّلوة و التّبرّی المعبّر عنه بالزّکوة، والانفاق و هما اساسا جملة الاعمال الصّالحة البدنیّة و هو بدل من الموصول او مبتدء مستأنف و خبره الجملة الآتیة او هو خبر مبتدءٍ محذوفٍ جواباً لسئوالٍ مقدّر.

﴿أُولٰئِكَ﴾ الموصوفون بما ذکر، و الاتیان باسم الاشارة البعیدة لاحضار هم بالاوصاف المذکورة لیکون کالتّعلیل للحکم و تعظیماً لهم ﴿هُمُ﴾

الْمُؤْمِنُونَ حَقّاًج ضمير الفصل و تعريف المسند للحصر و التّأكيد، يعنى انّ هٰؤلآء الّذين قرنوا بين صورة الايمان العامّ الّتى هى البيعة مع النّبىّ ﷺ بالبيعة العامّة و حقيقته الّتى تظهر بآثاره المذكورة الّتى هى تأثّر القلوب من آثار من آمنوا به و هو من لوازم المحبّة الّتى هى من لوازم صفاته الجماليّة و الاقرار به و تفويض الامور اليه الّذى هو من آثار صفاته الجلاليّة، هم المؤمنون الّذين لا يشكّ فى ايمانهم لا البايعون بالبيعة العامّة فقط من غير التّحقّق بحقيقته فانّ ايمانهم مشكوك فيه.

جلَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْج خبر بعد خبر او حال او استيناف جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ جوَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌج ذكر اوصافاً ثلاثة لهم هى امّهات ما يطلبه الانسان، الاوّل سعة المقام و لوازمها و للاشارة الى انّ الدّرجات ليست مغايرة لذواتهم بل هى شؤنهم و سعة ذواتهم قال تعالى فى آيةٍ اخرى هم درجات، والثّانى ستر المساوى و ما يلحقه منها، و الثّالث وجدان مايحتاج اليه.

جكَمَا اَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّج بالغاية الحقّة الثّابتة و هو اعلاء الدّين و اعزاز المؤمنين و انهزام المشركين او متلبّساً بالحقّ الّذى هو الولاية او متسبّباً عن الحقّ الّذى هوالولاية و هو كلام مستأنف لبيان ضعف يقينهم كما انّ ما سبق ايضاً كان لبيان ضعف يقينهم، والمراد بالاخراج الاخراج من مكّة او من المدينة لعير قريشٍ و غزو بدرٍ فانّهم كرهوا خروجه لعدم عدّتهم و هو متعلّق بقوله: يجادلونك يعنى كما كرهوا ان اخرجك ربّك من بيتك بالحقّ يكرهون القتال مجادلين فيه كأنّما يساقون حين الذّهاب الى القتال الى الموت، والاحتمالات الأُخر فى تركيبه بعيدة من سوق الكلام فانّه مسوق

لتمثيل حالهم فى كراهة القتال جهلاً بعاقبته بحالهم فى كراهة الخروج جهلاً بعاقبته و فى الاخبار اشارة الى انّه منقطع عمّا قبله منزل وحده.

﴿وَ اِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ الجملة حاليّة ﴿يُجَادِلُونَكَ فِى الْحَقِّ﴾ الّذى يستتبع غاية حقّة متحقّقة و هو القتال الّذى به ارتفع امر المؤمنين و تقوّوا بالغلبة و اخذالغنيمة و هو قتال البدر ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ الحقّ باعلام الرّسول انّ الغلبة لهم و مشاهدة صدق اخباره فى موارد عديدةٍ ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ اِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ اى الى الموت و ذلك انّه اخبرهم الرّسول ﷺ بعير قريشٍ و انّ اللّه وعدهم عير قريشٍ فخرجوا من المدينة، ثمّ اخبرهم انّ قريشاً خرجوا لحماية العير و انّ اللّه وعده النّصرة على قريشٍ فكرهوا معارضة قريشٍ لقلّة عددهم و عددهم فجادلوه فى ذلك لضعف يقينهم.

﴿وَ اِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ﴾ عطف على بعد ماتبيّن اوبتقدير اذكروا عطف على جملة كما اخرجك (الى آخر الآية) فانّه فى معنى اذكروا وقت خروجكم و مجادلتكم كأنّه قال: اذكروا اذ أخرج اللّه نبيّه ﷺ من بيته و كراهتكم له والحال انّ فيما كرهتموه اعلاء كلمتكم واذكروا اذ يعدكم اللّه. ﴿اِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ اَنَّهَا لَكُمْ﴾ و تكرهون قريشاً ﴿وَ تَوَدُّونَ اَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ السّلاح ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ وهو العير فانّه لم يكن فيها كثرة عددٍ و لا كثرة سلاح بخلاف قريش فانّ عددهم كان قريباً من الالف و كلّهم كانوا شاكى السّلاح.

﴿وَ يُرِيدُ اللّهُ اَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ يثبّته و يظهره ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ بخلفائه و اتباعهم ﴿وَ يَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ بالاستيصال بحيث لا يبقى

منهم اثر ولا عقب ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْبٰاطِلَ﴾ يعنى انّ نفس احقاق الحقّ هو المطلوب منه لا امر آخر فهو من قبيل ما كان الفعل مطلوباً لنفسه لا مقدّمة لامرٍ آخر فكأنّه قال: يريد اللّه ان يحقّ الحقّ لنفس احقاق الحقّ.

﴿وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ ظرف لقوله يريد اللّه او لقوله كره المجرمون اوبدل من قوله اذيعدكم احدى الطّائفتين بدل الاشتمال فانّ الوعد كان فى المدينة والاستغاثة حين القتال و مشاهدة قلّتهم و عدم عدّتهم و كثرة العدوّ عدّةً و عُدّةً.

﴿فَاسْتَجٰابَ لَكُمْ اَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ بعضهم بعضاً او مردفين لكم من اردفه اذاتبعه ﴿وَ مٰا جَعَلَهُ اللّٰهُ﴾ اى الامداد ﴿إِلّٰا بُشْرىٰ﴾ اى لكم بانجاز الوعد بالنّصر ﴿وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا النَّصْرُ اِلّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ﴾ و لكنّكم لضعف يقينكم و توكّلكم لا تنظرون الّا الى الاسباب ولذا اجرى النّصر بتوسّط الاسباب.

﴿اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعٰاسَ اَمَنَةً مِنْهُ﴾ ظرف لقوله استجاب او لممدّكم اولمردفين او لجعله اللّه او لتطمئنّ اولقوله من عند اللّه على الانفراد او على سبيل التّنازع، و يحتمل ابداله من قوله اذيعدكم و قوله اذ تستغيثون بدل اشتمال.

﴿وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الحدث و الخبث ﴿وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطٰانِ﴾ الجنابة او وسوسته و تخويفه عن العطش، روى انّهم نزلوا فى كثيبٍ اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماءٍ فناموا فاحتلم اكثر هم و قد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشّيطان و قال: كيف تنصرون و قد غلبتم على الماء و انتم تصلّون محدثين و

تزعمون انّكم اولياءاللّه و فيكم رسوله فأشفقوا.

فأنزل المطر فمطّرو ليلاً حتّى جرى الوادى و اتّخذوا الحياض على غدوته و سقوا الرّكاب و اغتسلوا و توضّأوا و تلبّد الرّمل الّذى بينهم و بين العدوّ حتّى ثبتت عليه الاقدام و زالت الوسوسة جوَ لِيَرْبِطَ عَلٰى قُلُوبِكُمْج لمّا كان ربط القلوب تنزيلاً من اشرف خصائل الانسان و المرابطة تأويلاً من آخر مقامات السّلّاك كرّر اللّام اشارة الى انّه مغاير مع سابقيه شرفاً و رتبةً و المعنى و ليربط المحبّة على قلوبكم اوليربط الولاية الحقيقيّة الّتى هى مثال النّبىّ اوالولىّ على قلوبكم جوَ يُثَبِّتَ بِهِج اى بالمطر تنزيلاً و بالرّبط تأويلاً جاْلاَقْدٰامَج البدنيّة على التّراب لتلبّده و على الدّين لوصولكم الى مطلوبكم جاِذْ يُوحِى رَبُّكَ اِلَى الْمَلاٰئِكَةِج يجوز ان يكون ظرفاً لكلّ من الافعال المذكورة من قوله يغشّيكم الى قوله يثبّت به الاقدام منفرداً او على سبيل التّنازع، و يجوز ان يكون بدلاً من اذالاولى و من اذ الثّانية و الثّالثة جاَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ اٰمَنُواج يعنى لست مخالفكم فى التّثبيت حتّى لايتيسّر لكم التّثبيت. جسَاُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَج اعانة لكم فى التّثبيت حتّى يتمّ لكم امره جفَاضْرِبُوا فَوْقَ الْاَعْنٰاقِج حتّى اطرقوا رؤسهم او فاقطعوا رؤسهم جوَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنٰانٍج رؤس الاصابع، و تكرار اضربوا و اضافة لفظة فوق من التّطويل المطلوب فى مقام اشتداد الغضب و تنزيل ضرب البنان واضح و تأويله عبارة عن ضرب بنان نفوسهم الخبيثة الّتى بها يثلمون دين الاسلام و عقائد ضعفاء المسلمين.

جذٰلِكَج التّشديد الشّديد عليهم جباَنَّهُمْ شٰاقُّوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشٰاقِقِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَاِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ ذٰلِكُمْج ايها

الكافرون فهو التّفات و هو من باب الاشتغال و تخلّل الفاء بتقدير امّا او توهّمها و هو مبتدء محذوف الخبر اى ذلكم لكم او مفعول فعل محذوف اى خذوا ذلكم او هو اسم فعل بمعنى خذوا الغلبة استعماله بعد حذف الفعل فى هذا المعنى.

جفَذُوقُوهُ وَ اَنَّ لِلْكافِرينَ عَذابَ النّارِج شأن نزول الآية و قصّة بدر مذكور فى الاخبار و يكفى منها للاطّلاع عليها ما فى الصّافى.

جيا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اِذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا زَحْفاًج كثيراً، و الزّحف العسكر لانّهم يزحفون اى يدبّون جفَلا تُوَلُّوهُمُ الْاَدْبارَ وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍج يوم اذلقيتم الّذين كفروا زحفاً.

جدُبُرَهُ اِلّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍج طالباً حرفاً من محلّ القتال للتّمكّن من المقاتلة او للاحتيال مع العدوّ ليتخيّل انّه انهزم ليكيد بالعدوّ جاَوْ مُتَحَيِّزاً اِلى فِئَةٍج للاستغاثة بهم جفَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَ مَأْويهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصيرُج هذه احدى الكبائر الّتى توعد عليها النّار و هو المسمّى بالفرار من الزّحف، و لمّا ذكّر المؤمنين نصرة الملائكة و معيّته تعالى للملائكة و امره لهم بالضّرب فوق الاعناق و ضرب كلّ بنان و توهّم انّ المؤمنين لادخل لهم فى القتال و فرارهم و ثباتهم و مجاهدتهم و قعودهم متساوية استدرك ذلك التّوهّم.

بانّ فعل الملائكة لا يظهر الّا بالمظاهر البشريّة فانتم و ان لم تكونوا فاعلين حقيقة لكنّكم مظاهر فعل الملائكة فاذا لقيتم الّذين كفروا فلا تولّوهم الادبار حتّى يجرى قدر اللّه و فعل الملائكة بتوسّطكم ثمّ اثبت مقتضى نصره بالملائكة و امره ايّاهم بالقتل و الضّرب فقال: اذا كان القتل بالملائكة و النّصرة

بهم.

جفَج انتم جلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ قَتَلَهُمْج ثمّ صرف الخطاب الی نبیّه ﷺ و قال :جوَ مٰا رَمَیْتَ اِذْ رَمَیْتَ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ رَمیٰج

اعلم، انّ حقّ هذه العبارة الّتی هی فی مقام قصرالقلب اوالافراد ان یقال: فانتم لم تقتلوهم و لکنّ اللّه قتلهم و ما انت رمیت و لکنّ اللّه رمی، ثمّ حقّ القرینتین ان تکونامتوافقتین و قداختلفتا فی اداة النّفی و ذکر المفعول و حذفه و مضیّ الفعل و مضارعته و اثباته لمن نفی عنه و عدمه؛ والوجه فی ذلك انّ الانسان له وجهة الٰهیّة بها فاعلیّته و وجهة نفسیّة بهاینسب الافعال الی نفسه و قد یرتفع عنه بالرّیاضات و المجاهدات اذا کان سالکاً الی اللّه وجهته النّفسیّة بحیث لایری من نفسه اثراً فی البین ولا یری فی الوجود الّا اللّه و وجهته.

فحینئذٍ یصحّ سلب الافعال عنه حقیقة و فی نظره ایضاً لانّه لایری لنفسه وجوداً ولا اثراً، ویسمّی هذا المقام فی اصطلاحهم مقام الفناء، فاذا صحامن فنائه و غشوته صارباقیاً باللّه لا بنفسه یعنی یری للوجود مراتب و لکن لایری للحدود وجوداً فیری وجوده مرتبةً من وجود اللّه لامبایناً لوجود اللّه، فحینئذٍ یری لمرتبة نفسه وجوداً هووجود اللّه فی تلك المرتبة و هو المسمّی بالبقاء باللّه.

فیصحّ منه نسبة الوجود الی نفسه و نسبة اثرالوجود الیها حسب استشعاره لمراتب الوجود لکن نسبة اثرالوجود حینئذٍ غیرالنّسبة الّتی کانت قبل الفناء، وان لم یصحُ من فنائه فلم یکن نسبة للفعل الیه فی نظره لانّه لایری فی الوجود الّا اللّه ولایری الفعل الّا من اللّه، و قد یذهل عن وجهته النّفسیّة باسبابٍ خارجةٍ و عوارض طاریةٍ کغلبة الخوف و الغضب والفرح و غیرذلك،

و حينئذٍلا يستشعر بنفسه و لا بفعل نفسه و لا يصحّ نسبة الفعل اليه فى نظره كمن يرى فى حال اشتغاله من كان فى مقابله و لا يستشعر برؤيته بل ينفى الرّؤية عن نفسه؛ اذا تقرّر هذا فنقول: انّ المؤمنين فى حال القتال ذهلوا عن انفسهم لغلبة الدّهشة عليهم بحيث لم يستشعروا بانفسهم و لا بفعل أنفسهم بل كانت الملائكة تقلّبهم و توقع الحركة فيهم و تظهر صورة القتال على ايديهم فلو قال تعالى: انتم لم تقتلوهم كان اثباتاً لنفسيّة لهم و نفياً للفعل عنهم؛ و كذا لو قال: اذقتلتموهم كان اثباتاً للفعل و النّفسيّة جميعاً لهم، و الحال انّه لم يكن فى نظرهم نفسيّة لأنفسهم و لا فعل و ايضاً لو قال: ماقتلتموهم، كان اشعاراً بنفسيّةٍ ما لهم حيث صرّح بالفاعل بخلاف لم تقتلوهم، فانّ الواو و ان كان ضميراً لكنّه مشترك بين الغائب و الحاضر و حرف الاعراب فكأنّه غير مصرّح بالفاعل، و الرّسول (ص) لمّا كان له نفسيّة بنفسيّة اللّه و بقاء ببقاء اللّه اتى بالماضى المصرّح بالفاعل ثمّ اثبت له الفعل المنفىّ و لم يقدّم المسند اليه ههنا لانّه يقتضى المقابلة للّه او المشاركة معه و كلاهما منتفٍ فى الواقع و فى نظره (ص)، لانّ نفسيّته لم تكن الاّ بنفسيّة اللّه و منه يظهر وجه اختلاف اداتى النّفى ايضاً.

و امّا وجه الاختلاف بذكر المفعول و حذفه فهو انّ القتل ظهر على ايديهم و بحسب اقتضاء ظهوره فى المظاهر البشريّة وصل الى المقتولين بخلاف الرّمى، فانّه و ان ظهر على يده (ص) اذ روى انّه (ص) اخذ كفّاً من الحصا بوحيٍ من اللّه و قرأ: شاهت الوجوه للحىّ القيّوم، و رماه فلم يبق احدٌ الّا اشتغل بعينه لكنّ القوّة القسريّة المودعة فى الحصا من المظهر البشرىّ لم تقتض سعة كفٍّ من الحصا نحواً من الف رجلٍ و لا انحرافها الى كلّ فى كلّ ناحية، فالرّمى كان منه بحسب مظهريّته و الايصال الى المشركين لم يكن منه لا حقيقةً و لا

بحسب مظهريّته فأسقط المفعول هنا اشعاراً بانّ اصل الرّمى ظهر على يده و لكنّ الايصال الى المشركين لم يجرعلى يده.

جوَ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاٰءً حَسَناًج اتى بالعاطف مع انّ المقصود انّ اللّه قتل و رمى ليبلى المؤمنين لانّ المقصود من الاوّل نفى القتل و الرّمى عنهم و اثباته لنفسه تعالى مع قطع النّظر عن السّبب و الغاية ولواتى بالقيدلا و هم انّ المراد نفى الفعل عنهم مقيّداً بالغاية المخصوصة و اثباته كذلك، مع انّه لم يكن المقصود الّا نفى اصل الفعل و اثباته فهو معطوف على قوله لكنّ اللّٰه قتلهم و رماهم بتقدير قتلهم او هو خبر مقدّم لقوله ذلكم و المعنى انّه قتلهم و رماهم لينعم على المؤمنين نعمة حسنة من الغنيمة و اعلاء الكلمة،اوالمعنى ليختبر المؤمنين من قبله اختباراً حسناً لا تعب فيه و لانحراف عن الحقّ يعتريه ابتلاهم بمجاهدة الاعداء مع قلّة عددهم و كثرة العدوّ، و كونه اختباراً و امتحاناً واضح ، وكونه حسناً لحسن عاقبته بحصول قوّة القلب لهم و قوّة الايمان مع الغلبة و اعلاء الكلمة والغنيمة الوافرة و فداء الاسرى، و لعلّ هذاكان اوفق بسياق العبارة و معانى اللّغة فانّ الابلاء و البلاء بمعنى الاختبار كثير الاستعمال و بمعنى الانعام لم يذكره بعض اللّغويّين.

جاِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌج لدعاء النّبىّ ﷺ و استغاثة المؤمنين جعَلِيمٌج بما يصلحهم من الانعام و عدمه او انّ اللّه سميعٌ لمقالتهم للنّبىّ ﷺ و كراهة المقاتلة عليم بما هو صلاحهم من الجهاد مع العدوّ و معارضة العير و الغارة عليهم.

جذٰلِكُمْج البلاء او القتل و الرّمى و هو مبتدأ مؤخّر او خبر مبتدءٍ محذوفٍ جوَاَنَّ اللّٰهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكٰافِرِينَج عطف على يبلى او على

ذلكم جاِنْ تَسْتَفْتِحُوا ج ايّهاالكافرون على ان يكون الخطاب لمشركى مكّة كما قيل: انّهم وقت الخروج من مكّة لغزو بدرٍ تعلّقوا بأستار الكعبة و طلبوا الفتح والنّصرة على محمّدٍ ﷺ و نقل ايضاً انّ ابا جهلٍ استفتح يوم بدر و طلب النّصرة من اللّه و قيل الخطاب للمؤمنين.

جفَقَدْ جٰاءَكُمُ الْفَتْحُج تهكّماً جوَ اِنْ تَنْتَهُوا ج عن معاداة الرّسول ﷺ و جحوده جفَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ج يعنى هوالمختار و ليس المقصود اعتبار التّفضيل، او التّفضيل مقصودبالنّسبة الى اعتقادهم.

جوَ اِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاًج اى اغناءً او ضرّاً كما لم تغن هذه الكثرة جوَلَوْ كَثُرَتْ وَاَنَّ اللّٰهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ج الجملة حاليّة على قراءة انّ بالكسر، و على قراءة انّ بالفتح فهى معطوفة على شيئاً يعنى لن تغنى عنكم فئتكم ضرّاً و لا كون اللّه مع المؤمنين الّذى هو سبب هزيمتكم و ضرّكم.

جيٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا ج بعد ماذكر معيّته للمؤمنين و نصرتهم بالملائكة ناداهم تلطّفاً بهم و ترغيباً لهم فى طاعة الرّسول ﷺ الّتى هى ملاك الايمان و تحذيراً عن مخالفته الّتى هى تنافى الايمان.

جاَطِيعُوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ لاٰ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ اَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ج تلك المواعظ و معيّة اللّه و نصرته، و لمّا كان طاعة اللّه بطاعة الرّسول ﷺ لم يكرّر الفعل و افرد الضّمير المجرور.

جوَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قٰالُوا سَمِعْنٰا ج سماع لفظٍ كالحيوان جوَ هُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ ج سماع المعنى كالانسان.

جاِنَّ شَرَّ الدَّوٰابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الصُّمُّ ج عن المقصود جالْبُكْمُ ج

عن التّنطّق بالحقّ المقصود من السّماع جاَلَّذِينَ لاٰ يَعْقِلُونَجالمقصود من اشارات المسموع.

جوَلَوْ عَلِمَ اللّٰهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْج هذه الشّرطيّة لانتفاء الثّانى لانتفاء الاوّل كما هو اكثر موارد استعمال لولغةً و ليست لمحض بيان الملازمة بين التّالى و المقدّم كما هو طريقة استعمال المنطقيّين.

جوَلَوْ اَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَج هذه الشّرطيّة لبيان الملازمة بين التّالى و المقدّم الّذى هو ضدّ ملزوم التّالى مع الاشعار بتحقّق ملزومه الواقعىّ مبالغة فى تحقّق التّالى مثل: لولم يخف اللّه لم يعصه، فليست القضيّتان على طريقة استعمال الشّرطيّات فى المنطق و اقيستها حيث يظنّ انّهما صورة قياسٍ اقترانيٍ من الشّكل الاوّل، ولو سلّم فالكبرى مهملة غير منتجة فالبحث بانّه قياس من الشّكل الاوّل وينتج: لو علم اللّه فيهم خيراً لتولّوا، ساقط من اصله، ولو سلّم صحّة القياس فالنتيجة صحيحة من قبيل: لولم يخف اللّه لم يعصه.

جيٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ اِذٰا دَعٰاكُمْ لِمٰا يُحْيِيكُمْج بالحيوة الانسانيّة و هو الايمان الخاصّ الحاصل بالولاية الّتى هى سبب دخول الايمان فى القلب الّذى هو سبب حيوة القلب، فالمعنى اذا دعاكم الرّسول صلّى الله عليه وآله لولاية علىّ عليه السلام و دعاؤه دعاء اللّه فاستجيبوه، و قد فسّر فى الاخبار بولاية علىّ عليه السلام و السّرّ فى ذلك انّ حيوة الانسان بانفتاح باب قلبه الى دار الحيوان و وصول اثر الحيوة من تلك الدّار اليه و هو الايمان الدّاخل فى القلب، و انفتاح باب القلب و وصول اثر الحيوة اليه لا يتصوّر الّا بالولاية الّتى هى الاتّصال بولىّ الامر الّذى هو الحىّ بالحيوة الاخرويّة و باعطاء اثر الحيوة

بنفخته فى القلب بتلقين الذّكر الّذى هو سبب انفتاح بابه.

جوَ اعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِجِ اى يصير حائلاً بين المرء و نفسه فان اراد سعادة المرء يمنع من وصول اثر عصيانها اليه لئلّا يقوده الى النّار، وان اراد شقاوته يمنع من وصول اثر طاعتها اليه لئلّا يقوده الى الجنّة، او يصير حائلاً بين المرء وقلبه الّذى به خيراته و حيوته الحقيقيّة فيمنع ان شاء من وصول اثر الحيوة الانسانيّة اليه، او يصير حائلاً بينه و بين النّفس لئلّا يعلم انّ الحقّ باطل و الباطل حقّ، اويصير حائلاً بين المرء حين اشتهى شيئاً من مشتهياته و بين قلبه الّذى فطر على الحقّ حتّى لا يخرج المشتهيات المرء عن الحقّ الى الباطل اويصير حائلاً بين المرء و نفسه اى مشتهياتها، فلايدع المرء ان يتّبع مشتهيات النّفس او يوقع الحالات بين المرء و قلبه يعنى بيده تسخير الاحوال او يتردّد بين المرء و قلبه فيعلم خفيّات احوالهما اويتردّد بين المرء و قلبه فيوصل الحيوة الابديّة الى المستجيب و يمنعها من غيرالمستجيب، والمقصود على كلّ المعانى التّحذير عن ترك الاستجابة و التّرغيب فى الاستجابة، و فى الاخبار تصريح بالبعض و تلويح الى البعض الآخر.

جوَ اَنَّهُ اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاٰ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاٰصَّةًجِ لا تصيبنّ صفة لفتنة فانّ المقصود التّحذير عن فتنةٍ مخصوصة مقيّدة لا فتنةٍ ما، و لا الفتنة المطلقة فانّ الاولى لا يتعلّق بها غرض والثّانية يناسبها التّعريف باللّام، ولا تصيبنّ منفىّ مؤكّد بالنّون يجبر شذوذ تأكيده بالنّون بمطلوبيّة المبالغة فيه او منهىّ مقدّر بالقول، و فيه وجوه اخر بعيدة عن اللّفظ غير متعلّق بها غرض معنوىّ.

اعلم، انّ الظّلم عبارة عن منع الحقّ عن المستحقّ وايصاله الى غير المستحقّ و هذاالمعنى لااختصاص له بشيءٍ دون شيءٍ و شخصٍ دون شخصٍ و حقّ دون حقّ، فمنع الاطفال والنّسوان و الاراذل عن مشتهياتهم ظلم بوجهٍ و ان كان عدلاً بوجهٍ و لذا ورد ثلاثةٌ ان لم تظلموهنّ ظلموك: النّساء والصّبيان والسّفلة، و منع النّفس و قواها عن مشتهياتها ظلم بوجهٍ وبالنّسبة اليها و ان كان بالنّسبة الى اللّطيفة الانسانيّة عدلاً «ظلم بين كز عدلها گو ميبرد» و منع النّفس من حكومة العقل و الانقياد تحت امره ظلم، و منعها من الانقياد تحت حكومة نبيّ الوقت بالبيعة العامّة ظلم، و حقيقة الظّلم واصله و ملاكه هو منع اللّطيفة الانسانيّة من قبول الولاية و بواسطته يتحقّق حقيقة الظّلم فى كلّ ظلم، و لولاه لم يكن الظّلم ظلماً، و ان كان بصورة الظّلم كقتل محمّد ﷺ و نهبه و اجلائه كثيراً من مخالفيه و كقتل عليّ عليه السلام النّاكثين والمارقين والقاسطين ولكونه بصورة الظّلم حملوه على الظّلم و قالوا فيه ما قالوا و فعلوا ما فعلوا حتّى قتلوه.

و لولاالولاية لم يكن عدل و ان كان الخالى عن الولاية بصورة العدل كفعل معاوية و عدله فى الامّة، و المقصود من الّذين ظلموهم الّذين كانوا من امّة محمّد ﷺ و بايعوا بالبيعة العامّة بقرينة قوله منكم خطاباً للامّة و ظلموا بمنع الاسلام عن حقّه الّذى هوالهداية الى الايمان و ترك مودّة ذوى القربى الّتى هى غاية التّبليغ، والبيعة كأنّ غيره من الخطايا لاتعدّ ظلماً منهم.

و ايضاً التّقييد بقوله منكم و اعتبار حيثيّة القيد يشعر به، فالظّلم الّذى هو بعد الدّخول تحت حكومة النّبيّ ﷺ من حيث هو بعد الدّخول المذكور ليس الّا منع اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة عن الدّخول تحت حكم وليّ الامر بالبيعة

الخاصّة الّتى بها يدخل الايمان فى القلب و بها يتحقّق حقيقة العدل فى كلّ عدلٍ و بها ينفتح باب القلب الى الملكوت، وبها يمكن السّير على الطّريق المستقيم الى اللّه.

والمراد بالفتنة المقيّدة هوالانحراف عن ولىّ الوقت فانّ من كان واقفاً على البيعة العامّه كان ظالماً على اللّطيفة الانسانيّة والفتنة المصيبة لهم هو الوقوف والانحراف عن البيعة الخاصّة مع ولىّ الوقت الّذى هو علىّ عليه السلام و هى الفتنة المجاوزة عنهم الى المبتاعين بالبيعة الخاصّة مع محمّد صلى الله عليه وآله بعد رحلته والمبتاعين بالبيعة الخاصّة مع علىّ عليه السلام بعد رحلته و الى المبتاعين بالبيعة الخاصّة مع الحسن عليه السلام بعد رحلته و هكذا الى انقراض العالم. و تفسير الفتنة بما يصل اثره الى غير الفاعل كالغيبة و البدعة و غيرهما يناسب ظاهر التّنزيل و اللّفظ لكن ليست هى المقصوده؛ وقد ورد فى الاخبار الاشعار بماذكرنا غاية الامر انّها داخلة تحت الآية من باب سعة وجوه القرآن.

جوَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ شَديدُ الْعِقٰابِج فاتّقوا مطلق الفتنة خصوصاً الفتنة المذكورة الّتى هى اصل كلّ الفتن جوَاذْكُرُوا اِذْ اَنْتُمْ قَليلٌج من حيث العدد او من حيث المال و لفظ قليلٌ قد يفرد و قد يجمع جمُسْتَضْعَفُونَ فِى الْاَرْضِج تذكيرٌ لهم بنعمه والمراد ضعفهم قبل المهاجرة جتَخٰافُونَ اَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النّٰاسُج من قريش جفَاٰويٰكُمْج الى المدينة جوَ اَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبٰاتِج من الغنائم و غيرها جلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَج و جعل الخطاب للعرب تماماً وجعل ضعفهم ذلّتهم عند الرّوم و العجم بعيدٌ جدّاً.

جيٰا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا لاٰ تَخُونُوا اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا

اَمٰانٰاتِكُمْج ان كان نزوله فى ابى لبابة بن عبد المنذر الانصاريّ فى غزوة بنى قريظة و مشورتهم له فى نزولهم على حكم سعدبن معاذٍ كما قرّره الرّسول ﷺ و قوله لهم: ان تنزّلوا على حكمه تقتلوا، كما فى الاخبار فالمقصود عامّ و المراد بخيانة اللّه و الرّسول ﷺ هو خلاف ما أظهر للرّسول ﷺ فى البيعة و الميثاق من عدم مخالفته ظاهراً و باطناً و ارادة خير المؤمنين كذلك.

و المراد بالامانات امّا الامانات التّكوينيّة الّتى اصلها و اسّها و ملاكها الامانة المعروضة على السّماوات و الارض، الّتى هى اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة المستتبعة لتمام القوى الانسانيّة المستلزمة لتمام التّكاليف الشّرعيّة النّبويّة و الاصليّة الولويّة الحاصلة منها تمام المراتب الانسانيّة، او الامانات التّكليفيّة الولويّة القلبيّة من الذّكر المأخوذ من ولىّ الامر و سائر ما يؤخذ، او الامانات التّكليفيّة النّبويّة المأخوذة من نبىّ الوقت من الاعمال القالبيّة الشّرعيّة، و تخونوا امّا معطوف على المنهىّ فيكون كلّ نهياً مستقلّاً او بتقدير ان بعد الواو بمعنى مع فيكون مشعراً بمعيّة الثّانى للاوّل معيّة المسبّب للسّبب.

جوَ اَنْتُمْ تَعْلَمُونَج اى تشعرون غير غافلين و وجه التّقييد بالحال الاشارة الى انّ الانسان قلّما ينفكّ عن غفلة عمّا امر به و انّه خيانة بوجهٍ ما، لكنّه غير مضيّق عليه و غير مشدّد عليه مثل عدم الغفلة، و لمّا كان الخيانة كثيراً ما تقع بسبب الاموال و الاولاد فانّ الانسان يدع دينه لاولاده عقّبه بذمّ الاموال و الاولاد.

فقال: جوَ اعْلَمُوا اَنَّمٰا اَمْوٰالُكُمْ وَ اَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَةٌج امتحان لكم من اللّه هل تشغلون بها عن اماناتكم ام تثبتون معها على اماناتكم فمن شغل بها خلص شقاوته و من ثبت على اماناته استحقّ اجراً عظيماً لخلوص سعادته

جوَ اَنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ اَجْرٌ عَظِيمٌج لمن ثبت و خلص عن الفتنة سالماً، اوالمعنى و اعلموا انّما اموالكم و اولادكم فتنة و فساد لكم فلا تغترّوا بها و انّ اللّٰه عنده اجرٌ عظيمٌ فاطلبوه منه بترك الاشتغال بالاموال و الاولاد.

جيٰا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا جبالايمان العامّ جاِنْ تَتَّقُوا اللّٰهَج فى مخالفة الرّسول ﷺ جيَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقٰاناًج نوراً فارقاً بين الحقّ و الباطل و هو نورالولاية، فالمراد بالتّقوى هى التّقوى المتقدّمة على الايمان الخاصّ، او ان تتّقوا اللّٰه فى الانحراف عن الطّريق المستقيم الى الطّرق النّفسانيّة المعوجّة بالولاية و الايمان الخاصّ الدّاخل فى القلب بالبيعة الخاصّة الولويّة فانّ حقيقة التّقوى و هى التّحفّظ عن الانحراف الى الطّرق النّفسانيّة لا تحصل الّا بالوصول الى الطّريق الى اللّٰه بالولاية، يجعل لكم فرقاناً و تميزاً بين الحقائق و حدودها و اصيلها و اعتباريّها فالمراد بالتّقوى التّقوى الحقيقيّة الحاصلة بالايمان الخاصّ.

اعلم، انّ حقيقة التّقوى و هى التّحفّظ عن اتّباع النّفس فى الصّغير و عن اتّباع اصل الشّرور و اظلاله فى الكبير لا تحصل الّا باتّباع العقل فى الصّغير و باتّباع علىّ عليه السلام فى الكبير و اتّباع العقل ايضاً لا يحصل الاّ باتّباع علىّ عليه السلام و قبول ولايته بالايمان الخاصّ.

لانّ الانسان مالم يدخل فى الولاية ولم يدخل الايمان فى قلبه لا ينفتح باب قلبه و كلّ ما فعل باعتقاده من آثار التّقوى كان صدوره من نفسه و غايته راجعةً الى نفسه، فما تصوّره انّه كان تقوى لم يكن تقوى، واذا قبل الولاية بشرائطها المقرّرة عندهم انفتح باب قلبه و اقبل الى الوحدة و ادبر عن الكثرة و حصل له امتثال امراللّٰه بالاقبال عن الكثرة.

فكلّما فعل من هذه الجهة كان تقوى من طرق النّفس والكثرة مغيّيً بالوحدة، فكلّما قرأ آية من آيات الايمان و هوالقرآن رقى درجة من درجات الايمان و هى درجات الجنان، وكلّما رقى درجةً من درجات الايمان حصل له نور به يبصر الكثرات واعتباريّتها والوحدة واصالتها حتّى اذا وصل الى آخر مراتب التّقوى و هوالفناء الذّاتىّ و التّقوىّ الحقيقيّة حصل له آخر مراتب الفرقان و هوالحشر الى اسم الرّحمن والمالكيّة لما سوى الرّحمن وكأنّه للاشارة الى حصول الفرقان بتدريج الارتقاء اتى بالمضارع الدّالّ على الحصول بالتّدريج، اوالمراد ان تنتهوا فى تقوى اللّه بالفناء من انفسكم يجعل لكم فرقاناً حاصلاً بالحشر الى الرّحمن و هذا الفرقان هوالنّبوّة او الرّسالة او الخلافة.

جوَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْج الّتى تحتاج الى التّعمّل فى الزّوال الّتى هى الحدودالظّلمانيّة والتّعيّنات الّتى هى مساوى الانسان اذ بعد حصول الفرقان لايرى الّا مراتب الوجود الّتى هى مراتب النّور لا حدوده الّتى هى مراتب الظّلمات الّتى بعضها فوق بعض.

جوَ يَغْفِرْ لَكُمْج مساويكم الّتى لا تنفكّ عن الانسان و هى تبعة المراتب و نقائصها جوَاللَّهُ ذُوا الْفَضْلِ الْعَظِيمِج من قبيل اقامة السّبب مقام المسبّب اى و يتفضّل عليكم لانّ اللّه ذوالفضل العظيم ذكر اوصافاً اربعةً: النّور الفارق، و تكفيرالمساوى. وازالتها بواسطة النّور و غفران الصّغائر، والفضل العظيم الّذى لا يحدّ و لا يوصف.

جوَ اِذْ يَمْكُرُ بِكَج واذكر او ذكّر اذ يمكر بك جاالَّذِينَ كَفَرُواج تذكيرٌ لما انعم عليه من النّجاة مع غاية مكر قريش حين اجتمعوا و تشاوروا

فى دار النّدوة و اجتمع رأيهم على قتله بالاتّفاق حتّى يكون من كلّ قبيلةٍ رجل فيتفرّق دمه على القبائل ولايتيسّر لبنى هاشمٍ القصاص، و قصتّهم مذكورة فى الصّافى و غيره.

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ بالحبس ﴿اَوْ يَقْتُلُوكَ اَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ﴾ و اذ يمكرون بأىّ نحو يتصوّر فهو معطوف على يمكر او هو عطف باعتبار المعنى كأنّه قيل: مكروا و مكرالله و يمكرون فى الحال.

﴿وَ يَمْكُرُ اللّٰهُ﴾ بأخذهم من حيث لايعلمون او هو استيناف ﴿وَ اللّٰهُ خَيْرُ الْمٰاكِرِينَ﴾ من حيث لايمكن الاطّلاع على سبب اخذه لغاية خفائه و من حيث لايتخلّف المقصود من مكره.

﴿وَ اِذٰا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيٰاتُنٰا﴾ عطف على يمكرون ﴿قٰالُوا قَدْ سَمِعْنٰا﴾ استهزاءً ﴿لَوْ نَشٰاءُ لَقُلْنٰا مِثْلَ هٰذٰا﴾ قيل قائله النّضربن الحارث بن كلدة الّذى قتل يوم بدرٍ بعد اسره على يد علىّ عليه السلام.

﴿اِنْ هٰذٰا اِلاّٰ اَسٰاطِيرُ الْاَوَّلِينَ﴾ اسمار الاوّلين فانّه يكنّى بالاساطير عنها ﴿وَاِذْ قٰالُوا اللّٰهُمَّ اِنْ كٰانَ هٰذٰا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنٰا حِجٰارَةً مِنَ السَّمٰاءِ اَوِائْتِنٰا بِعَذٰابٍ اَلِيمٍ﴾ قيل: قائله كان بمكّة قبل الهجرة حين ادّعى النّبىّ صلى الله عليه وآله النّبوّة و وعد قريشاً انّهم يملكون بتصديقه صلى الله عليه وآله ملوك الارض و قائله كان النّضر او اباجهلٍ، و قيل: قائله ابوجهل يوم بدرٍ، و قيل: قائله كان بغدير خمّ، و قيل: بمدينة بعد غدير خمّ.

﴿وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ اَنْتَ فِيهِمْ وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يعنى انّ لهم امانين من عذاب الله انت و الاستغفار، فما دمت فيهم لم يعذّبهم، و ماداموا استغفروا ايضاً لم يعذّبهم، و تكرار الفعل و

اختلافهما فى الخبر للاشارة الى انّ كلاً منهما امان بالاستقلال و الاوّل اتمّ و اقوى فانّ الاتيان بلام الجحود فى خبر كان للمبالغة جوَ مٰا لَهُمْ اَلاّٰ يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُج يعنى انّ امهال اللّه ايّاهم ليس بسبب من انفسهم بل ليس من قبل انفسهم الّا استحقاق العذاب جوَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِج يعنى يمنعون النّاس عن البقعة المخصوصة او عن نبوّة النّبىّ ﷺ و يمنعون النّاس فى العالم الصّغير عن الدّخول فى المسجد الحرام الّذى هو الصّدر المتّصل بالقلب او يعرضون، و على هذا ان كان النّزول خاصّاً فالمقصود عامّ يشمل الامّة المنافقة المنحرفة الى انقراض العالم.

جوَ مٰا كٰانُوا اَوْلِيٰاۤءَهُج كما يفتخرون بأنّهم اولياء البيت و كما افتخروا بأنّهم اولياء محمّد ﷺ و غصبوا حقّ علىّ عليه السلام جاِنْ اَوْلِيٰاؤُهُ اِلاَّ الْمُتَّقُونَج بالتّقوى العامّة او الخاصّة جوَ لٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَج معنى ولاية البيت و انّ ولاية البيت مخصوصة بمن اتّقى عن الشّرك و اتّباع النّفس و هواها جوَ مٰا كٰانَ صَلٰوتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ اِلّٰا مُكٰاۤءً وَ تَصْدِيَةًج المكاء الصّفير، و التّصدية التّصفيق كانوا يطوفون بالبيت عراةً يشبّكون بين اصابعهم و يصفرون و يصفّقون و كانوا يفعلون اذ اقرأ رسول اللّه ﷺ فى صلوته يخلّطون عليه جفَذُوقُوا الْعَذٰابَج بالقتل و الاسر يوم بدرٍ او بالنّار فى الآخرة جبِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ اِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ اَمْوٰالَهُمْج يستمرّون على الانفاق.

اعلم، انّه لا اختصاص للمال بالاعراض الدّنيويّة بل يعمّها و القوى البدنيّة و القوى النّفسانيّة بل هى اولى بكونها مالاً من الاعراض لانّ نسبة المملوكيّة هنا حقيقيّة و هناك اعتباريّة صرفة لا حقيقة لها، و الانسان ما لم

يخرج من هذا البنيان شغله اكتساب المال الصّوريّ و المعنويّ و انفاقه، فان كان متوجّهاً الى اللّه يصدق عليه انّه ينفق فى سبيل اللّه اى حالكونه فى سبيله او فى حفظ سبيله و تقويته و ان كان متوجّهاً الى الملكوت السّفلى يصدق عليه انّه ينفق فى سبيل الطّاغوت بمعنييه و يصدق عليه انّه ينفق لصدّ النّاس عن المسجد الحرام و عن سبيل اللّه صورةً و معنىً، ولصدّ القوى و المدارك عن التّوجّه الى القلب فالكافرون شغلهم الانفاق مستمرّاً.

﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اى سبيل الحجّ او النّبىّ ﷺ او الولىّ عليه السلام او الصّدر المنشرح بالاسلام او القلب ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ لعدم عوض للمنفق بل لنقصان ذواتهم بالانفاق.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ ظاهراً و باطناً ان كان نزول الآية فى قريش حين خروجهم لغزو بدرٍ و انفاقهم فى ذلك كما ورد فى الخبر فلا ينا فى عمومها.

﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تكرار الموصول للتّفضيح و الاشارة الى علّة الحكم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ يعنى كما انّ شغلهم الانفاق للصّدّ كذلك سلوكهم ليس الّا الى جهنّم، لانّ شغلهم الانفاق فى سبيل الطّاغوت فسلوكهم على سبيل الطّاغوت و هو سبيل جهنّم، و فعلنا ان نحشرهم آناً فآناً حشراً بعد حشرٍ الى جهنّم و غاية هذا الفعل كراهة اختلاط المؤمن و الكافر و تميز الكافر من المؤمن، هذا فى الكبير، و امّا فى الصّغير فالقوى الحيوانيّة البهيميّة و السبعيّة و القوى الشّيطانيّة اللّاتى شأنها الكفر بالعقل تنفق قوّتها لصدّ سائر القوى عن سبيل العقل و هو سبيل اللّه و هى متوجّهة الى السّفل الّذى هو دار الشّياطين و الجنّة، و فيه جهنّم فتحشر الى جهنّم آناً فآناً و فى الخبر اشارة الى التّعميم و ذلك الحشر.

﴿لِيَمِيزَ اللّٰهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلٰى بَعْضٍ﴾ لضيق السّفل و عدم سعته ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً﴾ فيجعله مترا كماً متداقّاً ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ بعد انتهاء حشره و تراكمه ﴿اُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فى موضع التّعليل و الاتيان بالمسند اليه باسم الاشارة موضع الضّمير لاحضار حالهم الفظيعة اشعاراً بعلّة الحكم، و تعريف المسند و ضمير الفصل للتأكيد و الحصر.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مخاطباً لهم قولى ﴿اِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ او مضمون ان ينتهوا يغفرلهم او قل فى حقّهم فالعبارة على ماهو حقّها، و المراد بالكفر الكفر باللّه او بالنّبىّ ﷺ او بالولىّ عليه السلام او بالولاية التّكوينيّة الّتى هى وجهة القلب و طريق الآخرة.

ولذا ورد عن الباقر عليه السلام انّه قال له رجل : انّى كنت عاملاً لبنى اميّة فاصبت مالاً كثيراً فظننت انّ ذلك لايحلّ لى فسألت عن ذلك فقيل لى : انّ اهلك و مالك و كلّ شىءٍ لك فهو حرام فقال عليه السلام : ليس كما قالوا لك، قال فلى توبة؟ - قال عليه السلام، نعم ، توبتك فى كتاب اللّه قل للّذين كفروا ان ينتهوا يغفرلهم ماقد سلف، فعدّه عليه السلام من الكافرين حيث كفر بالولاية التّكليفيّة او التّكوينيّة.

﴿وَ اِنْ يَعُودُوا﴾ الى ما كانوا فيه من الكفر باحد معانيه و لوازمه من معاداة الرّسول ﷺ و مقاتلته مضت معاداتهم على نبيّنا ﷺ و لم يبق عليه شينها و بقى عليهم عقوبتها.

﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْاَوَّلِينَ﴾ الّذين كفروا و عادوا انبياءهم عليهم السلام او المعنى ان يعودوا الى ماهم فيه فليتوقّعوا عذابنا و انتقامنا كما انتقمنا عمّن

سلف ولا اختفاء فی انتقامنا عن السّالفين فقد مضت سنّة الاوّلين و صارت اسماراً بحيث لم يبق احد الّا و قد سمعها.

جوَقَاتِلُوهُمْ حَتّٰى لاٰ تَكُونَ فِتْنَةٌج فساد من الشّرك و لوازمه جوَيَكُونَ الدّينُ كُلُّهُ لِلّٰهِج و لا يكون لكلٍّ دينٌ او اديانٌ و كان بعضه للشّيطان كالاديان الباطلة و بعضه للّه كدينك، هذا فی الصّغير ظاهر، و امّا فی الكبير فقد ورد انّه لم يجیء تأويل هذه الآية بعد انّ رسول اللّه ﷺ رخّص لهم لحاجته و حاجة اصحابه فلو قدجاء تأويلها لم يقبل منهم و لكنّهم يقتلون حتّى يوحّدوا اللّه و حتّى لا يكون شرك.

جفَاِنِ انْتَهَوْاج عن الكفر جفَاِنَّ اللّٰهَ بِمٰا يَعْمَلُونَج من الانتهاء و الاسلام جبَصِيرٌج فيجازيهم على حسبه جوَ اِنْ تَوَلَّوْاج عن الاسلام جفَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ مَوْليٰكُمْج فلا تحزنوا ولا تضيّقوا صدراً من تولّيهم جنِعْمَ الْمَوْلىٰج المتولّی اموركم و تربيتكم جوَ نِعْمَ النَّصِيرُج.

جوَ اعْلَمُوا اَنَّمٰا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍج اسم الغنيمة قد غلبت على ما كان يؤخذ من الكفّار بالقهر و الغلبة حين القتال و الّا فهی اسم لكلّ ما استفاد الانسان من ایّ وجهٍ كان وایّ شیءٍ كان، فعن الصّادق عليه السلام: هی واللّه الافادة يوماً بيوم.

جفَاَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبىٰ وَ الْيَتٰامىٰ وَ الْمَسٰاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِج و قد فسّر ذوی القربی بالامام من آل محمّد ﷺ فانّه ذو القربی حقيقةً و فسّر الثّلاثة الاخيرة بمن كان من قرابات الرّسول ﷺ جعل ذلك لهم بدلاً عن الزّكوة الّتی هی اوساخ النّاس تشريفاً لهم.

جاِنْ كُنْتُمْ اٰمَنْتُمْ بِاللّٰهِج جزاؤه محذوف ای فأعطوا خمسه فانّه

عبادة ماليّة هى احد ركنى العبادة الّذين هما الصّلوة و الزّكوة جوَ مٰا اَنْزَلْنٰاج اى بما انزلنا جعَلٰى عَبْدِنٰاج من احكام العبادات الماليّة و البدنيّة و من جملتها حكم الخمس او من الملائكة المنزلين.

جيَوْمَ الْفُرْقٰانِج يوم بدرٍ لظهور الحقّ عن الباطل و الفرق بينهما فيه و هو متعلّق بآمنتم اوبانزلنا جيَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعٰانِج لظهور دلائل صدق النّبوّة بظهور نصرة الحقّ بالملائكة اوبظهور نزول الملائكة و جنود اللّه للنّصرة و لذا فسّر ما انزلنا بانزال الملائكة و النّصرة فى ذلك اليوم تذكيراً لهم بدلائل صدق النّبوّة و قدرة اللّه على نصرهم حتّى لا يشمئزّوا عن امره باعطاء مالهم ثقةً بامداده و اعطائه.

و لذا قال: جوَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌج تعميماً بعد تخصيصٍ و هو عطف على ماهو المقصود كأنّه قال فاللّه قادر على الامداد و نصرة القليل على الكثير فلاتخافوا من كثرة العدوّ و قلّتكم واللّه على كلّ شيٍ قديرٌ فلاتخافوا من قلّة مافى اليد و الانفاق فانّه قادر على اعطائكم .

جاِذْ اَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيٰاج بدل من يوم الفرقان اوظرف لالتقى اولقدير والعدوة مثلّثة شطّ الوادى جوَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوٰىج والمراد الدّنيا من المدينة والقصوى منها جوَ الرَّكْبُ اَسْفَلَ مِنْكُمْج يعنى عير قريش و المراد تذكيرهم بقوّة المشركين و شدّة اهتمامهم بالقتال لحفظ العير و استظهارهم بمن كان فى العير و هم ابوسفيان و اصحابه و كون مكانهم اثبت للاقدام و مكان المؤمنين يسوخ فيه الاقدام حتّى لا يبقى لهم شكّ فى انّ غلبتهم لم تكن الّا بنصرة اللّه و لذا قيل :كان غزوة بدرٍ من ادلّ الدّلائل على نبوّة نبيّنا ﷺ جوَج الحال انّكم لغاية ضعفكم و قوّة اعداء كم جلَوْ

تَوٰاعَدْتُمْ﴾ للقتال معهم ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِى الْمِيعٰادِ وَ لٰكِنْ﴾ ثبّتكم على القتال على هذه الحال ولم يدعكم حتّى تفرّوا.

﴿لِيَقْضِىَ اللّٰهُ اَمْراً كٰانَ مَفْعُولاً﴾ اى حقيقاً بان يفعل او مفعولاً فى الذّرّ من اعلاء كلمته و اعزاز دينه و اذلال اعدائه، او هلاك الهالك عن بيّنة او انزال الملائكة و اظهار دلائل النّبوّة ﴿لِيَهْلِكَ﴾ بدل عن قوله ليقضى اللّه على ان يكون المراد بالامر المفعول اتمام الحجّة و اهلاك الهالك و حيوة الحىّ بعدها او متعلّق بيقضى و المراد الهلاك الصّورىّ او المعنوىّ.

﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ بعد بيّنةٍ او متجاوزاً عن بيّنةٍ هى اعزاز المؤمنين و غلبتهم فى مقام لايظنّ الّا ذلّتهم و مغلوبيّتهم و لم يكن ذلك الّا بنزول الملائكة و امدادهم بحيث لم يخف على احدٍ من الطّرفين ﴿وَ يَحْيٰى مَنْ حَىَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ اِنَّ اللّٰهَ لَسَمِيعٌ﴾ لاستغاثتكم فيجيبكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بصدوركم و خفيّاتها من الخوف و الاضطراب و ما يصلحها من التّثبيت و الامداد او لسميع بمقال الهالك و الحىّ عليم بحاله. عطف باعتبار المعنى كأنّه قال : انّ اللّه يقضى او انّ اللّه يهلك و انّ اللّه لسميع او هو استيناف ﴿اِذْ يُرِيكَهُمُ اللّٰهُ فِى مَنٰامِكَ قَلِيلاً﴾ لتخبر اصحابك بقلّتهم ليجترؤا على القتال و هو متعلّق بمتعلّق ليقضى او بدل من، اذ انتم بالعدوة الدّنيا او بدل ثانٍ من يوم الفرقان او متعلّق بعليم.

﴿وَلَوْ اَرٰيكَهُمْ كَثِيراً﴾ فاخبرت اصحابك ﴿لَفَشِلْتُمْ﴾ جبنتم ﴿وَلَتَنٰازَعْتُمْ فِى الْاَمْرِ﴾ امر القتال لانحراف آراء اكثركم عن القتال ﴿وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ سَلَّمَ﴾ نفوسكم عن الفشل و التّنازع ﴿اِنَّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ﴾ بالخفيّات الّتى تصاحب الصّدور فيدبّر امركم عن علم بما

لا تعلمون، نقل انّ المخاطبة للرّسول ﷺ والمعنى لاصحابه يعنى أرى اصحابه المشركين قليلاً فى منامهم، و عن الباقر عليه السلام: كـان ابـليس يـوم بـدرٍ يـقلّل المسلمين فى اعين الكفّار و يكثّر الكفّار فى اعين النّاس فشدّ عليه جبرئيل عليه السلام بالسّيف فهرب منه.

جوَ اِذْ يُرِيكُمُوهُمْ اِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى اَعْيُنِكُمْ قَلِيلاًج تصديقاً لرؤيا الرّسول ﷺ و تشجيعاً لكم جوَ يُقَلِّلُكُمْ فِى اَعْيُنِهِمْج لئلّا يفرّوا من القـتال فيقع ما اراده اللّه من القتال و نصرة المؤمنين و اعلاء كلمتهم.

نقل عن ابن مسعود انّه قال: لقد قلّلوا فى اعيننا حتّى قلت لرجل الى جنبى، اتراهم سبعين؟ - قال : اراهم مائةً، فأسرنا رجلاً منهم فقلنا: كم كنتم؟ - قال :الفاً، و قلّل المؤمنون فى اعين الكفّار حتّى قال قائل منهم: انّما هم اكلة جزور، هذا كان قبل المقاتلة و امّا حين المقاتلة فقدر أوا المؤمنين مثليهم رأى العين جلِيَقْضِىَ اللّٰهُ اَمْراً كَانَ مَفْعُولاًج كرّره تأكيداً و اشعاراً بان لا غرض من الامر بالقتال و تدبير امر المقاتلين من رؤيا القلّة و رؤية القليل و تشجيع المؤمنين و تثبيتهم الّا قضاء ما فى اللّوح و امضاءه من اظهار ديـنه على الاديان جوَ اِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُج كما انّ منه تدبيرها و صدورها ثمّ بعد ما اظهر انّ النّصر من عنده و انّ اسبابه الظّاهرة ايـضاً مـنه و شـجّع المؤمنين و ثبّتهم قـال جيٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَـنُوا اِذَا لَـقِيتُمْ فِـئَةًج مـن المشركين و الكفّار للقتال فانّ اللّقاء غلّب فى القـتال جفَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيراًج ثقة بنصره و استظهاراً بذكره فانّ القلب يطمئنّ عن الاضطراب و الخوف بذكره جلَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَج بالظّفر على الاعداء.

جوَ اَطِيعُوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُج فيما يأمركم به فى امر القتال و غيره

﴿وَ لاٰ تَنٰازَعُوا﴾ باختلاف الآراء ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ تضعفوا عن القتال ﴿وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ عظمكم فى نظر الاعداء شبّهت العظمة المعنويّة بالرّيح الدّاخلة تحت الثّياب الّتى بها تعظم جثّة الانسان، او بالانتفاخ و الانتقاش الّذى يكون للسّباع حين ثوران الغضب و هو مثل دائر فى العرب و العجم.

﴿وَ اصْبِرُوا﴾ على الجهاد ﴿إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰابِرِينَ وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ﴾ يعنى قريشاً حين خرجوا مع آلات اللّهو ﴿بَطَراً وَ رِئٰاءَ النّٰاسِ﴾ ليثنوا عليهم بالشّجاعة و الشّوكة فانّهم أخرجوا معهم القيان و الخمور و آلات اللّهو.

﴿وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ بِمٰا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فلا يخفى عليه اعمالكم و لا نيّاتكم ﴿وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰانُ أَعْمٰالَهُمْ﴾ عطف على اذانتم بالعدوة او اذيريكهم اللّه، او اذيريكموهم على جواز عطف عدّة معطوفات كلّاً على سابقه.

﴿وَ قٰالَ لاٰ غٰالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّٰاسِ﴾ و كان تزيينه باذن اللّه ليقضى اللّه امراً كان مفعولاً ﴿وَ إِنِّي جٰارٌ لَكُمْ﴾ مجير لكم او مجاور تمثّل لهم بصورة شخصٍ بشرىّ يقال له سراقة كما فى الخبر، او اوقع فى روعهم ذلك و وسوس اليهم انّ الثّبات على الاصنام و حفظ دينهم امرٌ آلهىّ و هو مجيرهم و يحفظهم.

﴿فَلَمّٰا تَرٰاءَتِ الْفِئَتٰانِ نَكَصَ عَلىٰ عَقِبَيْهِ﴾ رجع القهقرى و هو مثل يضرب لمن خاب من مأموله و رجع عن طلبه ﴿وَ قٰالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرىٰ مٰا لاٰ تَرَوْنَ﴾ يعنى الملائكة ﴿إِنِّي أَخٰافُ اللّٰهَ وَ اللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقٰابِ﴾ من كلامه او من كلام اللّه عطفاً على قال، فى الخبر: انّ

ابليس كان فی صفّ المشركين آخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث : يا سراقة اتخذلنا على هذه الحال؟

فقال : انّی اری ما لاترون، فقال : واللّه ماتری الّا جواسيس يثرب، فدفع فی صدر الحارث وانطلق وانهزم النّاس، فلمّا قدموا مكّة قال النّاس : هزم سراقة فقال : واللّه ماشعرت بمسيركم حتّی بلغنی هزيمتكم فقالوا: انّك اتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلمّا أسلموا علموا انّ ذلك كان الشّيطان.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ممّن اسلم ظاهراً متعلّق بواحد من الافعال السّابقة او بدل من اذ زيّن لهم الشّيطان ﴿غَرَّ هٰؤُلاٰءِ دِينُهُمْ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ﴾ عزّ و غلب ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغلب من يتوكّل عليه ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل بحكمته ما هو صلاح عباده من تجرئة القليل على الكثير وغلبتهم ليظهر حقّيّة دينهم.

﴿وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لو للتمنّی لانّه كثيراً مايستعمل ليت فی امثال تلك القضايا ولا مانع من جعل لو بمعناها مع انّه غنیّ عن تقدير الجواب ولو جعل لو للشّرط فالجواب محذوف ای لرأيت امراً فظيعاً والخطاب لمحمّد ﷺ او عامّ والمراد توفّيهم يوم بدرٍ او عامّ.

﴿الْمَلاٰئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبٰارَهُمْ﴾ يعمّ الضّرب جميع اطرافهم او المراد الوجوه والاستاه كما فی الخبر لانّ اللّه حيی و يكنّی ﴿وَ﴾ يقولون ﴿ذُوقُوا عَذٰابَ الْحَرِيقِ﴾ او يقول اللّه : ذوقوا عذاب الحريق فی الدّنيا او فی الاخرة.

﴿ذٰلِكَ بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من قول اللّه او الملائكة ﴿وَ أَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ عطف على ماقدّمت والمقصود نفی سببيّة ظلمه

تعالى و حقّ العبارة حينئذٍ ان يقول لا بانّ اللّه ظلّام للعبيد لكنّها لمّا كانت موهمةً لنسبة الظّلم اليه تعالى و نفى سببيّته للعقوبة ادّاه بصورة نفى الظّلم و سببيّة النّفى للعقوبة فانّه كثيراً ما يؤتى باداة التّسبيب و يراد نفى السببيّة كما يقال : فلان بنفسه يفعل كذا و يراد لا بسببٍ فهو نفى لنسبة الظّلم اليه تعالى صريحاً و بسببيّة الظّلم فحوىً لا انّه بيان لسببيّة عدم الظّلم خصوصاً على قاعدة انّ الاعدام لا سببيّة لها لشىءٍ اصلاً و ما يقال : عدم الشّرط سبب لعدم المشروط فهو بالمقايسة الى الملكات، و الظّلّام من صيغ النسب كتّمارٍ لا من صيغ المبالغة.

ج كَدَأْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ ج اى ما هم عليه من الكفر و المعاصى المستتبعة للعقوبة كدأب آل فرعون او هو متعلّق بقوله يتوفّى و التّشبيه تمثيلىّ و الدّابّ الخصلة و السنّة الّتى اعتادها و داوم عليها صاحبها.

ج وَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ج كاقوام الانبياء عليهم السلام السّلف ج كَفَرُوا بِاٰيَاتِ اللّٰهِ ج استيناف جواباً للسّؤال المقدّر عن دأبهم كأنّه قيل : ما كان دأبهم ؟ و ما فعل بهم ؟

ج فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ اِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ شَديدُ الْعِقَابِ ذٰلِكَ ج العقاب عقيب الكفر و العصيان بانّ عادة اللّه جرت بان يغيّر النّعمة عقيب تغيير صاحب النّعمة حاله فحقّ العباره ان يقال بانّ اللّه يغيّر ما بقومٍ من نعمة بتغيير هم احوالهم لكنّه قال ج بِاَنَّ اللّٰهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً اَنْعَمَهٰا عَلٰى قَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ ج افادة للحصر مع هذا المعنى و نفى التّغيير عنه لا التّصريح بنسبة التّغيير اليه ابتداء ج وَ اَنَّ اللّٰهَ سَميعٌ عَليمٌ ج فيسمع مقالتّهم السّوءى و يعلم تغييرهم حسن أحوالهم فيجرى عادته بتغيير

نعمته ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يعنى ذلك التّغيير المستتبع لتغييرنا النّعمة المنعمة كدأب آل فرعون و التّكرار للتّأكيد و مطلوبيّة التّكرار حين الغضب.

﴿وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ و لكون التّكرار للمبالغة و لابداء اشتداد الغضب بالغ و بدّل كفروا بكذّبوا ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ كُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ و هذا من مطلوبيّة التّطويل و التّفضيح فى مقام الغضب.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ﴾ هذا ايضاً من التّفضيح و التّغليط و التّطويل فى مقام الغضب مثل ما بعده ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ قد فسّروا ببنى قريظة فالمراد بالمعاهدة عهد المتاركة و فسّروا ايضاً بمنافقى اصحابه فالمراد بالمعاهدة عهد البيعة و الاولى التّعميم ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَ هُمْ لاٰ يَتَّقُونَ﴾ سخط اللّه او لا يتّقون بأسك و بأس المؤمنين.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ ان كان المراد منافقى الامّة فجريان الامر على يد علىّ عليه السلام ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ﴾ بقتلهم و النّكاية فيهم ﴿مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ من سائر الكفّار بان يتسامعوا بشدّة بأسك بقتل المقاتلين فلا يطمعوا فى مقاتلتك و هو امر بشدّة نكايتهم على ابلغ وجهٍ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ اى من خلف المقاتلين ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ صدق نبوّتك و شدّة بأسك ﴿وَ إِمَّا تَخَافَنَّ﴾ زيادة ما على اداة الشّرط هنا و فى سابقه و لحوق نون التّأكيد للمبالغة فى لزوم الجزاء ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ معاهدين بقرينة قوله ثمّ ينقضون عهدهم فى كلّ مرّةٍ ﴿خِيَانَةً﴾ فى العهد بنقضه بان يلوح لك اثر المخالفة و نقض العهد. نقل انّها نزلت فى معاوية لمّا خان اميرالمؤمنين عليه السلام و هو ممّا قلنا انّه ممّا جرى على

يد علىّ عليه السلام ﴿فَانْبِذْ اِلَيْهِمْ﴾ عهدهم ولاتراعه مشتملاً ﴿عَلٰى سَوٰاءٍ﴾ اى استواء معهم اوحالة مساوية لحالهم فى نقض العهد فانّه منك غير مذموم بعد ابتدائهم بنقض العهد. ﴿اِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ الْخٰائِنِينَ﴾ تعليل للامر بنبذ العهد يعنى انّ الخائنين لاجهة محبّة لهم حتّى تراعيها ولاتنقض عهدك معهم ﴿وَ لاٰ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وضع المظهر موضع المضمر تصريحاً بكفرهم و تفظيعاً لهم ﴿سَبَقُوا﴾ فاتوا عنّا اوغلبوا و لعلّه كان انسب لانّه لرفع الخوف عنهم لمناقضة عهدهم ﴿اِنَّهُمْ لاٰ يُعْجِزُونَ﴾ لايفوتون اولا يغلبون من اعجزه اذافاته اوجعله عاجزاً، و قرء لا يحسبنّ بالغيبة و انّ بالفتح و وجوه الاعراب لا يخفى على البصير بالعربيّة.

﴿وَ اَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ممّا به قوّتكم و شوكتهم من الخيلاء بين الصّفّين فانّ التّكبّر ممدوح فى القتال و من سلاح و غيره، وورد فى الخبر انّ منها الخضاب بالسّواد ﴿وَ مِنْ رِبٰاطِ الْخَيْلِ﴾ من عطف الخاصّ على العامّ اذالرّباط مصدر بمعنى المربوط اوجمع ربيط غلب على الخيل الّتى تربط للجهاد.

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾ بما استطعتم من القوّة ﴿عَدُوَّ اللّٰهِ وَ عَدُوَّكُمْ﴾ اى الّذين تخافون خيانتهم و الاتيان بالمظهر للاشعار بالعلّة و ذكر وصف آخر للتّفظيع ﴿وَ اٰخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ من دون من تخافون خيانتهم من الكفرة الّذين لا عهد بينهم و بينكم اولا تخافون منهم نقض عهدكم.

﴿لاٰ تَعْلَمُونَهُمُ﴾ خائنين كمنافقى الامّة الّذين اظهروا الاسلام و اخفوا النّفاق اولا تعلمونهم بأعيانهم حيث غابوا عنكم كالعجم والرّوم و الشّام ﴿اَللّٰهُ يَعْلَمُهُمْ وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ يُوَفَّ اِلَيْكُمْ﴾

فلاتخافوا من الفقر و تهيّؤا بما استطعتم من القوّه فى سبيل اللّه جوَ اَنْتُمْ لاٰ تُظْلَمُونَج بنقص شيءٍ ممّاانفقتم.

جوَ اِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِج اى الصّلح و الدّخول فى الاسلام اوالدّخول فى الايمان كما عن الصّادقعليه السلام انّه الدّخول فى امرنا جفَاجْنَحْ لَهٰاج فانّ قتالك ليس الّا مقدّمة الصّلح و السّلم بمعنى الصّلح يؤنّث سماعاً جوَ تَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِج ولا تخف من خديعتهم بالصّلح فانّ اللّه عاصمك جاِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُج لكلّ ما قالوا فيك فيدبّر ما فيه صلاحك جاْلعَلِيمُج يعلم نيّاتهم و عاقبة امرك و امرهم فلا يفوته شيءٌ ولا يسبقه شيءٌ.

جوَ اِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَج بالصّلح بان ارادوا اطفاء نائرة القتال بالصّلح حتّى يتهيّؤ اللقتال و يضع اصحابك اسلحة القتال فيباغتوكم فلاتخف جفَاِنَّ حَسْبَكَ اللّٰهُ هُوَ الَّذِي اَيَّدَكَ بِنَصْرِهِج فى موضع التّعليل على الاستيناف البيانيّ و المراد نصره بالملائكة.

جوَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَ اَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْج قلوب المؤمنين فيقدر ان يؤلّف بينكم و بين الخائنين ان ارادوا بالصّلح الخيانة جلَوْ اَنْفَقْتَ مٰا فِي الْاَرْضِ جَمِيعاً مٰا اَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْج فانّ تصريف القلوب بيده لا بيدك البشريّة و لابيدك النّبويّة.

جوَ لٰكِنَّ اللّٰهَ اَلَّفَ بَيْنَهُمْج قيل :نزلت فى الانصار فانّ الاوس و الخزرج كان بينهم مقاتلة و دماء و تؤالفوا و تحابّوا بالاسلام جاِنَّهُ عَزِيزٌج لا يمنعه من مراده شيءٌ جحَكِيمٌج يفعل بحكمته ما فيه صلاح عباده.

جيٰا اَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّٰهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَج كرّره مقدّمة للامر بالتّحريض و لانّ التّكرار مرغوب فيه فى مقام الامتنان و

اظهار المحبّة و الاحسان.

﴿يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ اِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتَيْنِ﴾ لنصرة اللّه ﴿وَ اِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا اَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ يَفْقَهُونَ﴾ فلا يثبتون ثبات من آمن باللّه و علم انّ النّصر بيد اللّه و الظّفر من اللّه.

﴿اَلْآنَ خَفَّفَ اللّٰهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ اَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾ هذه الآية نزلت بعد ما كثر المؤمنون و لذا ورد انّها ناسخة لماقبلها ﴿فَاِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ اِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ اَلْفٌ يَغْلِبُوا اَلْفَيْنِ بِاِذْنِ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ و المراد بالضّعف الضّعف فى القلوب لا فى الابدان حتّى ينافى كثرتهم.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يَكُونَ لَهُ اَسْرٰى حَتّٰى يُثْخِنَ فِي الْاَرْضِ﴾ جواب لاصحابه ﷺ حين سألوه ان لا يقتل الاسرى و يأخذ منهم الفداء و المقصود من الاثخان كثرة القتل من اثخن فى العدوّ اذا غلب و اكثر الجرح فيهم ﴿تُرِيدُونَ﴾ بأخذ الفداء ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا وَ اللّٰهُ يُرِيدُ الْاٰخِرَةَ﴾ لكم بان يكون جهادكم غير مشوب بالاغراض الدّنيويّة بل خالصاً للآخرة.

﴿وَ اللّٰهُ عَزِيزٌ﴾ غالب لايخاف من ذلّة نبيّه على فرض اخذ الفداء من الاسرى فهو لاستدراك توهّم خوف الضّعف و المغلوبيّة ﴿حَكِيمٌ﴾ يأمر بالقتل لمصالح يعلمها ﴿لَوْلاٰ كِتَابٌ مِنَ اللّٰهِ سَبَقَ﴾ اى حكم سبق فى اللّوح من اباحة الفداء و اعزاز المؤمنين او ابقاءهم الى اجلٍ موعودٍ حتّى يعزّ دين اللّه بهم و هو تهديد و ردع عن مثل ما فعلوا ببدرٍ فى باب اخذ الفداء من الاسرى و اصرّوا على ذلك مع انكار الرّسول ﷺ حتّى رضوا بقتل عدد

الاسرى و من يأخذون منه الفداء من المؤمنين فى عام قابل ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفدية او فيما فعلتم من الاصرار على اخذ الفدية ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا﴾ اى اذا كان سبق كتاب فى اباحة الفداء و اعزازكم فكلوا ﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الفداء فانّه غنيمة او هو اباحة للغنيمة كأنّهم أمسكوا عنها و تردّدوا فى اباحتها اى اذا كان سبق كتابٍ فى اباحة الفداء و اعزازكم و اعلاء كلمتكم فلا تتحرّجوا من الغنيمة و كلوا منها.

﴿حَلَالًا طَيِّبًا وَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى السّرف فيها، او فى الخيانة فيها، او فى مخالفته ﷺ فيها و ارضوا فيها بما اعطاكم الرّسول ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ اذ غفر تجرّيكم على الاصرار فى الفدية ﴿رَحِيمٌ﴾ اذ رحمكم باباحة الغنيمة و الفدية.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ﴾ اسرى بدر او العبّاس و عقيل بن ابى طالب و نوفل بن الحارث خاصّة كما ورد فى الخبر انّ الآية نزلت فى العبّاس و عقيل و نوفل و قصّتهم و قصّة غزو بدر مسطورة فى الصّافى مبسوطة.

﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ رغبةً و ميلاً فى الايمان ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من الغنيمة فى الغزو و من الفداء بعد الاسر ﴿وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ﴾ فيغفر لكم ما صدر منكم من معاداة الرّسول ﷺ ﴿رَحِيمٌ﴾ فيؤتيكم خيراً ممّا اخذ منكم فحقّ العبارة ان يقول يغفر لكم و يؤتكم خيراً فانّ المغفرة و هى ستر المساوى مقدّمة على الرّحمة والانعام لكن لمّا كان المقام مقام الاهتمام باتيان العوض لما فاتهم قدّمه.

﴿وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ عطف من اللّه على مقول الرّسول

باعتبار المعنى و ملاحظة نفس المحكّى مع قطع النّظر عن كونه حكاية و مثله كثير كأنّه قال: ان يعلم اللّه فى قلوبهم خيراً يؤتهم خيراً ممّا اخذ منهم و ان يريدوا خيانتك فلا غرو فيه.

جفَقَدْ خَانُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُج اى من قبل ارادة خيانتك بمخالفة حكم العقل الّذى هو رسولهم الباطنىّ فأمكن المؤمنين منهم فليحذروا من امكان المؤمنين ثانياً منهم و قد فسّر هكذا و ان يريدوا خيانتك فى علىّ عليه السلام فلا غرو فيه فقد خانوا اللّه فيك من قبل جفَأَمْكَنَ مِنْهُمْج فلاتحزن لذلك فانّه يمكّن عليّاً عليه السلام و اصحابه منهم جوَ اللّٰهُ عَلِيمٌج بارادة كلّ مريدٍ جحَكِيمٌج يدبّر امرك و امر الخائنين على وفق حكمته.

جاِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُواج بالايمان العامّ بقبول الدّعوة الظّاهرة و البيعة العامّة جوَ هٰاجَرُواج من دارالشّرك الى مدينة الرّسول صلى الله عليه و آله جوَ جٰاهَدُواج مع اعداء الرّسول صلى الله عليه و آله جبِأَمْوٰالِهِمْج ببذلها على أنفسهم و على المجاهدين فى الجهاد جوَ اَنْفُسِهِمْج ببذلها بالقتل فى سبيل اللّه حالكونهم.

جفِى سَبِيلِ اللّٰهِج او فى حفظ سبيل اللّه و هوالنّبوّة اوفى تحصيل سبيل اللّه و هوالولاية،اوالمعنى انّ الّذين آمنوا بالايمان العامّ من افراد الانسان فى العالم الكبير و من اولاد آدم الّذين هم القوى الانسانيّة فى العالم الصّغير و هاجروا من اوطان شركهم النّفسانيّة الى مدينة صدورهم الّتى هى مدينة رسولهم الباطنىّ، و جاهدوا فى سبيل اللّه الّذى هو سبيل القلب بأموالهم الحقيقيّة الّتى هى قواهم و مداركهم بتضعيفها بالرّياضات و المجاهدات.

اوالمعنى انّ الّذين آمنوابالايمان الخاصّ بالبيعة الخاصّة و هاجروا من اوطان شركهم الى مدن صدورهم و جاهدوا بأموالهم الحقيقيّة و أنفسهم

حالكونهم فى سبيل اللّه و هو طريق الولاية الموصلة لسالكها الى الفناء فى اللّه اوفى حفظ سبيل اللّه و كلّ المعانى لكونها مترتّبة متصاعدة طوليّةً لا عرضيّة مرادة من غير لزوم استعمال اللّفظ فى اكثر من معنىً كما مرّ مراراً.

جوَ الَّذينَ آوَوْا وَ نَصَرُواج هم الانصار الصّوريّة بحسب المعنى الاوّل و بحسب المعانى الاخر من يليق بها جاُولٰئِكَ بَعْضُهُمْ اَوْلِياءُ بَعْضٍج اولياء المحبّة ادّاه بصورة الخبر اشارة الى انّ ولاية المحبّة لازمة لهم او اولياء الميراث كما ورد فى الاخبار و ورد انّها منسوخة بآية اولوا الارحام بعضهم اولى ببعضٍ.

جوَ الَّذينَ آمَنُواج بالبيعة العامّة اوبالبيعة الخاصّة جوَ لَمْ يُهاجِرُواج من دارالشّرك الصّوريّة او من دارالشّرك النّفسانيّة جمالَكُمْ مِنْ وِلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍج لانّهم لم يقرنوا وصلهم الصّوريّ الحاصل بالبيعة الصّوريّة بالوصل المعنويّ بالخروج فى طريق الخليفة الصّوريّة اوالباطنيّة فلم يتّصلوا معنىً بكم ولا بمن اتّصلتم به فلا ولاية ولااتّصال بينكم وبينهم فلاتوارث و لاموادّة بينكم و بينهم.

جحَتّٰى يُهاجِرُوا وَ اِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِى الدّينِج لا فى الامور الدّنيويّة اعتباراً لمفهوم القيد جفَعَلَيْكُمُ النَّصْرُج لانّ وصلتهم الصّوريّة لها حرمة وعليكم بها حقّ لهم جاِلاّ عَلٰى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ ميثاقٌج فانّ الميثاق و ان كان حقّه وحرمته ادون من البيعة و الاسلام لكن هوايضاً وصلة بنحوولها حرمة ولا قوّة للوصلة الاسلاميّة من دون اقترانها بالوصلة المعنويّة بحيث تفوق تلك الوصلة.

جوَ اللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَج من موالاة من امرتم بموالاته و ترك موالاة

من امرتم بترك موالاته ﴿بَصِيرٌ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بترك البيعة النّبويّة او الولويّة ﴿بَعْضُهُمْ اَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ﴾ بحكم السّنخيّة والمجانسة و الّا فهم كالكلاب الضّارية يعضّ بعضها بعضاً، نعم اذا رأت غيرجنسها اتّفقت وحملت مجتمعةً عليه :

متّحد جانهاى شيران خداست

جان گرگان و سگان از هم جداست

﴿اِلاّٰ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ﴾ يعنى ماذكرنا من الموالاة و تركها انّما هولصلاح نظام المعاش مؤدّيا الى نظام المعاد لانّه يورث الاتّحاد فى الآراء، و فى ترك موالاة المؤمنين المهاجرين و موالاة الكفّار و ان كانوا ارحاماً يحصل اختلاف الآراء و به يحصل فساد نظام المعاش و فى فساده للنّاقصين فساد نظام المعاد فالمراد بالفتنة اختلاف الآراء المستتبع للفساد.

﴿فِى الْاَرْضِ﴾ ارض العالم الكبير و ارض العالم الصّغير ﴿وَ فَسٰادٌ كَبِيرٌ﴾ لتجرّى الكفّار باختلاف آرائكم عليكم و اطّلاعهم بموالاتكم على ما يمكنهم الغلبة به عليكم.

﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا اُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ كرّره بلفظه احضاراً لهم بمديحتهم و اشعاراً بعلّة الحكم ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ علوىّ لا كالارزاق الارضيّة الّتى فى تحصيلها كلفة و مشقّة و حال الارتزاق فيها زحمة و بعدالارتزاق حاجة الى المدافعة.

﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾ يعنى من بعد ايمانكم و هجرتكم ﴿وَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولٰئِكَ مِنْكُمْ﴾ و يجب موالاتهم

كموالاتكم ج وَ أُولُوا الْاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ اَوْلٰى بِبَعْضٍ فِىْ كِتٰبِ اللّٰهِ ج في مكتوبةٍ في اللّوح و هو نسخ للتّوارث بالهجرة و النّصرة.

اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ج فيحكم تارةً بالتّوارث بالهجرة و تارةً بالرّحم لمصلحةٍ يعلمها و يأمركم بموالاة انفسكم و ترك موالاة الكفّار ايضاً لمصلحة.

مائة و تسع و عشرون آية و هى مدنيّة كلّها و قيل: غير آيتين و هما قوله تعالى: لقد جاءكم رسولٌ (الى آخرالسّورة). و اسماؤها عشرة سورة.

براءة، و التّوبة، و الفاضحة، و المبعثرة لبحثها عن اسرار المنافقين، و المقشقشة لتبرئتها من النّفاق، و البحوث لبحثها عن اسرار المنافقين، و المدمدمة اى المهلكة، و الحافرة من الحفر بمعنى التّنقية، و المثيرة، و سورة العذاب.

عن امير المؤمنين عليه السلام لم ينزل بسم اللّه الرّحمن الرّحيم على رأس سورة براءة لانّ بسم اللّه للامان و الرّحمة و نزلت براءة لدفع الامان و السّيف.

و عن الصّادق عليه السلام الانفال و براءةٌ سورةٌ واحدةٌ و لذلك لم ينزل بينهما بسم اللّه الرّحمن الرّحيم.

و قيل: كان النّبىّ صلى الله عليه و آله ينزل عليه الآيات فيدعو بعض الكتّاب فيقول: ضع هذه الآيات فى سورة كذا و كذا، و كان الانفال فى اوّل ما نزلت فى المدينة و براءة فى آخر ما نزلت و قبض رسول اللّه صلى الله عليه و آله و لم يبيّن انّها منها فوضعناها عقيبها من دون بسم اللّه الرّحمن الرّحيم.

(بَرَآئَةٌ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ اِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) هذه من المصادر النّائبة عن افعالها و اصلها:

برء اللّه و رسوله براءة من الذّين عاهدتم ثمّ حذف الفعل و اقيم المصدر

مقامه و وصل الفاعل بحرف الجرّ صفة له، نظيره ما يقولون زعماً منهم و خلافاً لهم فانّهما اصلهما زعموا و خالفوا و ابدل لفظة من بلفظة الى اشعاراً بتضمين معنى الوصول او تقديره.

ثمّ عدل من براءة الى الرّفع مبالغةً و تأكيداً و قد قرء بالنّصب على اصله.

و على هذا فهى مبتدء مخصّص بالصّفة و خبره الى الذّين عاهدتم و يحتمل ان يكون خبراً لمبتدءٍ محذوفٍ و من اللّه و الى الذّين عاهدتم صفتين له اى براءة ناشئة من اللّه و اصلة الى الذّين عاهدتم.

او هذه براءة و اصله من اللّه الى الّذين عاهدتم و نسب المعاهدة الى المسلمين لانّها مع كونها من رسول اللّه ﷺ كانت لمصلحة المسلمين فكأنّها كانت منهم، و نسب البراءة الى اللّه و الرّسول مخاطباً للمسلمين اشارة الى و جوبها عليهم و الّذين عاهدتم و ان كان عامّاً لكنّه مخصّص بالنّا قضين بقرينة الاستثناء الآتى، فالنّظر فى انّه كيف يجوز نقض العهد من الرّسول ﷺ؟ ساقط من اصله.

(فَسِيحُوا فِي الْاَرْضِ اَرْبَعَةَ اَشْهُرٍ) اعلام و امهال نصفاً و رجاءَ ان يتوبوا و المراد باربعة اشهر عشرون من ذى الحجّة الى عاشر ربيع الثّانى.

و نقل انّ فتح مكّة كان فى الثّامن من الهجرة و نزول سورة براءة فى العام التّاسع و حجّة الوداع فى العاشر و اتّفق.

مفسّروا العامّة و الخاصّة انّه بعث رسول اللّه ﷺ ابابكر اميراً على الموسم فقالت الخاصّة: بعثه بسورة براءة ثمّ نزل عليه الوحى ان لا يؤدّى عنك الّا رجل منك فبعث عليّاً ؑ فلحق بأبى بكرٍ و اخذ سورة براءة منه و قالت

العامّة: نزل براءة بعد بعثه ﷺ ابابكر فبعث بعده علياً ؏ فقيل له ﷺ فى ذلک.

فقال: لا يؤدّى الّا رجل منّى و تفصيل قصّته مذكورة فى كتب الفريقين.

(وَ اعْلَمُوا اَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللّٰهِ) تهديد لهم بانّ الامهال لا ينفعهم (وَ اَنَّ اللّٰهَ مُخْزِى الْكٰافِرِينَ وَ اَذٰانٌ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ) هذا نظير براءة من اللّه فى نيابة المصدر عن الفعل و العدول الى الرّفع.

(اِلَى النّٰاسِ) و هذا من التّكرار المطلوب فى مقام التّهديد و الغضب.

(يَوْمَ الْحَجِّ الْاَكْبَرِ) سمّى يوم النّحر بالحجّ الا كبر فى مقابل العمرة، او لانّ فى يوم النّحر معظم افعال الحجّ، او لانّه كان سنة حجّ فيها المسلمون و المشركون.

(اَنَّ اللّٰهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ) اى بانّ اللّه و رسوله عطف على المستتر فى برىءٌ و قرء بالنّصب عطفاً على اسم انّ.

(فَاِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ اِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللّٰهِ) هذا ايضاً من التّكرير المطلوب فى مقام التّهديد.

(وَ بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذٰابٍ اَلِيمٍ) من قبيل استعمال الضّدّ فى الضّدّ تهكّماً.

(اِلَّا الَّذِينَ عٰاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) استثناء من المشركين لبيان بقاء عهد غير النّا كثين.

(ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً) من شروط العهد (وَ لَمْ يُظٰاهِرُوا عَلَيْكُمْ اَحَداً) فانّ نقض الشّروط و مظاهرة العدوّ نقض فعلىّ.

(فَاَتِمُّوا اِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ اِلٰى مُدَّتِهِمْ اِنَّ اللّٰـهَ يُحِبُّ الْمُـتَّقِينَ) من نقض العهد بلا سببٍ.

(فَاِذَا انْسَلَخَ الْاَشْهُرُ الْحُرُمُ) هى اشهر السّياحة الّتى جعلها اللّه حرماً لامان المشركين (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) من حلّ و حرمٍ.

(وَ خُذُوهُمْ) بالاسر. (وَ احْصُرُوهُمْ) عن المسجد الحرام. (وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ)لئّلا يبسطوا فى البلاد. (فَاِنْ تَابُوا) بالتّوبة النّبويّة. (وَ اَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَ اٰتَوُا الزَّكٰوةَ) بانقياد احكـام الاسـلام. (فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) لانّهم حينئذٍ يكونون امثالكم و لهم مالكم و عليهم مـا عليكم. (اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ) يغفر ما صدر عنهم بالتّوبة. (رَحِيمٌ) برحـمهم بالاسلام و اقامة احكامه.

(وَ اِنْ اَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ) من شرّ المؤمنين او من غيرهم طلباً للامان فى الدّنيا (فَاَجِرْهُ) فانّ التّوجّه اليك و ان كان للدّنيا له حرمة فلا تهتكها كما انّ لنحلة الاسلام بواسطة التّشـابه بـالاسلام و انـقياد احكامه لها حرمة و غاية الاجارة سماع كلام اللّه و فيه حصول المقصود من ارسالك (حَتّٰى يَسْمَعَ كَلاٰمَ اللّٰهِ) فانّ فى سماع كلام اللّه كسراً لسورة عنادهم و استمالةً لهـم الى الحـقّ و مـقاتلتك ليست الّـا لذلك (ثُمَّ اَبْـلِغْهُ مَأْمَنَهُ) بعد ارادة العود الى وطنه بان لا يتعرّض احد من المسلمين له حتّى يبلغ بامانٍ منك و حافظٍ من المسلمين ان احتاج اليه الى وطنه او المكان الّذى هو مأمنه.

(ذٰلِكَ) الالجاء حين الالتجاء و ابلاغ المأمن حفظاً لحرمة التّوجّه اليك

و ان كان لاغراضٍ دنيويّة و انتظار سماع كلام اللّه (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ) لاشتداد جهلهم بحيث ستر جهة علمهم الّذى هم مفطورون عليها و بسماع كلام اللّه يضعف جهة جهلهم و يظهر جهة علمهم فيرجى منهم قبول قولك بعد ظهور جهة علمهم.

(كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ) استفهام انكارىّ فى معنى النّفى و فيه معنى التّعجّب اى لا يكون للمشركين عهد عند اللّه و هو جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: كيف يصحّ الغدر و نقض العهد؟

فقال ليس لهم عهدٌ (اِلَّا الَّذينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فَما اسْتَقامُوا لَكُمْ فَاسْتَقيمُوا لَهُمْ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقينَ) عن نقض العهد (كَيْفَ وَ اِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) تكرار كيف لمناسبة مقام الذّمّ و السّخط (لا يَرْقُبُوا فيكُمْ اِلّاً) قرابة او حلفاً و عهداً (وَ لا ذِمَّةً) عهداً على التّفسير الاوّل لألّاً او حقّاً فى ذمّتهم على التّفسير الثّانى.

(يُرْضُونَكُمْ بِاَفْواهِهِمْ وَ تَأْبى قُلُوبُهُمْ) عمّا يقولون بافواههم (وَ اَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ) خارجون عن حكومة العقل و حكومة خليفة اللّه و ذكر الاكثر لانّ بعض الكفّار لهم حالة انقياد لطاعة العقل ان نبّههم منبّهٌ (اِشْتَرَوْا بِآياتِ اللّٰهِ) استيناف فى موضع التّعليل لفسقهم و الآيات اعمّ من الآيات التّكوينيّة النّفسانيّة و الآفاقيّة و التّدوينيّة (ثَمَناً قَليلاً) من الاعراض الدّنيويّة و الاغراض الفاسدة و التّمتّعات الفانية.

(فَصَدُّوا عَنْ سَبيلِهِ) اعرضوا او منعوا عن سبيله التّكوينىّ و هو سبيل العقل فى العالم الصّغير او عن سبيله التّكليفىّ و هو النّبوّة او الولاية

(اِنَّهُمْ سٰآءَ مٰاكٰانُوا يَعْمَلُونَ) من اشتراء الآيات و الصّدّ عن السّبيل فانّ وباله لا يرجى غفرانه (لاٰ يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ) التّكرار باعتبار مطلوبيّة التّكرار فى مقام الذّمّ و السّخط (اِلّاً وَ لاٰ ذِمَّةً وَ اُولٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ)الكاملون فى الاعتداء.

(فَاِنْ تٰابُوا وَ اَقٰامُوا الصَّلٰوةَ وَ آتَوُا الزَّكٰوةَ فَاِخْوانُكُمْ فِى الدّينِ)التّكرار هنا ايضاً من التّكرار المطلوب (وَ نُفَصِّلُ الْآيٰاتِ) التّكوينيّة بالآيات التّدوينيّة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَ اِنْ نَكَثُوا اَيْمٰانَهُمْ) جمع اليمين بمعنى العهد لانّ العهد ينعقد باليمين او لانّ العهد شبيه باليمين بمعنى الحلف (مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِى دينِكُمْ فَقٰاتِلُوا اَئِمَّةَ الْكُفْرِ) وضع المظهر موضع المضمر اشعاراً بوصف ذمٍّ لهم.

(اِنَّهُمْ لاٰ اَيْمٰانَ لَهُمْ) فانّ الايمان اذا لم تقترن بالوفاء كان وجودها كالعدم (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) عن الكفر و الغدر فى الايمان.

اعلم، انّ تنزيل الآيات فى المشركين باللّه و تأويلها فى المشركين بالولاية فانّ كلّ من بايع محمّداً ﷺ اخذ عليه ان لا يخالف قوله فكلّ من خالف قوله فى علىّ ؏ نكث عهده و يمينه كاصحاب السّامرىّ و عجله و كاصحاب الصّفّين و كلّ من بايع عليّاً ؏ ثمّ خالفه كاصحاب الجمل و النّهروان فقد نكث عهده و يمينه لكنّ القتال ما وقع الّا مع اصحاب الجمل و الصّفّين و النّهروان و فى الاخبار و ورود تفسيرها بحسب التّأويل بالمشركين بالولاية.

(اَلاٰ تُقٰاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا اَيْمٰانَهُمْ)تحريص على القتال و تكرير للحكم بلفظٍ آخر لاقتضاء مقام الغضب له.

(وَ هَمُّوا بِاِخْراجِ الرَّسُولِ) قبل الايمان فانّ مشركى مكّة قبل

المعاهدة و الحلف مع الرّسول ﷺ همّوا باخراجه عام الهجرة فانّ المشاورة و الهمّة باخراجه كانت عام الهجرة قبل الهجرة كما مضى حكاية مشاورتهم فى دار النّدوة و المعاهدة و الايمان كانت عام الحديبية و عام فتح مكّة (وَ هُمْ بَدَؤُكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ) بالمعاداة و مقابلة البادى بالمقاتلة كان جزاء عمله لا تعدّى فيها (اَتَخْشَوْنَهُمْ) لاينبغى لكم ان تخشوهم مع كونكم مؤمنين باللّه مستظهرين به تجرئة لهم.

(فَاللّٰهُ اَحَقُّ اَنْ تَخْشَوْهُ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) شرط تهييج فانّ ايمانهم العامّ محقّق و هو يقتضى الاستظهار به و عدم الخوف من غيره و الخوف من سخطه (قَاتِلُوهُمْ) تكرار باعتبار اقتضاء السّخط و لبيان العلل المختلفة و الغايات المترتّبة فانّ قوله: فقاتلوا ائمّة الكفر؛ معلّل بأنّهم لا ايمان لهم و قوله: الا تقاتلون قوماً نكثوا؛ الّذى هو فى معنى قاتلوا معلّل بنكث الايمان و همّة اخراج الرّسول و البدأة فى القتال.

و قوله قاتلوهم مغيّىً بتعذيبهم على ايدى المؤمنين و العمدة مطلوبيّة التّكرار لاقتضاء مقام السّخط له (يُعَذِّبْهُمُ اللّٰهُ بِاَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ)ذكر غايات خمس: الاوّل ـ تعذيبهم بالنّسبة الى من يقتل و يجرح، و نسب التّعذيب الى ايدى المؤمنين للاشارة الى انّ ايديهم كما انّها اجزاء لهم و منسوبة اليهم كذلك هى آلات لفعله تعالى و واسطة اثره.

و الثّانى ـ اخزاؤهم بالاذلال و اتلاف المال بالنّسبة الى من سلم من القتل و الجرح و هما راجعان الى الكفّار.

و الثّالث ـ ظهور نصرته و غلبة المؤمنين عليهم فانّه لولا المقاتلة لم

يظهر النّصرة.

و الرّابع ـ شفاء صدور المؤمنين و استعمال الشّفاء و التّشفيّ منتسبين الى الصّدر و باعتبار الالم الّذى يصل اليها من اعتداء المعتدى.

و الخامس ـ اذهاب غيظ قلوبهم و غيظ القلوب عبارة عمّا يحمل الانسان على ارادة الانتقام و هو ناشٍ من الم القلوب.

و هذه الثّلاثة بالنّسبة الى المؤمنين و نسبة الشّفاء و اذهاب غيظ القلوب الى قومٍ من المؤمنين للاشارة الى انّ بعض المؤمنين لا يتألّمون من اعتداء المشركين بل يرون اعتداءهم سائقاً لهم الى ربّهم.

كما انّ مرافقه مولاهم قائدة لهم و قوله بالفارسيّة «در بلاهم ميچشم لذّات او» اشارة الى هذا (وَ يَتُوبُ اللّٰهُ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ) ادّاه مرفوعاً بصورة الاستيناف للاشارة الى عدم لزومه للمقاتلة كسوابقه لكن اتى بادات العطف مشعراً بانّه ايضاً قد يترتّب على المقاتلة (وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ) بالغايات المترتّبة على المقاتلة و لذا يأمركم بها (حَكِيمٌ) لا يأمركم الّا بما فيه صلاحكم و صلاح اعداءكم.

(اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تُتْرَكُوا) على فراغكم و لا تؤمروا بالمقاتلة (وَ لَمّٰا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِينَ جٰاهَدُوا مِنْكُمْ) اى جهاد المجاهدين فانّ فى الاتيان بالموصول ايماءً الى اعتبار حيثيّة الصّفة و لمّا كان لعلمه تعالى مراتب و بعض مراتبه مع الحادث و فى مرتبة الحادث و ان كانت بالنّسبة اليه تعالى قديمة واجبة بقدمه و وجوبه تعالى صحّ نفى العلم عنه باعتبار نفى حدوث الحادث، او الفعل مضمّن معنى الظّهور اى و لمّا يظهر علمه بالّذين جاهدوا منكم.

او نسبة نفى العلم اليه تعالى باعتبار مظاهره اى لمّا يعلم النّبيّ الّذى هو

مظهر اللّه (وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً) عطف على جاهدوا و الوليجة الجماعة الّتى يكون الشّخص مراوداً لهم و مستظهراً بهم و خاصّتك من الرّجال و من تتّخذه معتمداً عليه من غير اهلك و اللّصيق بالشّخص الّذى لا ينفكّ عنه، و المراد بالمؤمنين الائمّة كما فى الاخبار لانّهم الكاملون فى الايمان و لانّهم الاصل فيه و ايمان غيرهم فرع ايمانهم، و لانّهم يجعلون النّاس فى امان اللّه بالبيعة معهم و يجيز اللّه امانهم، و يجوز تعميم المؤمنين، و فسّر الوليجة فى الاخبار بالبطانة و بمن يقام دون ولىّ الامر (وَ اللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)فيعلم المجاهد.

و آخذ الرّسول ﷺ و المؤمنين وليجة، و يعلم القاعد، و الآخذ غير اللّه و رسوله و المؤمنين وليجةً، و هو ترغيب فى المجاهدة و الاعتماد على اللّه و تهديد عن القعود و الاعتماد على غير اللّه.

(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ اَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللّهِ) استيناف لردّ مفاخرة المشركين بعمارة المسجد الحرام و سقاية الحاجّ و حجابة البيت و فكّ العناة كما فسّر فى الاخبار، و فيه ايضاً ردع للمؤمنين عمّا يتخاطروا به من عدم جواز مقاتلة المشركين مع كونهم مباشرين لتلك الاعمال السّنيّة و المناصب الشّريفة، و المقصود انّه ليس الاعتبار بمشاكلة صورة اعمال الابرار و ان صدرت من الاشرار بل الاعتبار بمصدر الاعمال فتعميرهم فى الحقيقة تخريب لمسجد القلب حيث يراؤن و يفتخرون به، و سقايتهم صدّ متعطّشى مملكتهم عن ماء الحيوة حيث يعجبون به.

و حجابتهم حجابة الشّيطان لبيته الّذى هو بيت النّفس، و فكّ العناة اسر لاحرار قواهم و صدّ لهم عن الرّجوع الى مولاهم، انّما يعمر مساجد اللّه

من آمن باللّه يعنى بالايمان باللّه و مساجد اللّه هى الصّدور المنشرحة بالاسلام و القلوب المستنيرة بنور الايمان و عمارتها بالاسلام و الايمان؛ و لذا قال اشارةً الى هذا البيان.

(شٰاهِدِينَ عَلٰى اَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ) حالاً حيث يعملون اعمال الكفر و قالاً حيث يقولون ما يلزم الكفر من عدم الاعتقاد بالبعث و الحساب و بارسال الرّسول و انزال الكتاب و غير ذلك ممّا يستلزم الكفر و عدم المعرفة باللّه.

(اُولٰئِكَ حَبِطَتْ اَعْمٰالُهُمْ) فلا يباهوا بصور اعمالهم و لا تنظروا ايّها المؤمنون الى صورها لانّها ساقطة بل هى كالاجساد الميتة الّتى تؤذى حاملها.

(وَ فِى النّٰارِ هُمْ خٰالِدُونَ اِنَّمٰا يَعْمُرُ مَسٰاجِدَ اللّٰهِ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَ اَقٰامَ الصَّلٰوةَ وَ اٰتَى الزَّكٰوةَ) لا غيرهم فهو تأكيد للنّفى السّابق بمفهومه و لمّا كان عمارة المساجد الصّوريّة مع الاتّصاف بالشّرك تخريباً للمساجد الحقيقيّة الّتى هى القلوب و اربابها و كان حكم التّخريب غالباً و حكم العمارة مغلوباً كأنّها لم تكن.

و كان الايمان باللّه و اليوم الآخر الّذى هو كمال القوّة النّظريّة فى اعتقاد المبدء و المعاد و قد اندرج فيه جميع المعارف الرّاجعة الى المبدء و المعاد و اقام الصّلوة و ايتاء الزّكوة اللّذان هما كمال القوّة العلميّة، و هما اصلان لجميع النّسك و العبادات عمارةً للمسجد الحقيقىّ الّذى هو القلب و صاحبه و صار حكمها غالباً بحيث تنسب الى المساجد الصّوريّة و ان لم تكن فيها عمارة قال بطريق الحصر: انّما يعمر مساجد اللّه آتياً بالجمع المضاف المفيد للعموم و

بمن الموصولة المفيدة للعموم، مع انّ اكثر المؤمنين لم يعمروا مسجداً قطّ و لو صحّح بتضمين يعمر معنىً يصحّ فالتّأدية بهذه الصّورة للاشارة الى هذا المعنى (وَ لَمْ يَخْشَ اِلَّا اللّٰهَ) تعريض بالضّعفاء من المؤمنين.

(فَعَسٰى اوُلٰئِكَ اَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ اَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحٰاجِّ وَ عِمٰارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ اٰمَنَ) اى كعمل من آمن او هو بتقدير مضاف فى جانب المسند اليه و هو خطاب للمشركين او للمؤمنين او للجميع (بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ) و هو كمال العلم (وَ جٰاهَدَ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ) و هو اجمال الصّلوة و الزّكوة اللّتين هما كمال العمل، و التّكرار باعتبار مطلوبيّته فى مقام الذّمّ و المدح (لٰا يَسْتَوُنَ عِنْدَ اللّٰهِ) بحسب العلم و العمل اى الحال الّتى هم عليه (وَ اللّٰهُ لٰا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ) فلا يستوون بحسب الغاية ايضاً لانّ اللّه يهدى المؤمنين.

و وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بذمٍّ لهم و بعلّة عدم هدايتهم (اَلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ بِاَمْوٰالِهِمْ وَ اَنْفُسِهِمْ اَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّٰهِ) تكرار الاوصاف باعتبار اقتضاء مقام المدح (وَ اُولٰئِكَ)الموصوفون بتلك الاوصاف العظيمة (هُمُ الْفٰائِزُونَ) لا غيرهم (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوٰانٍ) تفصيل لفوزهم، و الرّحمة هنا محمّد صلّى الله عليه وآله و نبوّته لانّها صورة الولاية الّتى هى الرّحمة، و الرّضوان علىّ عليه السلام و ولايته، و التّنكير للتّفخيم (وَ جَنّٰاتٍ لَهُمْ فِيهٰا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خٰالِدِينَ فِيهٰا اَبَداً اِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ اَجْرٌ عَظِيمٌ)كأنّه استكثر ما ذكر.

فقال تعالى: هذا فى جنب ما عنداللّه لهم قليل فهو استينافٌ جوابٌ

لسؤالٍ مقدّرٍ (يٰا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا) بالايمان العامّ (لٰا تَتَّخِذُوا اٰبٰائَكُمْ وَ اِخْوٰانَكُمْ اَوْلِيٰاءَ اِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْايمٰانِ) فانّ نسبة الايمان قطعت النّسبة الجسمانيّة فهى مقدّمة على نسبة القرابة الجسمانيّة.

و نقل عن الباقر عليه السلام انّ الكفر فى الباطن فى هذه الآية ولاية مخالفى علىّ عليه السلام و الايمان ولاية علىّ بن ابى طالب عليه السلام؛ و على هذا فليعمّ الايمان الايمان الخاصّ، و معلوم انّ احكام الايمان العامّ جارية فى الايمان الخاصّ بل هو اولى بها من الايمان العامّ.

(وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ) حيث وضع ولايته فى غير موضعها و ظلم نفسه بالصّرف عن جهة الايمان الى جهة الكفر.

(قُلْ اِنْ كٰانَ اٰبٰاؤُكُمْ وَ اَبْنٰاؤُكُمْ وَ اِخْوٰانُكُمْ وَ اَزْوٰاجُكُمْ وَ عَشيرَتُكُمْ وَ اَمْوٰالٌ اقْتَرَفْتُمُوهٰا وَ تِجٰارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسٰادَهٰا وَ مَسٰاكِنُ تَرْضَوْنَهٰا)ذكر اصول مشتهيات النّفس (اَحَبَّ اِلَيْكُمْ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهٰادٍ فى سَبيلِهِ).

اعلم، انّ الانسان واقع بين النّفس و العقل و مقتضيات النّفس هى الاعراض الدّنيويّة المعدودة و اصولها فى الآية و مقتضيات العقل الامور الاخرويّة الباقية و الانزجار عن الاعراض الفانية و رفضها الّا من باب المقدّمة، و المبتلى بالنّفس و مقتضياتها واقع فى جهنّامها و لا محالة يكون سبيله الى السّجّين و دار الشّياطين، و المتنعمّ بالعقل و مقتضياته واقع فى طرف الآخرة و لا محالة يكون سبيله الى الجنان و نعيمها، فمن غلب عليه حبّ الاعراض فليعالج نفسه و ليتضرّع الى ربّه حتّى لا يكون ممّن او عده اللّه

بقوله.

(فَتَرَبَّصُوا حَتّىٰ يَأْتِيَ اللّٰهُ بِاَمْرِهِ) من ازهاق الرّوح و حضور الموت فانّه حينئذٍ ينكشف له انّه كان فى جهنّام النّفس و سبيله الى السّجّين.

(وَ اللّٰهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰاسِقِينَ) يعنى انّ اختيار الاعراض الفانية على الامور الباقية فسق و الفاسق لا يهديه اللّٰه الى سبيل الجنان فوضع الظّاهر موضع المضمر للدّلالة على فسقهم و علّة تهديدهم.

روى انّه لمّا آذن امير المؤمنين عليه السلام بمكّة ان لا يدخل المسجد الحرام مشرك بعد ذلك العام جزعت قريش جزعاً شديداً و قالوا: ذهبت تجارتنا و ضاع عيالنا و خربت دورنا فأنزل اللّٰه تعالى قل ان كان اباؤكم (الآية).

(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ فِي مَوٰاطِنَ كَثِيرَةٍ) فليرجّح طالب الاعراض الفانية محبّة اللّٰه و رسوله حتّى يحصل مأموله روى انّ المواطن كانت ثمانين و هى مواقع الحرب (وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ) من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ و سبب غزوة حُنين و هو وادٍ بين مكّة و الطّائف انّ رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله حين خرج لفتح مكّة اظهر انّه يريد هوازن، و بلغ الخبر اليهم فتهيّؤا و جمعوا اموالهم و نساءهم و ذراريهم وحملوها معهم و قصدوا رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله، فبلغ الخبر اليه صلى الله عليه وآله فجمع القبائل و وعدهم النّصر و الغنيمة فجمع اثنى عشر الفاً و خرج من مكّة يستقبلهم.

فقال ابوبكر معجباً لن نغلب اليوم فلمّا التقى الفريقان فى وادى حنينٍ و هو وادٍ له انحدار بعيد انهزم المسلمون هزيمة فاحشة ثمّ نصرهم اللّٰه بالملائكة فأخذوا غنائم و افرة و اسارى كثيرةً بلغ عدد الاسارى ستّة آلافٍ.

و لمّا لم يخف نصرة اللّٰه فى ذلك اليوم على احدٍ حتّى على المشركين

حيث قال بعض اساراهم: اين الخيل البلق؟! و الرّجال عليهم ثياب بيض؟ و كان الغنائم و الاسارى اكثر ما يكون؛ خصّه اللّه بالذّكر (اِذْ اَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) قد مضى انّ المعجب كان ابوبكر و قد ساء مقالته رسول اللّه ﷺ.

(فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً) من الاغناء او شيئاً من بأس الاعداء فانّ الكثرة اذا لم تكن قرينة للنّصرة لا تنفع، و النّصرة هى المغنية سواء كانت قرينة للكثرة او للقلّة.

(وَ ضٰاقَتْ عَلَيْكُمُ الْاَرْضُ) حين غلبتم و انهزمتم (بِمٰا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) عن رسول اللّه ﷺ و عن الجهاد.

(ثُمَّ اَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) يعنى بعد ما صرتم مغلوبين و علمتم انّ الكثرة و تهيّة الاسباب لا تغنى و لا تصير سبباً للغلبة انزل اللّه سكينته الّتى هى سبب اطمينانكم و قوّة قلوبكم.

و السّكينة على ما فسّرت فى الاخبار من، انّها ريح تفوح من الجنّة لها وجه كوجه الانسان، تناسب ما فسّرها به الصّوفيّة الصّافية من انّها صورة ملكوتيّة تظهر على صدر الانسان متصوّرة للاتباع بصورة الشّيخ المرشد و للمتبوعين بصورة مناسبة لهم تسمّى بالملك او بجبرئيل بحسب تفاوت مراتبهم.

و حين تمثّل صورة الشّيخ او الملك يصير ملكوت المتمثّل له غالبة و ملكه مغلوباً و حينئذٍ يكون له الغلبة على النّفس و اهويتها و على الملك و من وقع فيه، لانّه مؤيّد بالسّكينة الّتى هى من سنخ الملك و جاذبة للملائكة و لذا قال بعد انزال السّكينة.

(وَ اَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهٰا) و قد مضى تحقيق السّكينة فى سورة

البقرة عند قوله تعالی: اِنَّ آیَةَ مُلْکِهِ اَنْ یَأْتِیکُمُ التَّابُوتَ فیهِ سَکینَةٌ مِنْ رَبِّکُمْ.

(وَ عَذَّبَ الَّذینَ کَفَرُوا) بالقتل و الاسر و نهب الاموال (وَ ذٰلِکَ جَزٰاءُ الْکٰافِرینَ) تعریض بالامّة حیث کانوا یکفرون بعد محمّدٍ ﷺ بالولایة، و قصّة حنین مذکورة فی المفصّلات مفصّلة من أراد فلیرجع الیها.

(ثُمَّ یَتُوبُ اللّٰهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ) التّعذیب (عَلیٰ مَنْ یَشٰاءُ) یعنی لا تنظروا الیهم بعد التّعذیب بنظر التّحقیر لامکان تدارک رحمته تعالی لهم لانّهم عباد اللّه و صنائعه (وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحیمٌ).

قد یؤاخذ عباده اصلاحاً لهم کما قد یؤاخذ نقمةً لهم و الّا فمغفرته و رحمته سابقة (یٰا اَیُّهَا الَّذینَ اٰمَنُوا اِنَّمَا الْمُشْرِکُونَ نَجَسٌ) ابداء حکم آخر (فَلاٰ یَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرٰامَ بَعْدَ عٰامِهِمْ هٰذٰا وَ اِنْ خِفْتُمْ عَیْلَةً) بسبب قلّة تجارتکم لمنع المشرکین عن التردّد الی بلدتکم فثقوا باللّه و ارجوا فضله.

(فَسَوْفَ یُغْنیکُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ اِنْ شٰاءَ) التّعلیق علی المشیّة لقطع الاغترار بالوعد و لانّه لم یکن لکلّهم و قد انجز وعده بعد اجلاء المشرکین بتبسّط اهل المدینة و مکّة علی سائر البلاد و بعد ذلک بتوجّه اهل الشّرق و الغرب الیها (اِنَّ اللّٰهَ عَلیمٌ) بعواقب او امره و نواهیه (حَکیمٌ) لا یأمر و لا ینهی الّا لمصلحةٍ و حکمةٍ.

(قٰاتِلُوا الَّذینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ لاٰ بِالْیَوْمِ الْاٰخِرِ) بعد ما اظهر حکم المشرکین و اجلاءهم و مقاتلتهم بتأکیدٍ و تغلیظٍ بیّن حکم اهل الکتاب و لم یصدّره بالنّداء اشارةً الی التّفاوت بینهم و بین المشرکین فی

التّغليظ.

(وَ لاٰ يُحَرِّمُونَ مٰا حَرَّمَ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ لاٰ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰابَ) لفظ من للتّبعيض (حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ) ما يقرّر و يقضى من جزى دينه اذا قضاه (عَنْ يَدٍ) عن قوّة و بطشٍ منكم و هذا مثل سائر فى العرب و العجم يقول العاجز الذّليل تحت يد غيره: افرّ عن يده، كما يقول العجم «فرار كردم از دست فلانكس» و هذا المعنى هو المناسب للمقام و لتنكير لفظ اليد.

و قد ذكر له معانٍ اُخر مثل: منقادين، و عن غنىً، و عن انعامٍ، و عن يدهم لا يد غيرهم (وَ هُمْ صٰاغِرُونَ) اذلّآء و حكم الجزية و اهلها مذكور فى المفصّلات من التّفاسير و الكتب الفقهيّة.

(وَ قٰالَتِ الْيَهُودُ) امّا استيناف على القول بمجىء الواو للاستيناف، او عطف باعتبار المعنى فانّ تعليق الامر بالمقاتلة على الموصول للاشعار بعلّة الحكم فكأنّه قال: قاتلوا الّذين لا يؤمنون باللّه من جهة انّهم لم يؤمنوا و قالوا (عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ) و وضع الظّاهر موضع المضمر لارادة التّفصيل و تعيين قائل كلّ قول.

اعلم، انّ القائلين عزيرٌ ابن اللّه، و المسيح ابن اللّه، و نحن ابناء اللّه، لم يريدوا بتلك الكلمة ما يفهم منها بحسب الظّاهر من التّوليد و التّجسيم و اثبات الزّوج للّه، بل ارادوا بيان النّسبة الرّوحانيّة بهذه الكلمة و قالوا من حصل له القرب من اللّه بحيث يأخذ الاحكام و الآداب منه تعالى بلا واسطة بشرٍ فهو ابن اللّه، و كذا من انتسب الى اللّه بواسطة الاتّصال بنبيٍّ او وليٍّ فهو ابن اللّه بياناً لشدّة القرب او لصحّة الانتساب و لا شكّ فى صحّة هذا المعنى، و لكنّها

ممنوعة فى حقّه تعالى لايهامها معناها الظّاهر و التّجسيم و التّوليد كما حمل الاتباع هذه الكلمة على ظاهرها و قالوها بمعناها الظّاهر.

و لا شكّ انّ معناها الظّاهر كفر و فرية، و لهذا حكاها تعالى شأنه عنهم ذمّاً لهم (وَ قٰالَتِ النَّصٰارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّٰهِ) نقل انّه كان يقول: انّ ابى يقول كذا ، و ثبت هذاالمعنى فى الانجيل (ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوٰاهِهِمْ) لا اعتقاد لهم به بأىّ معنىً كان فانّ الاعتقاد بهذاالمعنى يقتضى العمل بمقتضاه و هو عدم التّخلّف عن قول من نسبوه بالنّبوّه الى اللّه و ليس كذلك مثل قوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم.

(يُضٰاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا) اى يضاهئ قولهم قول الّذين كفروا، بحذف المضاف و اقامة المضاف اليه مقامه، و المضاهاة فى عدم كون قول كلّ عن اصل و عدم موافقته للاعتقاد و كون كلّ ناشئاً من محض التخيّل من غير حجّة عليه كقول المجنون، و المراد بالّذين كفروا.

(مِنْ قَبْلُ) امّا اليهود على ان يكون المراد بهم النّصارى، او مطلق الكفّار (قٰاتَلَهُمُ اللّٰهُ) باعدهم اللّه و لعنهم و كثيراً ما يستعمل فى هذا المعنى فى العرف، و نقل عن علىّ عليه السلام انّه بمعنى لعنهم اللّه (أَنّٰى يُؤْفَكُونَ) عن الحقّ.

(اِتَّخَذُوا أَحْبٰارَهُمْ وَ رُهْبٰانَهُمْ) قد مضى انّ الاحبار علماء الملّة و الرّهبان علماء الدّين و الطّريقة (أَرْبٰاباً مِنْ دُونِ اللّٰهِ) يطلق الرّبّ على المطاع و هو الرّبّ فى الطّاعة، و على المعبود و هو الرّبّ فى العبادة، و على المدبّر فى الوجود و هو الرّبّ فى الوجود و بقائه، و على الخالق و هو الرّبّ فى الايجاد و المقصود من الرّبّ ههنا هو الرّبّ فى الطّاعة حيث قالوا لهم : هذا

حلالٌ و هذا حرامٌ، و هذا من التّوراة و الانجيل، فسمعوا منهم من غير حجّةٍ، و النّاس غير العلماء الالٓهيّين منهم لابدّ لهم من ربٍّ بشريّ يطيعونه لعدم بصيرتهم بأمر دينهم و بأمر دنياهم على وجهٍ لا يضرّهم فى عقباهم و ذلك الرّبّ المطاع امّا منصوبٌ من اللّه فقوله قولٌ من اللّه و قول اللّه، و طاعته طاعة اللّه، و ربوبيّته ربوبيّة اللّه.

و امّا غير منصوب من اللّه فهو غير اللّه و هو ناش من غير اللّه و طاعته غير طاعة اللّه فقوله من دون اللّه تقييد للارباب يعنى ارباباً ناشين من دون اللّه من حيث ربوبيّتهم، او ارباباً هم بعض من غير اللّه على ان يكون من للابتداء اوللتّبعيض (وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) عطف على احبارهم يعنى اتّخذوا المسيح بن مريم ربّاً فى العبادة و لذا جاء به بعد تمام حكم المعطوف عليه و اخّره عن الاحبار ليكون ترقّياً الى الابلغ فى الذّمّ.

ان قلت: انّ المسيح منصوب من اللّه فهو ربّ من اللّه و لاذمّ فى اتّخاذه ربّاً؟! فالجواب انّ ربوبيّته فى الطّاعة من حيث انّه من اللّه ممدوحة و امّا ربوبيّته فى العبادة كما تفهم من قولهم انّه آلهٌ او انّه ابن اللّه، او انّه ثالث ثلاثةٍ و كذا ربوبيّته فى الطّاعة من حيث انّه مستقلّ فى الرّبوبيّة فهى مذمومة و اشراك باللّه.

(وَ مَا أُمِرُوا اِلَّا لِيَعْبُدُوا اِلٰهاً وٰاحِداً) غير مركّب فى ذاته و غير متعدّد فى الوجود فطاعة الرّسل ان كانت من حيث انّهم رسل اللّه طاعة اللّه و طاعتهم لا من تلك الحيثيّة ليست طاعة اللّه.

(لاٰ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ) صفة بعد صفة او حال او مستأنف و المقصود منه حصر الالٓهة فيه كأنّه قال: ما أمروا الّاليعبدوا آلهاً واحداً محصوراً فيه الالٓهة

(سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) فى الطّاعة و الولاية كاشراك الاحبار و الرّهبان او فى الطّاعة و العبادة و الآلهة جميعاً كاشراك المسيح و هو تعريض بالامّة حيث اشركوا فى الولاية و الطّاعة من لم ينصبه اللّه و للاشارة الى التّعريض قال تعالى.

(يُرِيدُونَ اَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّٰهِ بِاَفْوٰاهِهِمْ) بالمضارع و الّا فالمناسب لحال اليهود و النّصارى ان يقول: ارادوا مثل اتّخذوا بالماضى و المراد بنور اللّه ولاية علىّ عليه السلام فانّها نور يظهر به الحقّ و يتميّز به السّعيد عن الشقىّ.

و المراد بالاطفاء بالافواه القاء الشّبهات و الاحاديث الموضوعات و التّحريف فى الكتاب للتّدليس على الجهّال شبّه ذلك بالنّفخ فى السّراج و فى الاخبار ما يدلّ على التّعريض المذكور (وَ يَاْبَى اللّٰهُ اِلّاٰ اَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكٰافِرُونَ) باللّه او بالرّسالة بحسب التّنزيل او بالولاية بحسب المراد.

(هُوَ الَّذِي اَرْسَلَ رَسُولَهُ) امّا استيناف منقطع عمّا سبق لابداء حكمٍ آخر قطعاً لاطماع المشركين فى ابطال رسالة محمّد صلى الله عليه و آله و على هذا فاضافة الرّسول للعهد.

و امّا استيناف فى موضع التّعليل لقوله و يأبى اللّه الّا ان يتمّ نوره اى رسالة رسوله و على هذا فاضافة الرّسول صلى الله عليه و آله، امّا لتعريف الجنس و تعميمه او لتعريف العهد و فيه ايضاً قطع لاطماع المشركين، و المراد بالرّسول امّا معنىً عامّ للرّسل عليهم السلام و اوصيائهم عليهم السلام فانّهم رسل من اللّه بواسطة الرّسل، او معنى خاصّ بالرّسل الاصطلاحيّة الّذين اوحى اليهم بشرعٍ و تبليغه، او المراد

محمّد ﷺ و على التّقديرين الاخيرين فالمقصود سراية الحكم الى اتباعهم او اتباعه.

امّا من باب الفرعيّة و التّبعيّة و امّا لانّهم اجزاء الرّسل بحسب سعتهم الولويّة و امّا لانّهم مظاهر الرّسل بحسب صدورهم و قلوبهم و عقولهم، فيصحّ تفسير الآية بخروج القائم عجّل اللّه فرجه و انّها ممّا لم يأت تأويلها و انّه عليه السلام اذا ظهر ظهر على الاديان كلّها (بِالْهُدٰى) بما به الهدى و هو الاحكام القالبيّة الشّرعيّة كما اشير الى تسمية الاسلام و احكامها بالهدى فى قوله تعالى: و لكنّ اللّه يمنّ عليكم ان هداكم للايمان.

(وَ دِينِ الْحَقِّ) دين الحقّ و هو طريق الحقّ و هو الولاية و الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الباطنة الولويّة و بعبارةٍ اخرى الهدى هو الاسلام و دين الحقّ هو الايمان و قد فسّر دين الحقّ بولاية علىّ عليه السلام فى اخبارنا.

فعن الكاظم عليه السلام فى هذه الآية و الآية السّابقة: و هو الّذى امر رسوله بالولاية لوصيّه و الولاية هى دين الحقّ ليظهره على جميع الاديان عند قيام القائم عليه السلام و اللّه متمّ ولاية القائم عليه السلام و لو كره الكافرون بولاية علىّ عليه السلام قيل: هذا تنزيل؟ ـ قال: نعم هذا الحرف تنزيل و امّا غيره فتأويل (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) اتى بالمفرد المستغرق بقرينة التّأكيد بالكلّ دون الجمع روماً للاختصار و اشعاراً بانّ الاديان الباطلة مع كثرتها و نهاية فرقتها متّحدة فى الغاية و هى الانتهاء الى السّجّين و الملكوت السّفلى (وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) باللّه او بالرّسالة او بالولاية (يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبٰارِ وَ الرُّهْبٰانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوٰالَ النّٰاسِ بِالْبٰاطِلِ) اتى بالنّداء و مؤكّدات الجملة من انّ و اللّام و اسميّة الجملة امّا للاشعار بأنّ

شأنهم التّحفّظ عن اموال النّاس بحيث ينبغى ان ينكر هذا منهم او يردّد فى وقوعه منهم حتّى يكون ابلغ فى الذّمّ و التّفضيح.

اولتأكيد لازم الحكم الذّى هو المقصود منه من ذمّهم و تفضيحهم و تنفير النّاس منهم و من اقوالهم (وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ) عن النّبىّ ﷺ او عن الولىّ عليه السلام و المقصود التّعريض بأمّة محمّد ﷺ و من يأتى بعده بصورة الاحبار و الرّهبان من المتسمّين بالعلماء و الفقهاء و بالصّوفيّة و العرفاء الذّين لا فقه لهم سوى ما يحصل به الاعراض و الاغراض و لا معرفة لهم و لا تصوّف سوى الدّلق و الحلق.

(وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ) امّا عطف على ليأكلون و وجه حسنه مع الاختلاف بالاسميّة و الفعليّة الاشعار بانّ الذّين يكنزون الذّهب مشهور ذمّهم بحيث لا ينكر و انّ الاحبار و الرّهبان هم الذّين يكنزون و قد اشتهر ذمّهم فلا تبالوا بقولهم.

و امّا عطف على اسم انّ عطف المفرد او عطف على جملة انّ مع اسمها و خبرها بتقدير مبتدء او بتقدير خبر او مستأنف بجعل الذّين مبتدء و قوله فبشّرهم خبراً له و قد مرّ انّ ما يسمّونه و او الاستيناف هو و او العطف بلحاظ المعنى.

(وَ لاٰ يُنْفِقُونَهٰا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ اَلِيمٍ) دخول الفاء فى الخبر على كونه خبراً لكون المبتدء فى معنى الشّرط.

(يَوْمَ يُحْمٰى) يوقد النّار (عَلَيْهٰا) على الذّهب و الفضّة و ضمير المؤنّث باعتبار معنى الجمعيّة و الكثرة فيهما (فِي نٰارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوٰى بِهٰا جِبٰاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ) ذكر تعالى اشرف الاجزاء و اقواها

اشارةً الى شمول الكىّ او لانّهم ارادوابالكنزا لوجاهة و نعامة فراش الجنبين و الظّهر مقولاً لهم (هٰذٰا) الّذى تكوون به.

(مٰا كَنَزْتُمْ) او هذا الكىّ غاية ماكنزتم و هو ضدّ ما اردتم (لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مٰا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) اى وباله قداختلف الاخبار فى حقيقة الكنز و فى قدر يصدق عليه الكنز و فى مالٍ يصدق عليه و قدذكرت الاخبار فى المفصّلات.

و تحقيق الحقّ فيه موافقاً لاشارات الاخبار انّ الانسان له مراتب كثيرة و حكمه و حاله فى كلّ مرتبة مخالف لحاله فى غيرها، مثلاً الواقع فى جهنّام النّفس الّذى لايرى الخير الّا ما اقتضته نفسه و لايرى الّا الاسباب و كان محجوباً عن اللّه و تسبيبه، فكلّما جمع مالاً لايكون ذلك منه الّا محض حبّ المال او محض الاتّكال فى المعاش عليه مع عدم الوثوق باللّه و التّوكّل عليه.

و هذا المال منه كنز قليلاً كان او كثيراً تحت الارض كان او فوقها مؤدّىً زكوته او غير مؤدّى، بل هو شرك باللّه و كفر و صاحبه و ثنىّ و ذلك المال صنمه، و ان توجّه من جهنّام النّفس الى الملكوت العليا و لا محالة يكون منزجراً عن النّفس و جهنّامها لكنّه ما لم يخرج منها يكون مقيّداً مبتلى بمقتضياتها و سلاسل شهواتها، فان جمع فى حال التّوجّه و الانزجار متوكّلاً به على اللّه مصداقاً لما قيل فى مضمون الصّحيحة النّبويّة: (مثنوى) «***با توكّل زانوى اشتر ببند***» معيناً به على خروجه و على معيشته لم يكن كنزاً.

لانّه حينئذٍ يؤدّى حقوقه الواجبة و المندوبة حيث يريد الخروج من تحت امر نفسه و الدّخول تحت امر ربّه، و ان جمع فى حال التّقييد بالنّفس و مشتهياتها و لا محالة يكون محجوباً من اللّه و التّوكّل عليه كان كنزاً ادّى

حقوقه او لم يؤدّ، و ان خرج من تلك الجهنّام الى الجانب الايمن من طور الصّدر كان له الحالتان لكن ايضاً لكن تقيّده بسلاسل شهواتها يكون اضعف، و ان خرج من بيت نفسه الخراب الى بيت قلبه المعمور فهو ايضاً ذووجهين و له الحالان، و ان دخل بيت قلبه فقد دخل دار الامان و فى حقّه قيل:

«كفر گيرد ملّتى ملّت شود»

فميز ان الكنز و عدمه حال الانسان لا حال المال و قدره، فالفقير المحبّ للدّنيا مكتنز، و الغنىّ المنزجر غير مكتنز، و الكنز عبارة عن محبّة الدّنيا المدّخرة فى بيت القلب اعتماداً عليها و وثوقاً بها لا المال المكتنز تحت التّراب (اِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَاللّٰهِ اِثْنا عَشَرَ شَهْراً) استيناف لابداء ذمٍّ اخر للمشركين و علّة اخرى لمقاتلتهم.

اعلم، انّ الايّام و الشّهور الزّمانيّة الّتى ههنا صور للدّهر و الدّهر صورة للسرمد، و الكلّ ظهور سير شمس الحقيقة فى بروجها السّتّة النّزوليّة و السّتّة الصّعوديّة و غروبها فى افق كرة ارض الطّبع و طلوعها و ظهور الكلّ علينا بهذا الزّمان الّذى يعبّر عنه باليوم و اللّيل و الشّهر و العام، فهذه الايّام و الاشهر لها حقائق متمايزة فى مراتب الملكوت و الجبروت و تلك الحقائق لها آثار و خواصّ و رقائق فى هذه، و ما قاله الانبياء عليهم السلام و اصحاب الوحى و التّحديث من خواصّها و ماجرّبه المجرّبون منها عشر من اعشار خواصّها، و ما يترتّب عليها مثل ما قالوا من خواصّ ايّام الاسبوع او ايّام الشّهور.

و مثل ما قالوا من خواصّ الشّهور و لمّا جعل المشركون كالطّبيعيّين و اكثر العوامّ ماسمعوه منها كالاسمار و لم يستمعوه بسمع الحقيقة و الاعتبار بل قالوا: انّ الايّام متشابهة و الاشهر متوافقة لا تمايز بينها فى الحقيقة و انّ ما

قيل فيها من التّمايز و الخواصّ محض اعتبارٍ لا حقيقة له قال تعالى ردّاً عليهم.

انّ عدّة الشّهور عنداللّه كما انّها عندكم اثنى عشر شهراً يعنى ما عندكم من اثنى عشراً قمريّةً فى كلّ عام تقريباً و شمسيّةً فى كلّ عام حقيقةً انّما هى رقائق للحقائق الّتى عندنا، و كلّ منها مظهر لحقيقة من تلك الحقائق و لكلّ خواصّ و آثارٌ ليست لغيره و لذا أتى بالتّميز التّأكيدىّ لاسم العدد تمكيناً فى القلوب و لم يكتف بقوله عنداللّه و قال (فِى كِتَابِ اللّٰهِ) اى مكتوب اللّه او الكتاب المبين الّذى هو العقل او اللّوح المحفوظ (يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْاَرْضَ) يعنى قبل استقرارها عندكم و بعد ما بيّن انّ حقائقها عنداللّه مؤكّداً هذا المعنى بالقيود الثّلاثة بيّن بعض خواصّها بقوله (مِنْهٰا اَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) ذوالقعدة و ذوالحجّة و المحرّم و رجبٌ ثمّ أكّد حرمتها بقوله (ذٰلِكَ الدّينُ الْقَيِّمُ) الّذى لاعوج فيه يعنى اعتقاد حرمتها و التّصديق بها هو الطّريق القويم الّذى كانت الانبياء عليه فمن عدل عنه كان خارجاً عن طريق الانبياء (فَلاٰ تَظْلِمُوا فيهِنَّ اَنْفُسَكُمْ) بان يقتل بعضكم بعضاً و ينهب و يأسر.

او فلا تظلموا فيهنّ انفسكم بالاعتداء فيهنّ بهتك حرمتها بالمقاتلة فيها و ارتكاب سائر ما لا ينبغى (وَ قٰاتِلُوا الْمُشْرِكينَ كٰافَّةً) فى غير تلك الاشهر لانّهم هتكوا حرمتها بالنسىء بقرينة انّما النّسىء زيادة فى الكفر و فى تلك الاشهر حيث بدؤكم بالقتال فيها بقرينة (كَمٰا يُقٰاتِلُونَكُمْ كٰافَّةً) و اتّقوا هتك حرمة تلك الاشهر.

(وَ اعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقينَ اِنَّمَا النَّسيئُ زِيٰادَةٌ فِى الْكُفْرِ) استيناف فى موضع التّعليل للامر بالمقاتلة و المراد بالنّسىء تأخير حرمة الشّهر الحرام الى شهرٍ آخر و تحليل المقاتلة فى ذلك الشّهر الحرام كانوا

اذا جاء الشّهر الحرام و لم يريدوا ترك المقاتلة فيه يقولون: هذا الشّهر كسائر الاشهر فنقاتل فيه و نترك القتال فى شهرٍ آخر، وكونه زيادة فى الكفر لانّه بعد الكفر باللّه بواسطة الكفر بالرّسول تبديل لاحكام اللّه المقرّرة عنده المكتوبة فى كتبه العالية قبل خلق هذا العالم.

(يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) حيث يخرجون من الطّريق القويم المستقيم بالخروج منه (يُحِلُّونَهُ) اى النّسىء او الشّهر الحرام المنسىّ (عَاماً) بيان لضلالتهم (وَ يُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِؤُا) يوافقوا (عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ).

عدد الاشهر الّتى حرّمها اللّه (فَيُحِلُّوا) بالنّسىء (مَا حَرَّمَ اللّٰهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ اَعْمَالِهِمْ) جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ (وَ اللّٰهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) الى الطّريق القويم و لذا احلّوا ما حرّم و حرّموا ما احلّ و زيّن لهم القبائح.

(يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا) بالايمان العامّ او بالايمان الخاصّ (مَا لَكُمْ اِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ) اى الجهاد الصّورىّ او فى طلب الولاية او فى طريق القلب بالجهاد الباطنىّ و الذّكر و الفكر و رفض الهوى و ترك مأمول النّفس (اثَّاقَلْتُمْ اِلَى الْاَرْضِ) ارض التّراب او ارض الطّبع او ارض النّفس.

و نزول الآية فى غزوة تبوك، و سبب غزوة تبوك على ما نقل انّ رسول اللّه ﷺ كتب كتاباً الى بعض حكّام ممالك الشّام و أرسل حارث بن عمر و الازدىّ، و لمّا وصل الحارث الى موتة من قرى بلقاء من اعمال الشّام و منها الى بيت المقدس مرحلتان، قتله شرحيل بن عمر و الغسّانىّ احد امراء القيصر

فوصل الخبر الى رسول اللّه ﷺ فهيّأ سريّة موتة و جعل زيدبن حارثة اميراً عليهم.

و قال حين الوداع: ان قتل زيدٌ فالامير جعفربن أبى طالبٍ، و ان قتل جعفر فالامير عبداللّه بن رواحة، و ان قتل عبداللّه فالامير من ارتضاه المسلمون، و كان يهوديّ حاضراً فسمع مقالته فقال: يا اباالقاسم ان كنت صادقاً فى نبوّتك فكلّ من عيّنته للامارة فلابدّ من ان يقتل.

لانّ انبياء بنى اسرائيل اذا وجّهوا عسكراً الى قتال الاعداء و عيّنوا جمعاً للامارة هكذا قتلوا جميعاً، فتوجّه زيدٌ مع العسكر الى المقصد و بعد المقابلة مع الاعداء و المقاتلة قتل الذّين سمّاهم الرّسول ﷺ للامارة، و روى انّه ما افلت من اهل الاسلام الّا قليلٌ، و روى انّ كثيراً منهم بقوا و غيّروا بعد يوم المقاتلة او ضاعهم فتوهّم شرحيل و ظنّ وصول المدد الى اهل الاسلام و ارتحل و صار متحصّناً.

و رجع اهل الاسلام سالمين الى المدينة، و كان ذلك فى العام الثّامن من الهجرة و فى هذا العام كان فتح مكّة و غزوة حنينٍ مع بنى هوازن، ثمّ لمّا دخل العام التّاسع من الهجرة ورد عير الشّام المدينة و اشاعوا فيها انّ سلطان الرّوم جمع الجنود يريد غزو المدينة، و انّ هرقل قد ساربجنودٍ عظيمةٍ و جلب معهم غسّان و جذام و بهراء و قد قدّم عساكره البلقاء و نزل هو حمص.

فأمر رسول اللّه ﷺ اصحابه بالتهيّؤ الى تبوك و هى من بلاد البلقاء، و بعث الى القبائل حوله و الى مكّة و الى كلّ من اسلم و حثّهم على الجهاد و امر اهل الجدة ان يعينوا من لاقوّة له على الخروج.

روى انّ ابابكرٍ عرض جميع أمواله، و انّ عمر بذل نصف امواله، و انّ

عثمان جهّز مائتی ابلٍ، و قيل: ثلاثمائةٍ ابل، و بذل ألف دينارٍ و عبد الرّحمن بن عوف بذل اربعين وُقيّة من الذّهب و أربعة آلاف درهمٍ، و هكذا بذل كلّ بقدر همّته و سعته و بلغ عسكره ﷺ الی ثلاثين الفاً، و قيل: الی اربعين الفاً، و لمّا كانت تلك الغزوة صعبةً لبعد السّفر و شدّة القيظ و كثرة جنود الاعداء تقاعد بعض عن الحركة و الغزو فنزل: يا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا ما لَكُمْ اِذٰا قيلَ لَكُمُ انْفِرُوا (الآيات).

و سار الرّسول ﷺ بالعسكر فی غاية المحنة و المشقّة فی شدّة حرارة الهواء و قلّة الماء حتّی نزل بعين تبوك و كانت عينه قليلة الماء فغسل ﷺ يده و وجهه بمائها فنبغ الماء منها بحيث أخذ جميع العسكر منه باعجازه ﷺ و مكث ﷺ فی ذلك الموضع عدّة ايّام، فصحّ عنده ﷺ انّ خبر خروج عسكر الرّوم كان كذباً فشاور الاصحاب فی الرّجوع و رجع من هناك، و بعث ﷺ خالدبن الوليد مع اربعمائة و عشرين فارساً ليغير علی دومة الجندل، و بعد وصولهم الی نواحی دومة الجندال فی اللّيل وجدوا أُكيد رحا كمها مع اخيه حسّان و معدودٍ من خدمه فی طلب الصّيد فقاتلوهم و قتلوا حسّاناً و اسروا اكيدروا نهزم قليلٌ منهم، و دخلوا الحصار و تحصّنوا مع اخيه الاخر مصاد فقال الخالد لأكيدر: لا اقتلك و أذهب بك الی رسول اللّه ﷺ ان امرت أخاك و اهل القلعة ان يفتحوا باب الحصار و يسلّموا الينا الف ابلٍ و سبعمائة بردٍ و اربعمائة سنانٍ و اشترط لك ان آخذ حكومة دومة الجندال لك من رسول اللّه ﷺ، فقبل اكيدر وصالح و أرسل الی اخيه مصاد ان: افتح باب الحصار و هيّئ مال الصّلح.

و بعد اخذ مال الصّلح رجع خالد و معه أكيدر و أخوه مصاد و دخلوا

المدينة سالمين غانمين (اَرَضيتُمْ بِالْحَيوةِ الدُّنْيا) استفهام توبيخ (مِنَ الْاٰخِرَةِ) بدل الآخره.

(فَما مَتاعُ الْحَيوةِ الدُّنْيا فِي الْاٰخِرَةِ اِلّا قَليلٌ) الفاء للسّببيّة باعتبار انكار الرّضا بالحيوة الدّنيا (اِلّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً اَليماً وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ) بعداهلاككم تهديد و وعيد بعد توبيخٍ و تقريعٍ (وَ لا تَضُرُّوهُ شَيْئاً) بهلاككم او بتقاعدكم او بمكركم و هو اظهار للغنى عنهم و عدم الحاجة اليهم، و الضّمير المفعول امّا للّه او للرّسول صلی الله علیه و آله بقرينة المقام و لتوافق ضمير ان لا تنصروه.

(وَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ) يقدر على نصرة رسوله بدون امدادكم و على اهلاككم و استبدالكم قوماً غيركم (اِلّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ) تذكيرٌ لهم بنصرته له صلی الله علیه و آله حين لم يكن له معاون حتّى يتحقّق عندهم نصرته بدونهم استمالةً لقلوبهم.

(اِذْ اَخْرَجَهُ الَّذينَ كَفَرُوا) حين شاوروا فى امره بالاجلاء و الحبس و القتل فى دار النّدوة كما سبق (ثانِيَ اثْنَيْنِ) يعنى لم يكن معه الّا رجلٌ واحدٌ و هو ابوبكرٍ (اِذْ هُما فِي الْغارِ) غار ثورٍ و هو جبل فى يمنى مكّة على مسيرة ساعةٍ (اِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ) و الاتيان بالمضارع للاشارة الى انّه كرّر هذا القول لعدم سكونه عن اضطرابه (اِنَّ اللّٰهَ مَعَنا) و من كان اللّه معه لا يغلب فلا تحزن من اطّلاع الاعداء و غلبتهم.

روى عن الباقر علیه السلام انّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله اقبل يقول لابى بكر فى الغار: اسكن فانّ اللّه معنا و قد أخذته الرّعدة و هو لا يسكن فلمّا رأى رسول اللّه صلی الله علیه و آله حاله قال له: اتريد ان اريك اصحابى من الانصار فى مجالسهم يتحدّثون؟ و

اريك جعفراً و اصحابه فى البحر يغوصون؟ ـ قال: نعم فمسح رسول اللّه ﷺ بيده على وجهه فنظر الى الانصار يتحدّثون، و الى جعفرٍ و اصحابه فى البحر يغوصون، فأضمر تلك السّاعة انّه ساحر (فَأَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ) السّكينة كما فى الخبر ريح تفوح من الجنّة لها وجه كوجه الانسان.

و هى كما مضى قبيل هذا و فى سورة البقرة على ما حقّقها الصّوفيّة صورة ملكوتيّة ملكيّة آلهيّة تظهر بصورة احبّ الاشياء على صدر السّالك الى اللّه و أحبّ الاشياء الى السّالك هو شيخه المرشد و وليّه القائد، و تسمّى عندهم بالسّكينة و الفكر و الحضور و هى السّلطان النّصير و الطمأنينة و اليها أشير بقوله تعالى: أَلَا بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، وَ لَذِكْرُ اللّٰهِ اَكْبَرُ.

و هى النّور فى قوله اللّه نور السّماوات و الارض، و بها يحصل معرفة علىٍّ عليه السلام بالنّورانيّة، و هى ظهور القائم عجّل اللّه فرجه فى العالم الصّغير و بها استنارة سماوات روحه و اراضى نفسه و طبعه كما قال تعالى: و اشرقت الارض بنور ربّها.

و هى الاسم الاعظم و الكلمة الّتى هى اتمّ، و هى حقيقة الرّحمة و الهدى و الفتح و النّصرة و الصّراط المستقيم و الطّريق القويم و السّبيل الى اللّه و الفوز و النّجاح، و غير ذلك من الاسماء الحسنى الّتى لا حدّ لها و اشير اليها فى الآيات و الاخبار.

و لذلك كان تمام اهتمام المشايخ فى تلقين الذّكر الخفىّ القلبىّ او الجلىّ اللّسانىّ بتحصيل هذا المقام للسّلاك و كانوا يأمرونهم بالفكر الذّى هو هذا تعمّلاً حتّى تظهر و تنزل تلك السّكينة من غير تعمّلٍ و رويّةٍ، و لا مقام لبشريّة الانسان نبيّاً كان او وليّاً او تابعاً لهما اشرف من هذا المقام كما قال فى مقام

الامتنان فى هذه السّورة: ثمّ انزل اللّه سكينته على رسوله و على المؤمنين فى غزوة حنين الّتى كانت فى الثّامن من الهجرة و حين كمال النّبوّة و تبليغ الرّسالة، اذا عرفت هذا.

فاعلم، انّ العامّة جعلوا هذه الآية دالّةً على فضيلة أبى بكرٍ حيث كان اولّ من هاجر و ذكر بمصاحبته للرّسول ﷺ و لا دلالة فى الآية على فضيلةٍ له ان لم يكن دلالة على ذمّه، فانّ الصّحابة البشريّة قد كانت للمشركين و الكفّار و المنافقين المرتدّين بل الفضيلة فى الصّحابة الملكوتيّة الّتى هى ظهور ملكوت الصّاحب، على الملكوت الصاحب و فى الآية دلالة على عدمها حيث خاطبه ﷺ، بلاتحزن، فانّ الصّحابة الملكوتيّة مانعة من الحزن باعثة على السّكون و الوقار.

و ايضاً هى دلالّة على عدم حصولها له بعد هذا الخطاب حيث افرد الضّمير المجرور فهو امّا راجع الى النّبىّ ﷺ او الى ابى بكرٍ، و رجوعه الى ابى بكرٍ و ان كان يتراءى انّه مناسب لاضطرابه و رعدته لكنّه يستلزم تفكيك الضّمير فى قوله و ايّده بجنودٍ و يستلزم امّا عدم نزول السّكينة على النّبىّ ﷺ و هو مستلزم لافضليّة ابى بكر او عدم الاعتناء بذكر النّبىّ ﷺ و هو ايضاً كذلك او عدم الحاجة الى ذكره و ليس به.

لانّ الحاجة فى مقام اظهار النّعمة على الاحباب ماسّة الى ذكر مثل هذه النّعمة العظيمة الّتى لانعمة اعظم منها فى مقام البشريّة كما سبق من ذكره ﷺ بهذه النّعمة بعد الثّامن من الهجرة و كمال النّبوّة، و لو سلّم صحّة رجوعه الى ابى بكر كانت الآية من المتشابهات الّتى لا يستدلّ بها على منقبة تثبيت بها الامامة؛ هذا اذا كان عطفاً على اخرجه، و امّا اذا كان عطفاً على قد نصره اللّه

من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال فلا يحتمل عود الضّمير الى ابى بكر.

(وَ اَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا) اى لم تقووا على رؤيتها ان كان المراد بالجنود السّكينة و محافظة الملائكة فى الغار و اغماء الكفّار عنه بنسج العنكبوت و بيض الحمامة و انبات الشّجر على فم الغار او لم تقع رؤية منكم لها ان كان المراد مطلق جنود الملائكة فى غزواته.

(وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلٰى وَ كَلِمَةُ اللّٰهِ هِيَ الْعُلْيَا) الكلمة كما مرّ مراراً تشمل الكلمات اللّفظيّة و الكلمات التّكوينيّة من العقول و الارواح و عالم المثال و القوى البشريّة و الحيوانيّة و النّباتيّة و الاخلاق و الاحوال و الافعال فى العالم الصّغير.

و هى ان كانت منتسبة الى الولاية الّتى هى كلمة اللّه الحقيقيّة بلا واسطةٍ او الى من انتسب الى الولاية فهى كلمات اللّه، لانّ كلمة اللّه الحقيقيّة هى المشيّة الّتى يعبّر عنها بالحقّ المخلوق به، و الاضافة الاشراقيّة و الحقيقة المحمّديّة ﷺ و علويّة علىّ عليه السلام و هى الولاية المطلقة، و كلّما كان منتسباً اليها كان كلمة اللّه، و كلّما كان كلمة اللّه كانت عليّا بعلوّ اللّه و كان العلوّ ذاتيّاً لها لا عرضيّاً محتاجاً الى الجعل و التّسبيب، و لذا أتى بالجملة الثّانية مرفوعة المبتدأ مستأنفة او معطوفة على الجملة الفعليّة او حالاً عن فاعل جعل او مفعوله.

او المستتر فى السّفلى مؤكّدة باسميّة الجملة و ضمير الفصل و تعريف المسند الدّالّ على الحصر الذّى هو تأكيدٌ على تأكيدٍ لا منصوبة عطفاً على مدخول جعل.

و ان لم تكن منتسبة الى الولاية فان كانت منتسبةً الى الشّيطان بان كان صاحبها متمكّناً فى تبعيّة الشّيطان بحيث لا يكون و مخرج فى وجوده الّا

للشّيطان، فهى كلمات الشّيطان و السّفليّة ذاتيّة لها، و ان لم تكن كذلك بان لم يكن صاحبهامتمكّناً فى تبعيّة الشّيطان و لامنتسباً الى اللّه و الولاية.

فهى ليست كلمات اللّه و لاكلمات الشّيطان بل هى منتسبة الى ما هو الغالب الظّاهر من احوال صاحبه كالاسلام و الايمان والمحبّة و الرّضا و السّخط و الشّرك و الكفر، و هى بذاتها لا سفلى و لا عليا بل محتاجة الى جعل فى ذلك، و لذلك اتى بالجعل فى الجملة الاولى من غير التّأكيد بضمير الفصل (وَ اللّٰهُ عَزِيزٌ) لن يغلب حتّى يتصوّر السّفليّة لكلمته (حَكِيمٌ) لا يتطرّق الخلل الى ما كان منتسباً اليه حتّى يتصوّر طرّ و السّفليّة لكلمة فالعطف من قبيل عطف السّبب.

(اِنْفِرُوا خِفٰافاً وَ ثِقٰالاً) شبّاناً و شيوخاً او مجرّدين عن الخدم و الحشم و السّلاح و مثقّلين بها او ناشطين و غير ناشطين فى العالم الكبير او فى العالم الصّغير امرهم بالجهاد بعد التّوبيخ بقوله: ما لكم اذا قيل لكم انفروا.

و بقوله ارضيتم بالحيوة الدّنيا، و التّهديد بقوله الّا تنفروا يعذّبكم اللّه، و التّرغيب بتذكير نصرته لنبيّه ﷺ و تأييده له ﷺ حتّى يكون اوقع فى القلوب و ابعد من الانكار.

(وَ جٰاهِدُوا بِاَمْوٰالِكُمْ وَ اَنْفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الامور و عواقبها (لَوْ كٰانَ عَرَضاً قَرِيباً) غنيمةً قريبة الوصول (وَ سَفَراً قٰاصِداً) متوسّطاً غير بعيدٍ (لَاتَّبَعُوكَ) بيان لسبب تخلّفهم و تثبّطهم و انّ المانع لهم و الباعث على العذر الكاذب هو بعد السّفر و كثرة المشقّة.

(وَ لٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ) الشّقّة بالضّمّ و بالكسر النّاحية

يقصدها المسافر و السّفر البعيدة و المشقّة و تعدية بعدت بعلى لتضمينه معنى ثقلت.

(وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ) بعد رجوعكم اليهم (لَوِ اسْتَطَعْنٰا لَخَرَجْنٰا مَعَكُمْ) يعنى ما كان لنا استطاعة للخروج فلم نخرج، اخبر نبيّه ﷺ انّهم سيعتذرون بعدم الاستطاعة كذباً و هو اخبار عن المستقبل (يُهْلِكُونَ اَنْفُسَهُمْ) استيناف جواباً لسؤالٍ مقدّر اى ما لهم فى هذا العذر و المقصود؛ انّهم بعد التخلّف ان اعترفوا بتقصيرهم و تابوا أحيوا أنفسهم لبقاء استعداد الحيوة لكنّهم بالعذر الكاذب أبطلوا استعدادهم للحيوة و أهلكوا انفسهم من صورة الحيوة بالتّخلّف، و من استعدادها بعدم التّوبة و العذر الكاذب.

(وَ اللّٰهُ يَعْلَمُ اِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ) بالغ فى تأكيد تكذيبهم بانّ و اسميّة الجملة و اللّام مبدّواً بعلم اللّه الذّى هو بمنزلة القسم.

(عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ لِمَ اَذِنْتَ لَهُمْ) اى لمطلق المستأذنين فى القعود (حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكٰاذِبِينَ) فى الاعتذار و هذا فى الحقيقة عتاب و توبيخ للمستأذنين بغير عذرٍ على طريقة: ايّاك اعنى و اسمعى يا جارة.

و هذا من ألطف طرق مخاطبة ذوى الحظر يعاتبون مقرّبيهم و يريدون غيرهم تعريضاً و اسقاطاً لذلك الغير عن شأنيّة المخاطبة و المشافهة و بدء قبل التّوبيخ و المعاتبة بالعفو تلطّفاً به.

(لاٰ يَسْتَاْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ اَنْ يُجٰاهِدُوا) عن ان يجاهدوا، او كراهة ان يجاهدوا، او فى ان يجاهدوا فضلاً عن ان يستأذنوك فى التّخلّف عن ان يجاهدوا (بِاَمْوٰالِهِمْ وَ اَنْفُسِهِمْ وَ

اللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بانّ المؤمنين هم المتّقون و هو وعدلهم بانّ عملهم لا يعزب عنه.

(اِنَّمٰا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَ ارْتٰابَتْ قُلُوبُهُمْ) فى تصديقهم بنبوّتك (فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) يتحيّرون و يقفون عن السّير الى اللّه.

و لذا قال مولانا و من به رجاؤنا فى عاجلنا و آجلنا امير المؤمنين عليه السلام: من تردّد فى الرّيب سبقه الاوّلون و ادركه الآخرون و وطئته سنابك الشّياطين (وَ لَوْ اَرٰادُوا الْخُرُوجَ لَاَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً) لامكن لهم تهيّة عدّته و ما يحتاج اليه، او هيّؤا له اسبابه تهيّة.

فعدّة امّا مفعول به او مفعول مطلق من غير لفظ الفعل و على التّقديرين يكون تكذيباً لنفيهم الاستطاعة عن انفسهم (وَ لٰكِنْ كَرِهَ اللّٰهُ انْبِعٰاثَهُمْ) لمّا توهّم من اسناد الافعال السّابقة اليهم انّهم مستقلّون فى افعالهم استدرك ذلك الوهم بسببيّة كراهته تعالى للخروج و انّ عدم خروجهم و عدم ارادتهم له مسّبب عن كراهته تعالى له لا انّهم مستقلّون.

(فَثَبَّطَهُمْ وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقٰاعِدِينَ) لمّا كان هذا القول من اللّه حقيقة و كان قائله و من ظهر على لسانه ظاهراً و باطناً متعدّداً مختلفاً و لم يكن لخصوصيّة الفاعل مدخليّة فى المقصود من ذمّهم اسقط الفاعل فانّ هذا القول قد قاله باطناً ملائكة اللّه و الشّياطين.

و ظاهراً رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين اذن لهم فى القعود، و اخوانهم من الانس حين خوّفوهم عن قتال الرّوم و بعد السّفر و شدّة القيظ (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مٰازٰادُوكُمْ اِلّٰا خَبٰالاً)مستأنف جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: و لم كره اللّه

انبعاثهم؟

فقال: لانّهم لوخرجوا ما زادوا على ما انتم عليه الّا فساداً بـالتّجبين و النّميمة و الهرب من الزّحف حتّى يتقوّى قلوب اعداءكم بهربهم.

(وَ لَاَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ) وضع البعير و اوضع اسرع فى السّير، و اوضعه حمله على السّرعة فعلى الاوّل فالمعنى انّهم لوخرجوا فيكم أسـرعوا خلالكم بالافساد و النّميمة و التّخويف او أسرعوا بـالهرب، و عـلى الثّـانى لوخرجوا فيكم حملوا ركائبهم على السّرعة بالافساد و الـنميمة و التّـخويف خلالكم او حملوا امثالهم على السّرعة فى الفرار.

(يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ) حال من فاعل اوضعوا او مستأنف لتكرار الذّمّ الذّى هو مطلوب فى المقام (وَ فِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) عطف على يبغونكم او حال من فاعله او مفعوله و المعنى انّ فيكم سمّاعين لا قوالهـم الفـاسدة المفسدة او سمّاعين لاقوالكم لان ينقلوها اليهم (وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) وضع الظّاهر موضع ضمير السمّاعين اشارة الى صفة ذمّ لهم و وعيداً لهم، او موضع ضمير المتقاعدين اشعاراً بذمٍّ آخر لهم و وعيداً لهم، و اشارة الى انّ كراهته تعالى لانبعاثهم ليس جزافاً و بلاسبب انّما هو بسبب ظلمهم.

فيكون استدرا كاً لوهم متوهّم يتوهّم انّ كراهته تعالى انبعاثهم يكـون نحو اجبارٍ لهم على القعود، كما انّ قوله لكن كره اللّه انبعاثهم كان استدرا كاً لما يتوهّم من استقلالهم فى افعالهم فليسوا مستقلّين فى الفـعال و لا مـجبورين فيها.

(لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) قبل تلك الغزوة فى غـزوة احـدٍ و غيرها من الغزوات من تجبين اصحابك و تدبير الفرار و تسليمك الى اعدائك

(وَ قَلَّبُوا لَكَ الْاُمُورَ) امور الغزو بان دبّروا خلاف ما امرت و دبّرت (حَتّٰى جٰاءَ الْحَقُّ) فى كلّ ما دبّروا و هو تأييدك و نصرتك على وفق ما أمرت و دبّرت (وَ ظَهَرَ اَمْرُ اللّٰهِ).

اعلم، انّ الحقّ المضاف هو المشيّة الّتى هى الحقّ المخلوق به و كلّ حقٍّ حقّ بالاتّصال به و كلّ باطل بالانصراف عنه، و انّ امر اللّه هو عالم المجرّدات الذّى ليس فيه الا امر اللّه لضعف الاثنينيّة بحيث لا يتصوّر هناك امرٌ و آمرٌ و مأمورٌ و ايتمارٌ، و كلّ من كان من افراد البشر متّصلاً بهذا العالم متّحداً به فهو ايضاً امر اللّه و كلّ ما صدر منه من هذه الحيثيّة فهو ايضاً امر اللّه.

و لمّا كان خليفة اللّه نبيّاً كان ام وليّاً ذا وجهين، وجهٍ الى اللّه و به يأخذ من اللّه، و وجهٍ الى الخلق و به يوصل ما يأخذ من اللّه الى الخلق؛ و يعبّر عن وجهه الى اللّه بالحقّ و الوحدة و الولاية، و عن وجهه الى الخلق بالامر و الكثرة و الخلق و النّبوّة و الرّسالة.

و الولاية بمعنى تدبير الخلق من جهة الباطن و الخلافة بمعنى تدبيرهم من جهة الظّاهر فالولاية بالمعنى الاوّل روح الولاية بالمعنى الثّانى، و كذا روح النّبوّة و الرّسالة و الخلافة.

فالفرق بين الحقّ و الامر كالفرق بين المطلق و المقيّد و الرّوح و الجسد و الولاية و النّبوّة، فالحقّ هو الولاية فى العالم الكبير و مظهرها الاتمّ علىّ عليه السلام و الامر النّبوّة و مظهرها الاتمّ محمّد صلى الله عليه وآله و النّبوّة عالم يغلب عليها الولاية و الاتّصال بالوحدة لم يظهر غلبتها فى العالم الكبير.

فمجىء الحقّ يعنى غلبة الولاية على النّبوّة سبب لغلبة النّبوّة على الكثرات و لذا قدّم مجىء الحقّ، كما انّ اعانة علىّ عليه السلام و مجيئه فى الغزوات

كان سبباً لغلبة محمّد ﷺ، فالمعنى حتّى جاء الولاية و غلب الوحدة و ظـهر النّبوّة و غلبت.

(وَ هُمْ) اى المقلّبون (كَارِهُونَ) توهين لهم و تسلية للرّسول ﷺ و المؤمنين على تخلّفهم (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي) حكاية لقـول بعضهم توهيناً و ذمّاً له (وَ لاٰ تَفْتِنِّي) لا توقعنى فى الفساد و الافتتان بنساء الرّوم كما روى انّه ﷺ رغّب بعضاً فى الجهاد فى غزوة تبوك فقال: يا رسول اللّه و اللّه انّ قومى يعلمون انّه ليس فيهم اشدّ بالنّساء منّى و اخاف ان خرجت معك ان لا اصبر اذا رأيت بنات الرّوم فلا تفتنّى، او فلا تفتنّى بضياع المال و العيال، او فلا تفتنّى بالامر بالخروج و تخلّفى عنك و مخالفتى لامرك.

او فلا تفتنّى بضياع البدن بالحركة فى الحرّ (اَلاٰ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) يعنى انّ رغبتهم عن الخروج و عن امتثال أمرك و مصاحبتك هى فتنة عظيمةٌ لنفوسهم تهلكهم عن الحيوة الانسانيّة الابديّة و قد وقعوا فيها و لا يـمكنهم الخروج عنها، و لذلك اتى باداة الاستفتاح و قدّم المجرور و استعمل السّقوط.

(وَ اِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) حال عن فاعل سـقطوا او عطف على جملة فى الفتنة سقطوا، و لمّا كان هذا الحكم من شأنه ان ينكر فى بادى النّظر اتى بالمؤكّدات الثّلاثة و وضع المظهر المضمر موضع اشارة الى علّة الحكمين و ابداءً لذمٍّ آخر لهم.

اعلم، انّ عالم الطّبع واقع بين العالمين الملكوت العـليا و المـلكوت السّفلى، و الانسان الّذى هو خلاصة عالم الطّـبع ايـضاً واقـع بـين هـاتين الملكوتين و لهما التّصرّف فى هذا العالم و فى بنى آدم، لكن تصرّف الملكوت العليا فى الخيرات و الوجودات و الجذب الى عالم الخيرات و معدن النّور.

و تصرّف الملكوت السّفلى فى الشّرور و الاعدام و الجذب الى عالم الظّلمة و معدن الشّرور، و الملكوت العليا عالم نورانىّ لا ظلمة فيها و الملكوت السّفلى عالم ظلمانىّ لا نور فيها؛ والحاكم فى الاولى هو اللّه و فى الثّانية هو الشّيطان و من هنا و هم الثّنويّة حيث انسلخ مرتاضوهم عن الطّبع و اغشيته و اتّصلوا بالمجرّدات فشاهدوا العالمين، فقال من لم يشاهد حكومة الملكوت العليا على السّفلى: انّهما قديمان حاكمان على العالم، و قال من شاهد ايجاد العليا للسّفلى: انّ السّفلى حادثة لكن لها التّصرّف و الحكومة بالاستقلال على العالم، و قال من شاهد انّ فى كلّ من العالمين حاكماً و له الحكومة على عالمه و على عالم الطّبع، انّ للعالم آلهين: يزدان و اهريمن، و قال بعض: انّ كلاً قديمٌ.

و قال بعض: انّ اهريمن مخلوق حادث و الملكوت السّفلى دار الشّياطين و سجن اهل الشّقاء و فيها النّار و الجحيم و كلّ ما ورد فى الشّريعة من عذاب الاشقياء و الكافرين و من الحيّات و العقارب و الزّقوّم و الحميم.

و الانسان الواقع بين العالمين اذا توجّه الى تلك الملكوت باتّباع الشّياطين و اختيار النّفس و شهواتها، ما لم يتمكّن فى هذا الاتّباع كان على شفير جهنّم و شفا جرف هذا الوادى، و اذا تمكّن فى هذا الاتّباع بحيث لم يبق له حالة رادعة صار داخلاً فى هذاالعالم و واقعاً فى مقام يحيط به لهب جهنّم و كان جهنّم محيطة به باعتبار جمراتها و لهباتها كما قال تعالى: وَ اِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحيطَةٌ بِالْكافِرينَ.

(اِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ) غنيمة و غلبة فى تلك الغزوة (تَسُؤْهُمْ) استينافٌ فى موضع التّعليل يعنى انّهم احاط بهم الحسد الذّى هو من آثار

السّجّين و اشتعال نار الجحيم و احاطته دليل احاطة جهنّم بهم.

(وَ اِنْ تُصِبْكَ مُصيبَةٌ) قتل او جرح او انهزام (يَقُولُوا قَدْ اَخَذْنا اَمْرَنا مِنْ قَبْلُ) اى الامر الّذى هو لائقٌ بنا و بجودة رأينا من التّخلّف عمّا فيه الهلاك و الاغترار بما لا حقيقة له من نصرة اللّه و ملائكته.

(وَ يَتَوَلَّوْا) عنك و عن المؤمنين (وَ هُمْ فَرِحُونَ) بما أصابك لاقتضاء الحسد ذلك (قُلْ) لقومك تسلية لهم حين المصيبة عن المصيبة و عن شماتة القاعدين او قل للمتخلّفين ردّاً لهم فى فرحهم باصابة المصيبة و فى قولهم قد اخذنا أمرنا.

(لَنْ يُصيبَنا اِلّا ما كَتَبَ اللّٰهُ لَنا) و ماكتب الّا ما فيه صلاحنا.

(هُوَ مَوْلينا)استيناف فى موضع التّعليل (وَ عَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) عطف على قل فهو من كلام الحقّ او على ما بعده فهو مقول القول، و الفاء امّا على تقدير امّا او توهّمه، او زائدة، او عاطفة على محذوف حذف و اقيم معمول ما بعده مقامه اصلاحاً للّفظ و مثله فى تقديم معمول ما بعد الفاء عليها لاصلاح اللّفظ قولك و امّا على اللّه فليتوكّلوا او الاصل ليتذكّر المؤمنون فليتوكّلوا على اللّه و بعد حذف المعطوف عليه و اقامة معمول ما بعد الفاء مقامه اظهر فاعل المعطوف لعدم تقدّم ذكر المرجع.

(قُلْ) تسليةً لقومك و ردعاً للمتخلّفين الفرحين (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا اِلّا اِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ)الظّفر و الغنيمة او القتل و الجنّة (وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ)احدى السّوئتين (اَنْ يُصيبَكُمُ اللّٰهُ بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ)بالقتل و البلايا الشّديدة من دون واسطة بشر (اَوْ بِاَيْدينا) بالقتل و الاسر و التّعذيب بأيدينا (فَتَرَبَّصُوا اِنّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ)فى الخبر فى تفسير

الّا احدى الحسنيين امّا موت فى طاعة اللّه او ادراك ظهور امام (قُلْ اَنْفِقُوا طَوْعاً اَوْ كَرْهاً) تزييف لاعمالهم القالبيّة كما انّ سابقه تزييف لخواطرهم القلبيّة النّاشئة عن رذائلهم النّفسيّة و المقصود التّهكّم بهم و التّسويّة من الانفاق بالطّوع و الانفاق بالاكراه و ليس الامر على حقيقته (لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ) استيناف فى موضع التّعليل (اِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فٰاسِقِينَ) تعليل لعدم القبول.

(وَ مٰا مَنَعَهُمْ اَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقٰاتُهُمْ اِلّٰا اَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَ بِرَسُولِهِ) عطف باعتبار المقصود، فانّ المقصود من امره ﷺ اظهار عدم قبول نفقاتهم.

فكأنّه تعالى قال لا يقبل منهم نفقاتهم الّتى انفقوها طوعاً اوكرهاً و ما منعهم ان تقبل نفقاتهم (الى الآخر) يعنى انّ كفرهم باللّه منعهم من قبول نفقاتهم فانّ الاعمال كلّها قبولها بالايمان باللّه (وَ لاٰ يَأْتُونَ الصَّلوٰةَ) القالبيّة اظهاراً لاحكام الاسلام (اِلّٰا وَ هُمْ كُسٰالىٰ) لعدم نشاطهم بالاعمال الاخرويّة لكفرهم (وَ لاٰ يُنْفِقُونَ اِلّٰا وَ هُمْ كٰارِهُونَ فَلاٰ تُعْجِبْكَ اَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ اَوْلاٰدُهُمْ) الخطاب للنّبىّ ﷺ و المعنى على، ايّاك اعنى و اسمعى يا جارة، او الخطاب عامّ لكلّ من يتأتّى منه الخطاب.

(اِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهٰا فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا) فى موضع تعليلٍ للنّهى (وَ تَزْهَقَ اَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كٰافِرُونَ) الزّهوق الخروج بصعوبة.

اعلم، انّ النّفوس البشريّة لمّا كانت سفليّة ترى الخير فى الجهات الدّنيويّة و ان لا خير سواها و هى محصورة فيما اقتضته قوّتاها الشّهويّة و

الغضبيّة، و ما اقتضته الشّهويّة امّا محبوب لها من غير شعور منها بغاية له او محبوب لها لغيره، و الاوّل كالاولاد، فانّ النّفوس مفطورة على محبّتهم غير شاعرة بغاية لتلك المحبّة، و الثّانى كالاموال فانّها محبوبة لغايات عديدة هى محبوبة لها بذاتها،كالمأكول و المشروب و الملبوس و المسكون و المنكوحة و المركوب و الحشمة و الخدم و الجاه و العرض و جذب القلوب و الصّيت و الثّناء و غير ذلک.

و قد يصير كثرة المال محبوبة لذاتها اذا غلب الحرص و أعمى صاحبه حتّى انّه يقترّ فى مااقتضته الشّهويّة حفظاً للمال و حبّاً له.

كما انّه قد يصير الاولاد محبوبة لغيرها، و مااقتضته الغضبيّة هو التّبسّط فى البلاد و التّسلّط على العباد و ارادة الانتقام و سهولته و انقياد الخلق و طاعتهم و سياسة من خرج منهم من الطّاعة و يتولّد من هذه المذكورات جملة الرّذائل و يختفى بسببها جملة الخصائل و يتوسّل اليها كلّها بكثرة المال و الاعوان و اقوى الاعوان الاولاد.

و امّا الشّيطنة فانّها فى مقتضياتها خادمة للشّهويّة و الغضبيّة بوجهٍ فمن رأته صاحب كثرة الاموال و الاولاد حسبته صاحب خيرات كثيرة و اعجبتها كثرة امواله و اولاده و تمّنت ان تكون لها هذه، و لم تدرأنّها شاغلة له عن العلوّ و التّوجّه الى اللّه متعبةٌ له فى جمعها و حفظها مولمة له بخوف تلفها و حين تلفها؛ و لذلك اقتصر على ذكر الاولاد و الاموال و نهى نبيّه ﷺ تعريضاً بامّته عن الاعجاب بهاكصاحب النّفوس السّفليّة معلّلاً بعذاب الدّنيا و الخروج الى الآخرة مع الكفر الموجب لعذاب الآخرة.

(وَ يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ) عطف بلحاظ المعنى فانّ المقصود من السّابق

انّهم خارجون عن المسلمين غير متّصفين بصفاتهم و كأنّه قال حين قال: و ما منعهم ان تقبل نفقاتهم لم يكونوا على صفة المسلمين مقبولى النّفقات و يحلفون باللّه.

(اِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَ ما هُمْ مِنْكُمْ) تكذيب لهم فى حلفهم (وَ لٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) يخافونكم على اموالهم و انفسهم (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئاً) حصناً يتحصّنون فيه او سلطاناً يتقوّون به و هو جواب سؤالٍ اقتضاه تكذيبهم (اَوْ مَغاراتٍ) فى الجبال (اَوْ مُدَّخَلاً) اسراباً فى الارض (لَوَلَّوْا اِلَيْهِ) و أعرضوا عنكم و ما انتحلوا صورة الاسلام (وَ هُمْ يَجْمَحُونَ) يسرعون اليه (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ) يعيبك (فِى الصَّدَقاتِ) فى قسمتها و جمعها و حفظها للايصال الى مستحقّها.

(فَاِنْ اُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَ اِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها اِذٰا هُمْ يَسْخَطُونَ) لاتّباعهم لك فى الاغراض الفاسدة و الاعراض الكاسدة لا لامر الدّين و الآخرة، و قد ذكر شأن نزولها فى الاخبار و انّها نزلت حين لمز الاغنياء رسول اللّه ﷺ فى تقسيم الصّدقات على الفقراء.

و ورد انّ اهل هذه الآية اكثر من ثلثى النّاس، و التّحقيق انّ كلّ من غلب حبّه للدّنيا على حبّه للآخرة فهو من اهل هذه الآية و اغلب النّاس ليس لهم حبّ للآخرة و أغلب من كان له حبّ الآخرة حبّه للدّنيا غالب على حبّه للآخرة.

(وَ لَوْ اَنَّهُمْ رَضُوا ما آتٰيهُمُ اللّٰهُ) من الغنى و الفقر و الاولاد و العقم و العزّة و الذّلّة و الصّحّة و السّقم و الامن و الخوف و غير ذلك ممّا ليس بيد العبد.

او المراد ما آتاهم اللّه من الصّدقات و الغنائم على يد رسوله ﷺ فانّ

الكلام فيها فيكون ذكر اللّه اشارة الى انّ اعطاء محمّد ﷺ اعطاء اللّه و انّه لا يفعل من عند نفسه و هو تعظيم لشأنه ﷺ (وَ رَسُولُهُ) من الغنائم و الصّدقات، فانّ الرّضا بقضاء اللّه اذا قضى مالا يلائم يهوّن امره و اذا قضى ما يلائم يورث الشّكر و يجلب المزيد، و الرّضا بما أعطاه الرّسول ﷺ قليلاً كان او كثيراً يورث المحبّة له و التّوجّه اليه و الاتّباع له و فى الكلّ خير الدّنيا و الآخرة و عدم الرّضا يورث اضدادها.

(وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللّٰهُ) منقطعين من الكلّ اليه متوكّلين عليه راجين من فضله (سَيُؤْتِينَا اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ اِنَّا اِلَى اللّٰهِ رٰاغِبُونَ)

فى موضع التّعليل (اِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرٰاءِ وَ الْمَسٰاكِينِ) المسكين كما مضى اسوء حالاً من الفقير و هما اذا اجتمعا افترقا و اذا افترقا اجتمعا، و الفقير من لا يقدر بالفعل او بالقوّة على قوت سنته (وَ الْعٰامِلِينَ عَلَيْهٰا) اجرة لعملهم.

(وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) فانّهم معدّون لحفظ ثغور المسلمين او مستمالون لاستماع آيات القرآن و احكام المسلمين حتّى يعرفوا انّ محمّداً ﷺ رسول اللّه.

(وَ فِى الرِّقٰابِ)العبيد تحت الشّدّة او المكاتب العاجز عن اداء مال الكتابة او ما يلزم المسلمين من الكفّارات و لم يقدروا على ادائها (وَ الْغٰارِمِينَ) الذّين لم يستدينوا فى ما لم يأذن به اللّه (وَ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ) الجهاد او هو و الحجّ او كلّ سبيل خير (وَ ابْنِ السَّبِيلِ) المسافر فى سفر مباح لا يقدر بالفعل و لا بالقوّة و لو بالاستدانة على مؤنة سفره الى وطنه

(فَرِيضَةً مِنَ اللّٰهِ) فرض اللّه فريضة (وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ) بموارد الصّدقات (حَكِيمٌ) فى تسنينها و تخصيص مواردها.

(وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) يقبل كلّ ما يسمع من ایّ قائل اتّفق (قُلْ) هو (أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ) يسمع كلّ ما فيه صلاحكم و ان لم تعلموا انّ فيه صلاحكم (يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) امّا مقول قوله ﷺ او مستأنف من اللّه و المقصود بيان حاله او تعليل كونه اذن خير.

اعلم، انّ للسّالك الى اللّه ايماناً باللّه فى مقام الوحدة و التّوجّه اليه عن الكثرة و فى هذا الايمان لا توجّه له الى الكثرة لا بخير و لا بشّر، و ايماناً فى مقام الكثرة و التّوجّه اليها باللّه فى هذا المقام له نحو تصرّف فى الكثرة امّا بخيرٍ اذا كان المتوجّه اليه ممّن يقبل التّصرّف بالخير كجملة اجزاء العالم سوى الاشقياء من بنى آدم.

و امّا بشّرٍ اذا كان المتوجّه اليه ممّن يصير الخير فى وجوده شرّاً، لانّ الشّرّ ليس من المتصرّف فى الكثرة بالذّات بل تصرّفه يصير بواسطة القابل شرّاً، فقوله يؤمن باللّه اشارة الى الايمان الاوّل و قوله يؤمن للمؤمنين اشارة الى الايمان الثّانى، و المعنى يؤمن باللّه فى مقام الكثرة يعنى يصدق الكلّ فانّ كلّاً فى مقامه مسخّر للّه و مظهر له و ما يظهر منه فى الحقيقة ظهور فعل اللّه لكنّه بحسب المظاهر يصير فى بعضٍ شرّاً و فى بعضٍ خيراً و لا ينتفع بهذا الايمان من محمّد ﷺ الّا المؤمنون، لانّه كان بحسب هذا الايمان نافعاً للكلّ لكن يصير ذلك النّفع فى بعض القوابل ضرّاً و شرّاً، و بماذكر يظهر صحّة الاخبار و وجه الجمع بينها و الى ماذكر اشار بقوله (وَ رَحْمَةٌ) عطفاً على

اذن خيرٍ و ما بينهما اعتراض (لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) بالايمان العامّ او الخاصّ و كان ارادة الايمان الخاصّ انسب بالمقام، لانّه اشير الى مطلق الانتفاع الذّى هو عامّ لجملة المسلمين الذّين بايعوه بالبيعة العامّة بقوله اذن خيرٍ لكم و بقوله يؤمن للمؤمنين.

و لانّ الخطاب كان لعامّة المسلمين و المؤمن منهم لا يكون الّا مؤمناً خاصّاً، و لانّ خصوص الرّحمة الرّحيميّة بقرينة ذكرها بعد الانتفاع المطلق الذّى هو مطلق الرّحمة الرّحيميّة مختصّ بالمبتاعين بالبيعة الخاصّة الولويّة الّتى هى الايمان حقيقة و كان الانسب بالمقابلة ان يقول تعالى و سخط للذّين لم يؤمنوا و اوذوا رسول اللّه ﷺ لكنّه عدل الى قوله.

(وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) جملة معطوفة على الجملة السّابقة تبرئة له ﷺ من نسبة السّوء و العذاب اليه لما عرفت ان ليس منه الّا الرّحمة و النّفع لكنّها بحسب القابل تصير ضرّاً و شرّاً.

(يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ) اى المؤذون يعنى اذا قال المؤمنون للمنافقين المؤذين لم تؤذون رسول اللّه ﷺ و تلمزونه و تنّمون عليه يحلفون باللّه لهم و هو استينافٌ لبيان حالهم، و انّهم بعد ايذائهم يعتذرون بالمعاذير الكاذبة و يحلفون على كذبهم و مقصودهم ارضاؤكم لا ارضاء اللّه و رسوله، فهم ينافقون بعد الايذاء حيث يظهرون ما فى قلوبهم مطويّة على خلافه و يكذبون و يحلفون على الكذب و ينصرفون عن اللّه و رسوله ﷺ فهم فى هذا الاعتذار واقعون فى رذائل اربع كلّ منها بوحدتها مهلكة.

(لِيُرْضُوكُمْ) لعدم ايمانهم باللّه و رسوله ﷺ بل لمحض المماشاة معكم.

(وَ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ) توحيد الضّمير باعتبار بانّ رضى اللّه لا يظهر و لا يتيسّر الوصول اليه الّا برضى الرّسول (اِنْ كٰانُوا مُؤْمِنِينَ) يعنى انّ الايمان يقتضى ارضاء اللّه و رسوله ﷺ و ان كان بسخط جميع الخلق .

(اَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّهُ مَنْ يُحٰادِدِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ) من يخاصم اللّه و رسوله ﷺ (فَاَنَّ لَهُ نٰارَ جَهَنَّمَ خٰالِداً فِيهٰا ذٰلِكَ الْخِزْىُ الْعَظِيمُ يَحْذَرُ الْمُنٰافِقُونَ اَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمٰا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا اِنَّ اللّٰهَ مُخْرِجٌ مٰا تَحْذَرُونَ وَ لَئِنْ سَئَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ اِنَّمٰا كُنّٰا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ اَبِاللّٰهِ وَ اٰيٰاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ) نزلت فى المنافقين المتخلّفين عن غزوة تبوك حين تحدّثوا انّ محمّداً ﷺ يزعم انّ حرب الرّوم كحرب غيرهم لا يرجع منهم احد و قال بعضهم استهزاءً: نحذر ان يخبر اللّه بذلک.

و ورد انّها نزلت فى اصحاب العقبة كمنوا له فى العقبة ليقتلوه و قالوا: ان فطن بنا قلنا انّما كنّا نخوض و نلعب و ان لم يتفطّن قتلناه و قصّته مذكورة فى المفصّلات (لاٰ تَعْتَذِرُوا) بالاعذار الكاذبة استيناف من اللّه ردعاً لهم (قَدْ كَفَرْتُمْ) صرتم كافرين (بَعْدَ اِيمٰانِكُمْ) بالتّوبة على يد محمّد ﷺ و البيعة معه بالبيعة العامّة (اِنْ نَعْفُ عَنْ طٰائِفَةٍ) بعد توبتها (نُعَذِّبْ طٰائِفَةً بِاَنَّهُمْ كٰانُوا مُجْرِمِينَ) لعدم توبتهم او لانجرار كفرهم الملّىّ الى الكفر الفطرىّ الّذى لا يقبل التّوبة معه و على قراءة يعف و يعذب بالغيبة يحتمل ان يكون من جملة قول الرّسول ﷺ.

(اَلْمُنٰافِقُونَ وَ الْمُنٰافِقٰاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) ليسوا منكم كما

ادّعوا و الجملة خبر عن المنافقون او حال عن المنافقون و المنافقات او معترضة.

(يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ) قالاً و حالاً و وجوداً فى عالمهم الصّغير و العالم الكبير لانّهم متصوّرون بصور المنكرات و كلّ يعمل على شاكلته فكلّ امرءٍ متصوّر بصورة المنكر يأمر على وفق صورته بالمنكر و لم يكن له شأن سوى الامر بالمنكر لكون شاكلته المنكر و ان كان صورت امره امراً بالمعروف و لذلك أتى بالمضارع الدّالّ على الاستمرار التّجدّديّ.

(وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) لانّهم ينأون عنه و النّائى عن الشّىء الغير المتصوّر به ينهى عنه لا محالة (وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) الظّاهرة عن الانفاق ابتغاء رضى اللّه حرصاً بالمال غير معتقد بالاجر و العوض من اللّه و عن البيعة مع النّبىّ ﷺ و الولىّ عليه السلام و ايديهم الباطنة عن التّوسّل بذيل النّبوّة و الولاية، و عن التبتّل الى اللّه و التّضرّع عنده، و عن الامتداد الى الخيرات الكثيرة الرّوحانيّة، و عن انفاق اموالهم الباطنة الّتى هى القوى البدنيّة و الاخلاق النّفسيّة الرّذيلة فى انفاقها الوعد بالمائة الى سبعمائة و اللّه يضاعف لمن يشاء.

(نَسُوا اللّٰهَ) جواب لسؤالٍ ناشٍ عن ذكر اوصافهم الذّميمة الّتى تقتضى السّؤال عن علّتها او عن وصفٍ آخر ذميم لهم فهو فى موضع التّعليل او بيان حال آخر ذميم لهم و النّسيان هو الغفلة عن المعلوم بحيث يزول عن خزانته و يحتاج الى مشاهدة جديدة ان كان من المشاهدات، او كسب جديد ان كان من الكسبيّات بخلاف السّهو، فانّه الغفلة عنه بحيث لا يزول عن الخزانة و لا يحتاج الى سبب جديد بل يستحضر بأدنى تأمّل فالفرق بينهما بالشّدّة و

الضّعف، و لمّا كان معرفة اللّه فطريّة لكلّ احد بل لكلّ موجود و الانسان بمجاهداته و رياضاته او بافكاره و انظاره يستكشف ذلك المعلوم الفطرىّ و بتدنسّاته و معاصيه يستر ذلك المعلوم الفطرىّ استعمل النّسيان و من باب المشاكلة.

قال تعالى (فَنَسِيَهُمْ) مجازاً اى تركهم و أسقطهم عن نظره و افاضة رحمته.

(اِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ) تعليل او بيان ذمّ آخر و وضع المظهر موضع المضمر للتّكرار المطلوب فى مقام السّخط و لذا غلظ عليهم بالتّأكيدات الاربعة؛ انّ و اسميّة الجملة و ضمير الفصل و تعريف المسند، و للتّفظيع و للاشارة الى علّة الحكم و اسقط المنافقات تغليباً و لعدم المبالاة بهنّ (وَعَدَ اللّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ) وضع الظّاهر موضع المضمر لما مرّ و التّصريح بالمنافقات توهّم عدم كونهنّ محكوماً عليهنّ بماذكر و لمطلوبيّة التّطويل فى مقام التّغليظ و لذلك بسط فى الاخبار عن حالهم.

(وَ الْكُفّارَ) عطف للعامّ على الخاصّ ان جعل الكفر اعمّ من النّفاق و الّا عطف للمغاير على المغاير (نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها هِيَ حَسْبُهُمْ) عذاباً و ايلاماً (وَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ) تاللّه لقد شدّد عليهم بذكر اوصاف سبعة؛ وعد النّار و اضافتها الى جهنّم و الخلود فيها وكفايتها لهم يعنى لا يتصّور فوقها عقوبة و لعنهم و اختصاصهم بالعذاب و اتّصاف العذاب بالدّوام.

(كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) حال من واحدة من الجمل السّابقة او متعلّق بواحد من الافعال السّابقة او مستأنف خبر مبتدء محذوف اى انتم مثل الذّين

من قبلكم فى نفاقهم و استمتاعهم و حبط اعمالهم و خسر انهم فهو التفات من الغيبة الى الخطاب و تفظيع آخر لهم بتشبيههم بمن هو مثل عندهم فى الفظاعة، و التّعنّت تنشيطاً للسّامعين الى الاستماع.

(كَانُوا اَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ اَكْثَرَ اَمْوَالاً وَ اَوْلَاداً) استيناف او حال من الموصول او من المستتر فى الظّرف و المقصود بيان قوّة اسباب الخوض فى الشّهوات فيهم ليكون غاية تفظيع لهم فانّ الخوض فى الشّهوات من الفقير اقبح فاذا كانوا مع ضعفهم فى اسباب الخوض فى الشّهوات مثل السّابقين الذّين كانوا اقوى منهم فى اسباب الخوض فى الشّهوات كانوا اقبح منهم (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ) نصيبهم من الشّهوات. (فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ) مثلهم مع انّكم كنتم أضعف منهم و أقلّ مالاً و اولاداً.

و لمّا لم يعلم من السّابق انّ اللّاحقين استمتعوا مثل السّابقين صريحاً و كان التّطويل مناسباً.

قال (كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَ خُضْتُمْ) فى الشّهوات و الملاهى (كَالَّذِي خَاضُوا) كالخوض الذّى خاضوا و كالذّين خاضوا بجعل الذّى بمعنى الذّين لارادة الجنس منه.

(اُولٰئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْاٰخِرَةِ) اشارةٌ الى السّابقين و تعريضٌ باللّاحقين بانّهم اولى منهم بحبط الاعمال لضعفهم فى اسباب الشّهوات و خوضهم مع ذلك فيها مثلهم.

او اشارة الى السّابقين و اللّاحقين بصرف الخطاب الى محمّد ﷺ، او اشارة الى اللّاحقين لانّ الكلام فيهم و الاتيان باسم الاشارة البعيدة لتأكيد الحكم و تصويرهم باوصافهم الفظيعة و تبعيدهم عن مرتبة التّخاطب كما انّ

تكراره فى قوله (وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ) و الاتيان بضمير الفصل و تعريف المسند كان لذلك و للحصر.

(اَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) استفهام انكارىّ لتقريعهم على اشتغالهم بالملاهى مع وصول خبر السّابقين اليهم (قَوْمِ نُوحٍ) أغرقوا بالطّوفان (وَ عٰادٍ) قوم هود عليه السلام اقتصر على اسمهم اختصاراً أهلكوا بالرّيح (وَ ثَمُودَ) قوم صالح عليه السلام (وَ قَوْمِ إِبْرٰاهِيمَ) و لمّا لم يكن لهم اسم خاصّ قال قوم ابراهيم عليه السلام اهلكوا بالبعوضة.

(وَ أَصْحٰابِ مَدْيَنَ) قوم شعيب عليه السلام اهلكوا بالنّار (وَ الْمُؤْتَفِكٰاتِ) اهل المؤتفكات و هم قوم لوط سمّيت قراهم بالمؤتفكات اى المنقلبات لانقلابها بهم بجعل عاليها سافلها كذا فى الخبر عن الصّادق عليه السلام (أَتَتْهُمْ) اى المذكورين كلّهم (رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ) بالاحكام الواضحات من احكام الرّسالة اوبالمعجزات (فَمٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيَظْلِمَهُمْ) بالاهلاك بماذكر لاتمامه الحجّة عليهم بالرّسل و البيّنات و تخلّل كان مع لام الجحود للمبالغة فى نفى الظّلم عنه تعالى و قد مضى انّه لنفى المبالغة فى الظّلم و هو اعمّ من المبالغة فى نفى الظّلم لكنه فى العرف يستعمل فى المبالغة فى نفى الظّلم.

(وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) لانّهم بانصرافهم بعد وضوح الحجّة و تكذيبهم عرّضوها للعقاب الدّائم و تقديم المفعول للحصر لتوهّم انّهم بتكذيبهم ظلموا الانبياء عليهم السلام و تخلّل كان للاشارة الى استمرار الظّلم بحيث كأنّه صار طبيعة لهم.

(وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنٰاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ) هذا فى

مقابله قوله: المنافقون و المنافقات (الآية) و غيّر الاسلوب تنشيطاً للسّامع و اشارة الى ان لا ولاية حقيقة بين الكفّار و المنافقين و ما يتراءى بحسب الصّورة انّه ولاية فهو عداوة حقيقة الا خلّاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوّ، و الى انّ المنافقين من حيث نفاقهم ينشأ بعضهم من بعض، بخلاف المؤمنين فانّهم من حيث ايمانهم ينشأون كلّهم من صاحب الايمان و هو النّبىّ ﷺ او الولىّ عليه السلام و ان كان ازدياد ايمانهم ناشئاً لبعضهم من بعض.

(يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) فى مقابل يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف (وَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ) فى مقابل يقبضون ايديهم.

و لمّا كان اليد اعمّ من اليد الصّوريّة و المعنويّة و قبضها اعمّ من القبض عن الاعطاء و القبض عن الابتهال و جذب الخيرات الاخرويّة و التّفضّلات الالٰهيّة و يعبّر عن ضدّ الاوّل بالاعطاء، و ايتاء الزّكوة اعمّ من الاعطاء من الاموال و الابدان و القوى الشّهويّة و الغضبيّة و المحرّكة و عن ضدّ الاخير بالصّلوة بمراتبها، اتى فى مقابلة قبض اليد بالصّلوة و الزّكوة جميعاً افادة لبسط اليد مع تفصيله لاظهار مدائح المؤمنين.

(وَ يُطِيعُونَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ) فى مقابل نسوا اللّه و ضدّ نسيان اللّه تذكّر اللّه و لازمة المقصود منه اطاعته فى اوامره و نواهيه و اطاعته فى اوامره و نواهيه لاتتصوّر الّا باطاعة رسوله ﷺ فظهر وجه العدول عن يذكرون اللّه و الاختلاف بالمضىّ و المضارعة للاشارة الى انّ النّسيان منهم قد وقع من غير تجدّد، فانّ تجدّده يستلزم التّذكّر بخلاف الطّاعة من المؤمنين فانّها مستمرّة التّجدّد منهم (اوُلٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّٰهُ) فى مقابل: انّ المنافقين

هم الفاسقون.

و ظاهر المقابلة يقتضى ان يقول: انّ المؤمنين هم العادلون، او هم المرحومون، او يقول هناك: اولئك سيعذّبهم لكن لمّا كان السّورة و الآية لتوعيد اهل الوعيد و وعدالمؤمنين و كلّ ماذكر فيهاكان لتقريع اهل الوعيد و لزيادة حسرتهم و المناسب لمقام الغضب و الوعيد التّسجيل بالوعيد و التّغليظ بالتّأكيد و التّطويل.

و كان النّفاق اصل جملة الشّرور و الفسوق و مورث جملة العقوبات و كان نسبة الغضب الى اللّه بالعرض و نسبة الرّحمة اليه بالذّات، و كان المناسب لمقام الوعد التّسامح فيه و الاتيان بعسى و لعلّ و اداة التّسويف، و الايمان و ان كان اساس جملة الخيرات لكن قد ينفكّ الخيرات عنه كما قال أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْراً اتى فى الاوّل بجملة اسميّة مؤكّدة بالمؤكّدات الاربعة مفيدة للتّسجيل غير مصرّحة بنسبة الغضب اليه.

و فى الثّانى بجملة مصدّرة باسم الاشارة البعيدة تفخيماً و احضاراً للاوصاف المذكورة للمؤمنين مختتمة بالجملة الفعليّة المصدّرة باداة التّسويف المصرّحة بنسبة الرّحمة اليه تعالى.

(إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لايعجز عن انجاز وعده و وعيده و لا يمنعه منه مانع (حَكِيمٌ) لا يعد الّا على وفق حكمته الّتى تقتضى الاعطاء و المنع بحسب القابليّات.

(وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ) فى مقابل وعداللّه المنافقين (الى آخرها) (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) اى جنّات الاقامة و هى منتهى مراتب

الجنان الّتى لا يتجاوز عنها بخلاف سائر مراتبها.

فانّها يتجاوز عنها و هى مقام آل محمّد ﷺ و اتباعهم (وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ اَكْبَرُ) لمّا كان وعد الخير منبئاً عن الرّضا فكأنّه قال: فلهم رضوان من اللّه و رضوان من اللّه اكبر من كلّ ذلک، او المقصود انّ هذا النّوع من الموعود اكبر من غير التفات الى التّفضيل (ذٰلِكَ) الرّضوان (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

اعلم، انّ اعلى مقامات السّالكين الى اللّه هو مقام الرّضا كما سبق و لذا لم يذكره تعالى فى الاغلب الّا و عقّبه بما يدلّ على تفخيمه (يٰا اَيُّهَا النَّبِيُّ جٰاهِدِ الْكُفّٰارَ) بالجهاد الصّوريّ و القتال بنفسك (وَ الْمُنٰافِقِينَ) بمظاهرك و اوصيائك فانّه لم يقاتل المنافقين و من هنا علم وجه تأخير المنافقين هنا مع انّ المقام للتّغليظ على المنافقين و ذكر الكفّار لمحض بيان مساواة المنافقين لهم لذمّ آخر للمنافقين.

و لذا اخّر الكفّار فى الآية السّابقة او جاهد الكفّار و المنافقين فى العالم و المنافقين فى العالم الكبير و الصّغير بنفسك او باوصيائك او باتباعك المؤمنين، فانّ المؤمنين ايضاً مأمورون بالجهاد مع كفّار وجودهم و منافقيه بالقتال الصّوريّ و المعنويّ و بالمحاجّة و المجادلة الحسنة و بالمداراة و حسن العشرة و بادخالهم تحت سلطنتك و اخذ الجزية و الزام الفرائض و الحدود على منافقى امّتک، فما ورد فى الاخبار فى تفسير الآية مع اختلافها غير مختلف معنى.

(وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ) امّا جملة دعائيّة او ذمّيّة فلا اشكال فى عطفها على الانشاء و لا فى عطف ما بعدها عليها ايضاً، او جملة

خبريّة و حينئذٍ فالعطف امّا بتوهّم جملة معطوف عليها او بتقديرها باعتبار المعنى.

فانّ الامر بالقتال و الغلظة مشعر بانّهم لا خير فيهم فكأنّه قال انّهم لا خير فيهم و مأويهم جهنّم و التّعاطف بين غير المتناسبين بحسب اللّفظ و المفهوم المطابقيّ بلحاظ المقصود، و المعنى الالتزاميّ كثير شائع فى كلامهم.

و من جوّز عطف الانشاء على الخبر و بالعكس نظر الى ظاهر ما ورد فى الكتاب و ظاهر ما رأى فى كلامهم مع الغفلة عن اللّطائف المندرجة فى العطف و القطع الملحوظة للفصحاء فى كلامهم.

(وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ) ان كان الاولى ذميّةً او دعائيّة فلا اشكال فى العطف و ان كانت خبريّةً فالعطف بلحاظ ذمّ مستفاد منها.

(يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ مٰا قٰالُوا وَ لَقَدْ قٰالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) قابل حلفهم بالحلف المستفاد من اللّام (وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاٰمِهِمْ وَ هَمُّوا بِمٰا لَمْ يَنٰالُوا) نزلت فى الذّين تحالفوا و تعاهدوا فى مكّة بعدان علموا انّ محمّداً صلى الله عليه وآله يريد ان يجعل الخلافة لعليّ عليه السلام على ان لا يردّوا هذا الامر فى بنى هاشم او فى الذّين قالوا بغدير خمّ: الا ترون عينيه كأنّهما عينا مجنونٍ.

او فى الذّين تحالفوا على قتله فى العقبة بعد رجوعهم من تبوك و الكلّ مرويٌّ (وَ مٰا نَقَمُوا) اى ما كافئوا بالعقوبة او ما كرهوا او ما انكروا (إِلاّٰ أَنْ أَغْنٰيهُمُ اللّٰهُ)مستثنى مفرّغ عن مفعول به عامّ او علّة عامّة اى ما نقموا منهم لشىءٍ الّا لاغناء اللّه لانّ الانسان ليطغى ان رآه استغنى او ما نقموا منهم شيئاً الّا اغناءهم اللّه (وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) من قبيل قول الشّاعر:

و لاعيب فيهم غير انّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

(فَاِنْ يَتُوبُوا) عن النّفاق و لوازمه (يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَ اِنْ يَتَوَلَّوْا) عن التّوبة او عن الرّسول ﷺ (يُعَذِّبْهُمُ اللّٰهُ عَذٰاباً اَليماً فِي الدُّنْيا وَ الْاٰخِرَةِ وَ مٰا لَهُمْ فِي الْاَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ نَصيرٍ)

قد مضى مراراً انّ الولىّ هو النّبىّ ﷺ او خليفته او المجاز منه بلا واسطة او بواسطة من جهة تربية القلب و تعليم احكامه و النّصير كلّ واحد منهم من جهة الرّسالة و تربية القالب.

(وَمِنْهُمْ مَنْ عٰاهَدَ اللّٰهَ لَئِنْ اٰتٰينٰا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصّٰالِحينَ)نزولها فى ثعلبة بن حاطب من اصحاب رسول اللّه ﷺ كان محتاجاً و سأل رسول اللّه ﷺ ان يغنيه اللّه فقال له: يا ثعلبة قليل تؤدّى شكره خير من كثير لا تطيقه فقال: و الّذى بعثك بالحقّ لئن رزقنى لا عطينّ كلّ ذى حقّ حقّه، فدعا له فاتّخذ غنماً و كثر غنمه حتّى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً و انقطع عن الجمعة و الجماعة و خدمة الرّسول ﷺ، فبعث رسول اللّه ﷺ المصدّق فأبى عن الصّدقة و بخل، لكنّها جارية فى كلّ من كان مثله و هم اكثر اهل الارض.

(فَلَمّٰا اٰتٰيهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا) عن عهدهم (وَ هُمْ مُعْرِضُونَ) عن اللّه و رسوله ﷺ (فَاَعْقَبَهُمْ)البخل و التّولّى (نِفٰاقاً فِي قُلُوبِهِمْ) لا فى السنتهم و صدورهم فقط، او المراد بالقلوب نفوسهم.

(اِلٰى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمٰا اَخْلَفُوا اللّٰهَ مٰا وَعَدُوهُ وَ بِمٰا كٰانُوا يَكْذِبُونَ) اعلم، انّ الصّدق و الكذب كالحقّ و الباطل كما يجريان فى الاقوال اللسّانيّة و العلوم النّفسانيّة يجريان فى الافعال و الاخلاق و الاحوال،

فکما انّ القول اخبار عن الواقع و صدقه باعتبار مطابقة نسبته للواقع و کذبه بعدم مطابقتها له کذلك فعل الانسان الجاری علی جوارحه باعتبار نسبته الی صورته ینبئ عن انّه صادر عن انسانیّته و غایته استکمال انسانیّته، فکلّما کان هذا الاخبار مطابقاً للواقع بمعنی کون الفعل صادراً عن الانسانیّة و راجعاً الی استکمال الانسانیّة فالفعل صدق و الفاعل صادق.

و کلّما لم یکن هذا الاخبار مطابقاً للواقع بمعنی انّ الفعل الجاری علی صورة الانسان لم یکن صادراً عن الانسانیّة، بل عن البهیمیّة او السبعیّة او الشّیطانیّة کان الفعل کذباً و فاعله کاذباً و هکذا الحال فی الاخلاق و الاحوال، و یجری ایضاً هذا الاعتبار فی الاقوال و العلوم فانّها ان کانت صادرة عن الانسانیّة و راجعة الی استکمالها فهی صادقة بهذا الاعتبار.

و ان لم یکن کذلك فهی کاذبة و ان کانت صادقة باعتبارها فی انفسها، والمعتبر عند اهل اللّه فی الصّدق و الکذب فی الاقوال و العلوم هو اعتبار المبدء و المرجع دون الواقع فقط، و لذا ورد عنهم علیهم السلام: من فسّر القرآن برأیه یعنی بحیثیّة شیطانیّته لا بحیثیّة انسانیّته و اصاب الحقّ فقد أخطأ.

و ورد نفی العلم عمّن لم یکن عمله متوجّهاً الی حیثیّة انسانیّته و آخرته من غیر اعتبار مطابقته و عدم مطابقته کما قال تعالی: و لقد علموا لمن اشتراه ما له فی الاخرة من خلاق، و لبئس ماشروا به انفسهم لو کانوا یعلمون.

فقد نفی العلم عنهم مع اثباته لهم مطابقاً لما فی نفس الامر حیث کان الواقع کما علموا، لکن لمّا لم یکن علمهم متوجّهاً الی جهة استکمال الانسانیّة نفاه عنهم و اثبت الجهل لهم بنفی العلم عنهم، اذا تقرّر هذا

فاعلم، انّ الانسان له مراتب و لكلّ مرتبة منها درجات فهو مادام فی مرتبة نفسه فاذا كان فی درجة النّفس الامّارة فكلّ ما یصدر عنه فهو كذب، و اذا ترقّی من هذه الدّرجة و وقع فی درجة النّفس اللوّامة فقد یكون ما یصدر عنه صادقاً و قد یكون كاذباً.

و اذا ترقّی الی درجة النّفس المطمئنّة و لا یكون التّرقّی الّا اذا تمكّن فی مرتبة القلب فكلّ ما یصدر عنه یكون صادقاً.

فالمنافق الواقع فی درجة النّفس الامّارة لا یكون منه الّا الكذب و یصیر الكذب سجیّة له و لذلك اتی بالماضی فی قوله بما اخلفوا اللّه و بالمضارع الدّالّ علی الاستمرار التّجدّدیّ فی الكذب مع تخلّل كان الدّالّ علی انّ مدخوله صار سجیّة.

(اَلَمْ یَعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ یَعْلَمُ سِرَّهُمْ) خفایا امورهم من خطراتهم و خیالاتهم و اخلاقهم و احوالهم (وَ نَجْوٰیهُمْ) ما یظهر علی السنتهم بحیث یخفی علی غیرهم.

او المراد بالسّرّ الاخلاق و الاحوال الموجودة و مكمونات النّفس الّتی لم توجد بالفعل بعد و بالنّجوی ما ظهر علی اللسّان بطریق الخفیة و ما ظهر علی النّفوس من الخطرات و الخیالات شیطانیّة كانت او رحمانیّة، و الاستفهام للتّوبیخ و التّقریع.

(وَ اَنَّ اللّٰهَ عَلّامُ الْغُیُوبِ) من ذكر العامّ بعد الخاصّ تحقیقاً للخاصّ وتأكیداً له (اَلَّذینَ یَلْمِزُونَ) یعیبون (الْمُطَّوِّعینَ) المعطین للصّدقات المستحبّة او المعطین للصّدقات مطلقاً المبالغین المعتنین بها (مِنَ الْمُؤْمِنینَ فِی الصَّدَقاتِ) متعلّق بیلمزون او بالمطّوّعین او بهما علی سبیل

التّنازع و هو امّا خبر مبتدءٍ محذوف، او مبتدء خبرٍ محذوفٍ، او مبتدء خبره فيسخرون او سخر اللّه منهم او قوله استغفر لهم او قوله ان تستغفر لهم (الآية) او بدل من قوله من عاهد اللّه و قوله تعالى الم يعلموا (الى آخر الآية) معترضة.

(وَ الَّذِينَ لاٰ يَجِدُونَ إِلاّٰ جُهْدَهُمْ) الّا قدر تعبهم فى التّحصيل و الطّلب فيتصدّقون بما يتعبون انفسهم فى تحصيله، و قدذكر فى نزوله انّ سالم بن عمير الانصارى جاء بصاعٍ من تمر فقال: يا رسول اللّه ﷺ كنت اجرت نفسى ليلتى بصاعين من تمرٍ فجئت بصاعٍ اليك و تركت صاعاً لعيالى، و ذكر فى نزوله ايضاً انّ عليّاً آجر نفسه فأتى باجرته الى النّبىّ ﷺ فلمزه المنافقون.

(فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّٰهُ مِنْهُمْ)استعمال السّخريّة فى الحقّ تعالى من باب المشاكلة اللفظيّة و المشابهة المعنويّة و هى امّا دعائيّة فيكون عطف قوله (وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ)لكونه ايضاً دعائيّاً او باعتبار الاخبار اللّازم لذلك الدّعاء كأنّه قال لهم سخط اللّه و لهم عذابٌ اليمٌ، او خبريّة فلا اشكال فى العطف (اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاٰ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) الامر و النّهى ههنا للتّسوية غير منظور منهما حقيقة الامر و النّهى.

و لفظة او للتّخيير على ما روى انّه ﷺ قال فى جواب من قال: امانهاك ربّك عن الاستغفار للمنافقين؟

حين صلّى على ميّت عبداللّه بن ابىّ: انّ اللّه خيّرنى (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ) و هذا عتاب له بـايّاك اعنى و اسمعى يا جارة، و عتاب المقرّبين تعريضاً بمن استحقّ العتاب فى الحقيقة تقريب لهم و اهانة بالمستحقّين حيث اسقطهم عن درجة الخطاب و العتاب و

لذا لم يقل: لم يجب اللّه لك بل قال لن يغفر اللّه لهم حيث لم يتوجّه العتاب اليه ﷺ و الاشكال بانّ استغفاره ﷺ مجابٌ لا محالة لانّ غيره اذا توسّل به الى اللّه اجابه فكيف اذا استغفر هو لم يجبه و لن يغفر للمستغفر له؛ مدفوع بانّ المراد المبالغة فى عدم استحقاقهم للمغفرة بحيث لو فرض استغفار الرّسول ﷺ الذّى لا ينفكّ الاجابة عنه لهم لما غفر لهم.

و مثل هذا كثيرٌ فى كلامهم حيث يعلّقون نفى الجزاء على امرٍ مستلزمٍ لتحقّق الجزاء مبالغةً فى عدم تحقّقه، و استعمال السّبعين لاستعماله كثيراً فى معنى الكثرة لكونه من مراتب الاعداد التّامّة كالسّبعة و السّبعمائة و لذا يأتون بالو او بعد السّبعة و يسمّونه و او الثّمانية، او للاشارة الى مراتبه السّبعين مبالغةً فى عدم استحقاقهم للمغفرة (ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ) تدارك لما يتوهّم من عدم قبول مسئلته و استغفاره بانّ عدم المغفرة لهم ليس لعدم استحقاقك للاجابة بل لعدم استحقاقهم للمغفرة.

(وَ اللّٰهُ لاٰ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) وضع الظّاهر موضع المضمر للاشارة الى ذمٍّ آخر و علّة الحكم (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاٰفَ رَسُولِ اللّٰهِ) جواب سؤالٍ عن حالهم او عن علّة التّغليظ عليهم و عدم مغفرتهم، و تدارك آخر لتوهّم عدم قبول استغفار الرّسول ﷺ و خلاف رسول اللّه ﷺ.

امّا ظرف لمقعدهم ان كان بمعنى العقب، او مفعول له لفرح او المخلّفون، او مقعدهم، على التّنازع او على الانفراد (وَ كَرِهُوا اَنْ يُجَاهِدُوا بِاَمْوٰالِهِمْ وَ اَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ وَ قٰالُوا لاٰ تَنْفِرُوا فِى الْحَرِّ) يعنى انّهم لغاية شقاوتهم جمعوا بين التّخلّف و الفرح به و كراهة الجهاد و منع غيرهم و

منه.

(قُلْ نٰارُ جَهَنَّمَ اَشَدُّ حَرّاً) فان كان الحرّ يتّقى فنار جهنّم احقّ ان تتّقى (لَوْ كٰانُوا يَفْقَهُونَ) لما اختاروا حرّ الآخرة على حرّ الدّنيا، و الفقه كما مرّ هو ادراك الاغراض و الغايات خصوصاً الغايات الالٓهيّة من الاشياء و الاقوال لا ادراك المفاهيم من الالفاظ فقط كما ظنّ.

و لذا فسّر بأنّه طلب علمٍ دينيٍّ يتوسّل به الى علمٍ آخر.

و بعبارةٍ اخرى الفقه هو الادراك الّذى يحرّك الانسان من حضيض نفسه الى اوج عقله و من دنياه الى آخرته و تفسيره بالعلم بالمسائل الدّينيّة الفرعيّة عن ادلّتها التّفصيليّة محض مواضعة اصطلاحيّة.

و امّا فى الشّريعة فهو باقٍ على معناه و عدم تسمية علم اللّه و الملائكة بالفقه لعدم تصوّر استعدادٍ له تعالى و لا للملائكة حتّى يتصوّر التّرقّى، بل كلّ ما كان هناك بالامكان العامّ فهو بالفعل، و عدم تسمية علوم الانبياء بالفقه لتبدّل استعدادهم بالفعليّة لا لما قالوا من انّ علومهم ليست من ادلّتها التّفصيليّة، و الحاصل انّ الاشتداد و التدّرج فى طريق الانسانيّة مأخوذ فى مفهوم الفقه، فكلّما كان الادراك كذلك كان فقهاً و ما لم يكن كذلك لم يكن فقهاً، فلو فرض نبيّ يكون له حالة اشتداد فى علمه كان علمه من هذه الجهة فقهاً.

(فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً) جواب شرط متوهّم او مقدّر و الامر امّا على حقيقته و المراد منه الامر بالتّوبة سواء كان الضّحك و البكاء على حقيقتهما او مجازين عن السّرور و الغمّ.

و حينئذٍ فذكر الضّحك للاشارة الى انّ الانسان لا ينفكّ عن ضحكٍ ما

فلیقلّ التّائب منه، او مجاز عن تحتّم ما یؤل الیه امرهم فهو أمر فـی مـعنی الاخبار، و ذکر الضّحک للاشارة الی ما هم علیه فی بقیّة عمرهم و لذا قدّمه و قیّده بالقلّة (جَزٰاءً بِمٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ) تدارکاً لاعمالهم السّـیّئة عـلی المعنی الاوّل و عقوبةً علیها علی المعنی الثّانی.

و قوله بما کانوا امّا متعلّق بجزاء او بالامر اسـتقلالاً او عـلی سـبیل التّنازع (فَإِنْ رَجَعَكَ اللّٰهُ) من غزو الرّوم (إِلیٰ طٰائِفَةٍ مِنْهُمْ) من المتخلّفین بلا عذرٍ بان ابـقاهم اللّـه الی زمـان رجـوعک (فَـاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ) الی غزو آخر.

(فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً) اخبار فی معنی النّهی للاشعار بانّ سجّیتهم مقتضیة لعدم الخروج (وَ لَنْ تُـقٰاتِلُوا مَـعِيَ عَـدُوّاً إِنَّکُـمْ رَضِیتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) یعنی قبل ذلك و المراد القعود عن غزوة تبوك (فَاقْعُدُوا) امر للتّهکّم (مَعَ الْخٰالِفِینَ) یعنی النّساء و الصّـبیان فـانّکم صرتم مثلهم بتخلّفهم اوّلاً فلیس لکـم شأنـیّة الجـهاد و قـابلیّة المـعیّة مـع المجاهدین.

(وَ لاٰ تُصَلِّ عَلیٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مٰاتَ أَبَداً) فانّ صلوتك سکن لهم و لیس لهم استعداد صلوتك و المراد صلوة الاموات او الاعمّ (وَ لاٰ تَـقُمْ عَلیٰ قَبْرِهِ) للدّعاء علیه (إِنَّهُمْ کَفَرُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ مٰاتُوا وَ هُمْ فٰاسِقُونَ) نقل انّه ﷺ عاد عبداللّه بن ابیّ و استغفر له و شیّع جنازته و صلّی علیه و قام علی قبره؛ کلّ ذلك باستدعاء ابنه الذّی کان مؤمناً خالصاً فأنکر عمر علیه ﷺ.

و قال: او لم ینهك ربّك عن ذلک؟

و كره ذلك رسول اللّه ﷺ و أجابه بما ظهر منه الكراهة (وَ لاٰ تُعْجِبْكَ اَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ اَوْلاٰدُهُمْ اِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ اَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهٰا فِي الدُّنْيٰا وَ تَزْهَقَ اَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كٰافِرُونَ) قد مرّ تفسيره، و تكريره للتّأكيد، لانّ كثرة الاموال و الاولاد فى انظار اهل الحسّ معجب لا محالة فالنّهى عنه مطلوب فيه التّأكيد و لانّ التّكرار مطلوب فى مقام التّشديد.

(وَ اِذٰا اُنْزِلَتْ سُورَةٌ اَنْ اٰمِنُوا بِاللّٰهِ وَ جٰاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَاْذَنَكَ اُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَ قٰالُوا ذَرْنٰا نَكُنْ مَعَ الْقٰاعِدِينَ) لعذرٍ و هو ذمّ آخر لهم حيث انّهم لدناءتهم و تعلّق قلوبهم بدنياهم و زخارفها كالنّساء يستأذنونك للقعود.

و لذا قال (رَضُوا بِاَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوٰالِفِ) جمع الخالفة يعنى انّهم لدناءتهم رضوا بان يعدّوا فى النّساء، و استعمال الخوالف فى النّساء و المخلّفون فى الرّجل لاستعدادهم للخروج و عدم استعدادهنّ له (وَ طُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَفْقَهُونَ) حيث لايدركون ادراكاً يؤدّى بهم الى الاغراض و الغايات و ان كانوا فى غاية الفطانة و المداقّة فى امور الدّنيا و الادراكات الخياليّة بحيث يعدّون فى انظار اهل الحسّ علماء حكماء، و الّا فليعلموا الغرض من الجهاد و انّ فيه خير الدّنيا و الآخرة،باستكمال النّفس فى الدّنيا بالصّفات الحسنة من الشّجاعة و السّخاوة و عدم الاعتناء بالدّنيا و حيوتها، وباستجماع الغنائم مع ماوعدوا من اجور الآخرة، و ليس فى التّخلّف الّا الاتّصاف بصفات النّساء و الرّكون الى الدّنيا و قطع الطّمع عن العقبى و لمّا ذمّ الاموال و الاولاد توهّم انّها مذمومة على كلّ حال.

و الحال انّ كثرة الاموال و الاولاد تكون فى المؤمنين و لمّا ذمّ

القاعدين عن الجهاد توهّم انّه فى المؤمنين يكون من يكره الخروج و يحبّ القعود فاستدرك ذلك بقوله (لٰكِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ اٰمَنُوا مَعَهُ) الّذين هم اولواالطّول الحقيقىّ (جٰاهَدُوا بِاَمْوٰالِهِمْ وَ اَنْفُسِهِمْ وَ اُولٰئِكَ) العظماء (لَهُمُ) خاصّة (الْخَيْرٰاتُ) النّفسانيّة والبدنيّة من استكمال النّفوس بالخصائل و اخراجها من الرّذائل و استجماع الغنيمة مع النّصرة و الطّول مع الاولاد و الصّيت و الثّناء.

(وَ اُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) تكرار اسم الاشارة للمتكين و تصويرهم باوصافهم المذكورة ليكون كالعلّة و لاختصاص كلّ من المسندين على حياله.

(اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا) جواب لسؤالٍ عن حالهم و (ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَ جٰاءَ الْمُعَذِّرُونَ) من عذّر فى الامر اذا قصّر فيه وكأنّه كان فى الاصل بمعنى بالغ فى ابداء العذر لامرٍ قصّر فيه، او من اعتذر اذا بالغ فى ابداء العذر و لم يكن المبالغة فى ابداء العذر الّا لامر يتراءى التّقصير فى و قرء المُعْذرون من باب الافعال بمعنى المعذّرون من باب التّفعيل (مِنَ الْاَعْرٰابِ) الاعراب الّذين لا يسكنون العمران و يعيشون فى البادية جمعٌ لا واحد له.

كما قيل، او جمع للعرب خصّص ببعض افراده و العرب بالضّمّ و بالتّحريك الّذين يسكنون العمران او هو اعمّ (لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) فى القعود حيث لا يتفقّهون معنى الايمان و انّه يقتضى التّسليم (وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ) فى البيعة الاسلاميّة حيث شرط عليهم ان لا يتخلّفوا قول الرّسول و ان يكون لهم ماللمسلمين و عليهم ما عليهم.

فقبلوه و لم يطيعوا الرّسول ﷺ بعد فى امره و لم يوافقواالمسلمين فيما عليهم (سَيُصيبُ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) لا الذّين بقوا على اسلامهم و تصديق الرّسول ﷺ كبعض الاعراب حيث لم يكن استيذانهم و تخلّفهم لانكار الرّسالة بل لعدم تفقّه الغرض من الاسلام و كبعض القاعدين لطلب الرّاحة و عدم تحمّل التّعب لا لانكار الرّسالة (عَذابٌ اَليمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ) جواب لسؤالٍ اقتضاه السّابق كأنّه قيل: هل على المعذورين حرج فى التّخلّف؟

فانّ التّشديد و التّغليظ على المتخلّفين و كثرة ذمّهم يقتضى التّرديد فى حال المعذورين و السّؤال عنها (وَ لا عَلَى الْمَرْضىٰ وَ لا عَلَى الَّذينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ) فى تخلّفهم عن الغزو.

(اِذا نَصَحُوا لِلّٰهِ وَ رَسُولِهِ) خلصوا او اظهروا خير غيرهم و رغّبوه فيه خالصاً مترحّماً (ما عَلَى الْمُحْسِنينَ مِنْ سَبيلٍ) فى موضع التّعليل يعنى انّ المتخلّف لعذرٍ بشرط النّصح مجاهد و محسن، و ما على المحسنين من سبيلٍ للّوم و الذّمّ و العتاب فى الدّنيا (وَ اللّٰهُ غَفُورٌ) لمن اساء فكيف بمن أحسن.

(رَحيمٌ) فلا سبيل عليهم بالعقوبة فى الآخرة.

(وَ لا عَلَى الَّذينَ اِذا ما اَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) حيث يجدون ما ينفقون و يقوون فى ابدانهم لكن لا طاقة لهم بالذّهاب معك راجلين و لا قدرة لهم على الحمولة و يسئلونك الحمولة.

(قُلْتَ لا اَجِدُ ما اَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ اَعْيُنُهُمْ تَفيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً اَلّا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ) الدّمع واقع موقع التّميز قد يجرّ بمن و قد ينصب، او فى الكلام قلب و الاصل و الدّمع يفيض من اعينهم قلب

للمبالغة فى كثرة الدّمع، او من للتّعليل و المعنى على المبالغة كأنّ اعينهم من كثرة الدّمع تذاب و تفيض.

(اِنَّمَا السَّبيلُ عَلَى الَّذينَ يَسْتَاْذِنُونَكَ وَ هُمْ اَغْنِيَاءُ) بدناً و مالاً (رَضُوا بِاَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) التّكرار لمطلوبيّة التّطويل و التّأكيد والتّكرير فى مقام التّغليظ.

(وَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ) قد اخذ فى مصداق العلم الاشتداد و التّأدية الى علم آخر اخروىّ كما أخذ ذلك فى مفهوم الفقه و لذا يثبت و ينفى عن موضوعٍ واحدٍ باعتبار مفهومه العرفىّ و مصداقه الحقيقىّ، فالعلم و الفقه مختلفان مفهوماً متّحدان مصداقاً فهذا ايضاً تكرار لما ذكر.

(يَعْتَذِرُونَ اِلَيْكُمْ) يبالغون فى ايتاء العذر اليكم و ابدائه لكم من غير حصول عذرٍ لهم بقرينة الرّدّ عليهم و ان كان الاعتذار اعمّ من ابداء العذر من غير عذرٍ او مع عذرٍ و هو اخبارٌ بما سيقع (اِذٰا رَجَعْتُمْ اِلَيْهِمْ) من غزوتكم هذه و هى غزوة تبوك.

(قُلْ) فى جوابهم بعد رجوعك و اعتذارهم (لاٰ تَعْتَذِرُوا) لا تبدوا العذر من غير حقيقةٍ (لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ) اى لن نصدّقكم (قَدْ نَبَّاَنَا اللّٰهُ مِنْ اَخْبارِكُمْ) و منه اعتذاركم هذا بالكواذب و لمّا كان اعتذارهم للتّدليس على النّبىّ صلّى الله عليه وآله و اصحابه جميعاً ضمّ اصحابه الى نفسه و اتى بلفظ المتكلّم مع الغير (وَ سَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ اِلىٰ عٰالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَةِ) وضع الظّاهر موضع المضمر للتّهديد و انّه لا يخفى عليه شىءٌ من اعمالكم تأكيداً لما قبله.

(فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ اِذَا انْقَلَبْتُمْ اِلَيْهِمْ) اخبار عنهم قبل وقوعه ایضاً (لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ) و لا تخاطبوهم بما وقع منهم و لا تعاتبوهم بل تکونوا توافقونهم و ترافقوهم کسائر المؤمنين.

(فَاَعْرِضُوا عَنْهُمْ) لا عن خطابهم و عتابهم فقط بل عن معاشرتهم و موافقتهم (اِنَّهُمْ رِجْسٌ) بحسب اصل ذواتهم فلا يقبلون الطّهارة حتّى يؤذن لکم فی عتابهم او فی مرافقتهم باحتمال اصلاحهم (وَ مَاْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ) بدل من الاوّل نحو بدل الاشتمال.

او تأکید نحو التّأکید المعنویّ حيث انّ الغرض من الاعراض الاعراض عن المعاتبة و الملامة المقارن للرّضا غالباً، و لذا عقّب الامر بالاعراض بقوله انّهم رجسٌ للاشارة الى انّ الامر ليس لما قصدوه من الرّضا و ترک السّخط، بل لعدم شأنيّتهم للمعاتبة و الملامة.

(فَاِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَاِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفٰاسِقِينَ) نهی عن الرّضا بألطف وجهٍ و ابلغه کأنّه قال: فان ترضوا کان رضا کم مخالفاً لرضا اللّه و الايمان يقتضی ان يکون رضا کم تبعاً لرضا اللّه فلا ترضوا عنهم لانّ اللّه لا يرضى عن القوم الفاسقين، و وضع الظّاهر موضع المضمر اشارةً الى ذمٍّ آخر و اشعاراً بعلّة الحکم.

(اَلْاَعْرٰابُ) الاعراب فی اهل البد و کالعرب بالضّمّ و التّحريک فی اهل البلاد کما سبق لکنّهما قد يعتبران فی العالم الصّغير فيطلق الاعراب على الواقف فی تيه النّفس الامّارة و العرب على السّاکن فی عمران النّفس المطمئنّة و مدينة القلب.

و لذا سمّوا فى الاخبار اعداء اهل البيت اعرابيّين و ان كانوا قرشيّين او مكّيّين او مدنيّين؛ و سمّوا شيعتهم عربيّين و ان كانوا من اهل البد و واقصى بلاد الهند (اَشَدُّ كُفْراً وَ نِفٰاقاً) لقسوة قلوبهم و غلظة نفوسهم و عدم سماعهم لما يقرّبهم الى الحقّ و يرغّبهم فى الآخرة و عدم تفطّنهم بما خلقوا له (وَ اَجْدَرُ اَلّٰا يَعْلَمُوا حُدُودَ مٰا اَنْزَلَ اللّٰهُ عَلىٰ رَسُولِهِ) لعدم سماعهم لها و عدم تفطّنهم لمقصود المسموع و عدم اقتضاء حالهم لحفظ ما يتفطّنون به.

و المراد بالحدود امّا الاحكام من العبادات و المعاملات او الغايات المقصودة من احكامه و آدابه و قصصه و مواعظه (وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) عطف على جملة الاعراب اشدّ كفراً و نفاقاً و الجامع بين المتعاطفين هو تقابل مسنديهما فانّ المراد بالحكمة هنا هو الحكمة العمليّة الّتى هى الاتقان فى العمل و المداقّة فيه المستلزمة للمداقّة فى العلم و يعبّر عنها بالفارسيّة: به «خورده كارى، و خورده بينى» و الكفر و النّفاق ناشٍ عن عدم المداقّة فى العلم و العمل فبين ملزوم الكفر و الحكمة تقابل السّلب و الايجاب و هو الجامع، و بين العلم و عدمه ايضاً كذلك.

و المعنى انّ الاعراب فى طرف و اللّه و مظاهره فى طرفٍ آخر، فبينهما مباينة تامّة فلا يتفضّل اللّه عليهم و لا يتوجّهون اليه و المراد بالاعراب ظاهراً ما عرفت و تأويلاً منافقوا الامّة فقوله و اللّه عليمٌ حكيمٌ ذمّ آخر لهم حيث يشير الى بعدهم عن اللّه و كان الموافق تأخير الكفر و النّفاق او تقديم الحكمة ليكون المتعاطفان على ترتيبٍ واحدٍ، لكن لمّا كان الكفر و النّفاق سبباً للجهل الخاصّ المأخوذ فى المعطوف عليه و ان كانا مسبّبين عن الجهل المطلق.

و الحكمة بهذا المعنى مسبّبه عن العلم المطلق المأخوذ فى المعطوف، عكس التّرتيب مراعاة للترتيب بين مسندى كلٍّ (وَ مِنَ الْاَعْرٰابِ مَنْ يَتَّخِذُ مٰا يُنْفِقُ) فى الجهاد و على فقراء المسلمين من الحقوق المفروضة او الغير المفروضة (مَغْرَماً) خسراناً بلا عوضٍ لعدم اعتقاده باللّه و بالآخرة و بالاجر و العوض من اللّه.

(وَ يَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوٰائِرَ) الحوادث المقلّبة عليكم الامور، سمّيت دوائر لدورانها على البشر لكن استعمالها فيما فيه شرّ (عَلَيْهِمْ دٰائِرَةُ السَّوْءِ) اخبار عن حالهم الّتى هم عليها فى الآخرة لكن ادّاه بصورة الواقع لتحقّق وقوعه، او عن حالهم الّتى هم عليها فى الدّنيا اشارة الى غرور الشّيطان و دواعى النّفس الّتى كلّها مهلكات، او دعاء عليهم و لمّا لم ينفكّ دعاء اللّه عن تحقّق المدعوّ به فهو مستلزم للاخبار و الاضافة الى السّوء هنا دون الاوّل لحرمة المؤمنين و اهانة المنافقين.

(وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) و الجامع ههنا هو لازم المعطوف عليه و متعلّق المعطوف المقدّر.

كأنّه قال: و من الاعراب من يتّخذ ما ينفق مغرماً فيقول قد وقعت فى محذورٍ مع محمّد ﷺ و يترّبص بكم الدّوائر فيضمر هلاككم و خلاصه و اللّه سميعٌ لقوله عليمٌ بنيّته و هو تهديد للاعراب و تسلية للمؤمنين.

(وَ مِنَ الْاَعْرٰابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَ يَتَّخِذُ مٰا يُنْفِقُ قُرُبٰاتٍ عِنْدَ اللّٰهِ) لمّا كان قوله الاعراب اشدّ كفراً مقدّمة للتّفصيل الذّى بعده حكم فيه على الجنس للاشعار بانّه سجّيتهم و لازمهم، ليكون مذمومهم اشدّ ذمّاً و ممدوحهم ابلغ مدحاً، و كرّر لفظ الاعراب ليكون

تصويراً لهم بما وصفوا به من السّجيّة الخبيثة ليكون فى الذّمّ و المدح أبلغ.

(وَ صَلَوٰاتِ الرَّسُولِ) سبب دعواته لانّه ﷺ كان يدعو للمصّدق بحسب الامر الالٓهىّ بقوله: اللهّمّ صلّ عليه (اَلاٰ اِنَّهٰا قُرْبَةٌ لَهُمْ) لمّا صار المقام مظنّة السّؤال عن انها قربة ام لا؟

و هل يكون سبباً لصلوات الرّسول ﷺ؟

و هل يجاب الرّسول ﷺ فى حقّهم ام لا؟ اتى بالجملة المذكورة مقطوعة عن سابقها مؤكّدة مصدّرة باداة الاستفتاح (سَيُدْخِلُهُمُ اللّٰهُ فِي رَحْمَتِهِ) تصديق بسببيّة انفاقهم لدعاء الرّسول ﷺ و اجابة اللّه له ﷺ فى حقّهم.

و السّين امّا للتّأكيد او للتّسويف (اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) تعليل لتأكيد الوعد و تحقيقه (وَ السّٰابِقُونَ الْاَوَّلُونَ) عطف على من يؤمن باللّه اى و من الاعراب السّابقون فضلاً عن كون من يؤمن باللّه منهم و على هذافينبغى ان يراد بالاعراب الواقف فى بيداء النّفس لا اهل البد و فقط، حتّى يصحّ كون السّابقين بلام الاستغراق منهم و يكون الآية حينئذٍ اشارةً الى انّ من كان فى تيه النّفس لا ينبغى ان ينظر اليه نظر الحقارة، كذلك كنتم من قبل فمنّ اللّه عليكم:

هيچ كافر را بخوارى منگريد — كه مسلمان مردنش باشد اميد

و التّوصيف للتّأكيد و رفع توهّم ارادة السّبق فى صورة الاسلام او الهجرة او الاحتشام او الجنود او الغزو او القاتل فقط.

و للاشارة الى ارادة السّبق فى السّلوك الى اللّه و فى مراتب عبوديّته فانّه السّبق حقيقةً او السّابقون الاوّلون مبتدء و خبر فيكون من عطف الجملة، و

المعنى انّ السّابقين هم الاوّلون فى درجات القرب او مبتدء خبره من المهاجرين او رضى اللّه عنهم فيكون ايضاً من عطف الجملة و التّوصيف بالاوّلون لماذكر (مِنَ الْمُهٰاجِرِينَ) الّذين هاجروا من مكّة الى المدينة لمحض خدمة الرّسول ﷺ او من مطلق اوطانهم اليها (وَ الْاَنْصٰارِ) الّذين نصروه بعد الهجرة، و قد ورد فى الخبر، انّ المهاجر من هجرالسّيّئات، و فى خبرٍ: لايقع اسم الهجرة الّابمعرفة الحجّة.

و على هذا فالمرادبالمهاجر من هجر دار نفسه المشركة الى مدينة الرّسول الّتى هى القلب، و لمّا كان الزّمان منطوياً فى مكان النّفس و القلب فلا اعتناءبالهجر المكانىّ و لا بسبقه الزّمانىّ فلا يلزم ان يكون كلّ مهاجر صحابىّ بمحض الهجرة المكانيّة و سبقه فيها مهاجراً فضلاً عن ان يكون سابقاً فى الهجرة.

و المراد بالانصار السّاكنون فى مدينة القلب المتوجّهون الى عمران النّفس المطمئنّة و اللوّامة المبلّغون النّاشرون احكام نبىّ القلب الى اهل بدو النّفس الامّارة و عمران النّفس المطمئنّة و اللوّامة.

(وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاِحْسٰانٍ) عطف على السّابقون او على

الاوّلون او على المهاجرين او مبتدء و خبر و الجملة عطف على السّابق و الاحسان ضدّ الاساءة قد يعتبر بالنّسبة الى خارج وجود الفاعل فيقال احسن الى الخلق او الى زيدٍ و قد يعتبر بالنّسبة الى ما له من الحال و الفعل فيحذف المفعول فيقال: احسن زيداً و هو محسن بمعنى صار فى حاله او فعله ذاحسنٍ و الحسن الحقيقىّ قد مرّ مراراً انّه الولاية، و كلّ حالٍ او فعلٍ ينسب اليها يكون حسناً و ان لم ير ظاهره حسناً، و كلّ ما لم يكن منسوباً اليها فهو قبيح و ان كان ظاهره حسناً.

و المراد بالاحسان هنا هو جعل الحال و الفعل متّصلاً بالنّبوّة و الولاية و المعنى و الذّين اتّبعوهم باسلام و ايمان (رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ) قد مضى كيفيّة رضوان اللّه و رضا العباد فى سورة البقرة فى بيان توّابيّته تعالى (وَ اَعَدَّ لَهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْاَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا اَبَداً ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْاَعْرٰابِ) خبرٌ مقدّمٌ (مُنٰافِقُونَ) مبتدءٌ مؤخّرٌ و الجملة عطف على جملة من الاعراب من يتّخذ و المعنى من الاعراب من دخل فى الاسلام مكرهاً و يتّخذ ما ينفق (الى الآخر) و منهم من دخل طوعاً لكنّه اخذ الاسلام بهوى النّفس و اشار اليه بقوله ممّن حولكم فانّه يدلّ على انّه يتملّق لكم و يرضى عنكم او ممّن حولكم مبتدء و من الاعراب خبره و منافقون خبر بعد خبرٍ او مستأنف او حال بتقدير مبتدء، او منافقون خبر و من الاعراب حال (وَ مِنْ اَهْلِ الْمَدِينَةِ) عطف على ممّن حولكم او على من الاعراب او مبتدء و ما بعده خبره و الجملة عطف على سابقها.

(مَرَدُوا عَلَى النِّفٰاقِ) تمرّنوا عليه و اعتادوه مستأنف او خبر من

اهل المدينة على جواز قيام من التّبعيضيّة مقام الاسم او حال بتقدير قد (لَا تَعْلَمُهُمْ)استيناف او حال او خبرٌ و هو اخبار للمؤمنين بحال المنافقين بايّاك أعني و اسمعي يا جارة، حتّى يكونوا على حذرٍ ممّن يحتملون نفاقة و اعلامٌ لهم بمهارتهم فى نفاقهم.

(نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) خبر او مستأنف او حال متداخلة او مترادفة (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) مرّتين على كفرهم و مرّة على اظهارهم الاسلام نفاقاً او مرّة بنزعهم عن آمالهم و متمنّياتهم و مرّة بمشاهدة ما اعدّلهم فى الآخرة (ثُمَّ يُرَدُّونَ اِلٰى عَذٰابٍ عَظِيمٍ) فى القيامة.

(وَ اٰخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) عطف على مردوا او على منافقون او على من الاعراب او على من يؤمن باللّه او اخرون مبتدء و اعترفوا خبره و الجملة عطف على سابقتها (خَلَطُوا عَمَلاً صٰالِحاً وَ اٰخَرَ سَيِّئاً) نزولها فى ابى لبابة بن عبدالمنذر حين شاوره بنو قريظة فى النّزول على حكم سعد بن معاذٍ و قد مضى عند قوله لا تخونوا اللّه من سورة الانفال لكن معناها عامّ فى كلّ مؤمن احدث ذنباً فى ايمانه و اعترف به (عَسَى اللّٰهُ اَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) عسى من اللّه واجب و انّما يأتى تعالى شأنه بادوات التّرجّى و التّسويف جرياً على عادة الملوك والا كابر فى مواعيدهم (اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) و قد ورد انّ وحشيّاً منهم.

و ورد ايضاً انّهم قوم اجترحوا ذنوباً مثل قتل حمزة و جعفر الطّيّار ثمّ تابوا و ذكر ايضاً انّ من قتل مؤمناً لم يوفّق للتّوبة (خُذْ) بنفسك او بعمّالك و هو جواب لما ينبغى ان يسأل عنه محمّد ﷺ كأنّه قال: فما افعل بالمنافقين و الّذين خلطو عملاً صالحاً و آخر سيّئاً؟

فقال تعالى: خذ (مِنْ اَمْوٰالِهِمْ صَدَقَةً) و الامر هنا للوجوب كما ورد انّها وردت فی فرض الزّكوة و قد نزلت فی شهر رمضان و امر ﷺ منادیه ان ینادی فی النّاس بفرض الزّكوة، و منه یعلم انّ وجوب الاخذ علیه یستلزم وجوب الاعطاء علیهم.

و هل یجب علیهم الایصال الی یده او ید نائبه كما یستفاد ذلك ایضاً من وجوب الاخذ علیه؟

و ورد بذلك الاخبار و افتی به بعضهم او لا یجب بل لهم الاختیار فی الایصال الیه ﷺ و الاعطاء الی من شاؤا من المستحقّین؟

و الحقّ ان لیس لهم الاعطاء الّا الی الرّسول ﷺ او نوّابه و خلفائه، او من اذنوا لهم من المستحقّین و التّفصیل موكول الی الكتب الفقهیّة (تُطَهِّرُهُمْ) صفة لصدقة او مستأنف و هو امّا خطاب له ﷺ او مسند الی ضمیر الصّدقة، و علی الاوّل یكون المجرور فی قوله (وَ تُزَكّیهِمْ بِهٰا) متنازعاً فیه.

و المراد بالتّزكیة هنا الانماء فی المال و البركة لا التّطهیر لیكون تأسیساً و اشارة الی انّ الصّدقة توجب البركة فی المال لیكون ترغیباً لهم فیها (وَصَلِّ عَلَیْهِمْ) و ادع لهم بطلب الرّحمة علیهم حین الاخذ او بلفظ الصّلوة كما ورد انّه اذا اتی النّبیّ ﷺ قوم بصدقتهم قال: اللهّمّ صلّ علیهم، او مطلقاً حیث استحقّوا بتزكیة المال دعاءك حین التّصدّق و بعده بانواع الدّعاء للدّنیا و الآخرة.

(اِنَّ صَلٰوتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) سبب سكونهم و اطمینانهم و نكّر السّكن للاشارة الی انّه نوع سوی ما یعرفه النّاس.

فانّ الزّوج سكن و المال و المسكن و الاولاد كلّها سكن و كذاذكر اللّه سكن لكن كلّها لايخلو عن نوع اضطراب و مداخلة للشّيطان بخلاف توجّهه ﷺ و عنايته و دعائه، فانّه يفرّ منه الشّيطان و لا يبقى له مداخلة فلا يبقى للسّاكن شيءٌ من الاضطراب، مثل السّكينة القلبيّة النّازلة من اللّه فى قلب المؤمن (وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) عطف على مدخول انّ او على انّ مع اسمها و خبرها و على كلاالتّقديرين يستفاد منه التّعليل.

(اَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبٰادِهِ وَ يَاْخُذُ الصَّدَقٰاتِ) ترغيبٌ لهم فى التّصدّق و ذكر التّوبة لمشاركتها للصّدقة فى قبوله تعالى على ايدى خلفائه و لانّها مقدّمة للصّدقة و لذا قدّمها فانّ من لم يتب الى اللّه لا يمكنه التّصدّق حقيقة.

اعلم، انّ التّوبة هى رجوع الشّخص عمّا لا ينبغى الى اللّه سواء كان الرّجوع من جهة الباطن الى مظهر اللّه الباطنىّ الذّى هو القلب، او من جهة الظّاهر الى مظهره الذّى هو النّبىّ ﷺ او الامام عليه السلام او خلفاؤهما، و لهذا الرّجوع و قبول التّوبة بهذاالمعنى اعمال و مواثيق مقرّرة كانت جارية بينهم من لدن آدم عليه السلام، و ان كانوا الشرافتها و الضّنّة بهاكتموها من غير اهلها و محوا اثرها من صدور من اطّلع عليها و رجع عنها لئّلا تبتذل كسائر رسوم الملّة.

والمستعمل فى الكتاب و السّنّة فى الاغلب هو التّوبة بهذاالمعنى و القابل لهذه التّوبة هو النّبىّ ﷺ او خليفته كما انّ الآخذ للصّدقة ايضاً هو النّبىّ ﷺ او خليفته عليه السلام، لكنّه لمّا كان مظهراً للّه و فانياً ببشريّته فيه خصوصاً وقت قبول التّوبة و اخذ الصّدقة نسب قبول التّوبة و اخذ الصّدقة الى نفسه بطريق الحصر بمعنى عدم انفراد الغير و لا مشاركته له تعالى فيه.

هذا اذا كان الآخذ للصّدقة و القابل للتّوبة خلفاءه تعالى، و امّا اذا كان الآخذ للصّدقة غيرهم كالفقراء السّائلين الآخذين للصّدقات المندوبة او المفروضة فالاخذ و ان لم يكن آلهيّاً لكنّ المتصدّق بنيّته الالٓهيّة الّتى هى شرط فى اطلاق اسم الصّدقة على ما يعطى يصير آلهيّاً و مظهراً للّه و بصيرورته مظهراً للّه يجذب اللطّيفة الالٓهيّة فى الآخذ و ان لم يصر الآخذ شاعراً به.

و لذا ورد تقبيل يد الامام او الآخذ او السّائل و تقبيل المعطى يد نفسه و تقبيل الخير بعد الرّدّ من يد السّائل و وجه الكلّ قد علم ممّا ذكر (وَ اَنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوّٰابُ) كثير المراجعة على العباد بالعفو و التّوفيق و قبول توبتهم (الرَّحيمُ) للعباد و قد مضى تحقيق التّوبة و معنى توّابيّته فى اوّل البقرة فى مثل هذه الآية.

(وَ قُلِ اعْمَلُوا) تهديد بعد ترغيب (فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ) الخالصون للايمان المتحقّقون به و هم خلفاء اللّه بعد رسوله ﷺ و الّافا كثر المؤمنين النّاقصين لا اطّلاع لهم على اعمال الغير.

و لذلك ورد بطريق الحصر انّ المرادبالمؤمنون علىّ بن ابى طالب عليه السلام او الائمّة عليهم السلام، فانّ اعمال العباد تعرض صباحاً و مساءً فى الدّنيا على من جعله اللّه شهيداً على الخلق فاحذروا من ان يعرض منكم ما اذا شوهد يسؤكم و ما اذا عرض على امامكم يسؤه كما فى الاخبار، و السّين للتّأكيد لا للتّسويف بتضمين يرى معنى يظهر رؤية اللّه لاعمالهم.

(وَ سَتُرَدُّونَ اِلىٰ عٰالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) و يجازيكم عليه ان خيراً فخير و ان شرّاً فشرّ (وَ اٰخَرُونَ مُرْجَوْنَ) عطف على آخرون اعترفوا او على ما عطف عليه آخرون

اعترفوا.

و لمّا كان نزول قوله آخرون اعترفوا فى ابى لبابة بن عبدالمنذر، و كان بعد قبول توبته تصدّق بتمام ما له و ابى رسول اللّه ﷺ عن اخذ تمام ما له.

و قال يكفيك الثّلث ان تتصدّق به، و كان نزول قوله خذ من اموالهم صدقةً فى اخذ صدقته جاء به معترضاً بين المعطوف و المعطوف عليه و الارجاء التّأخير، يعنى انّهم مؤخّرون من غير تنجيزٍ بالمغفرة او العذاب لكونهم واقعين بعد بين الملكوت العليا الّتى هى دار الرّحمة و الملكوت السّفلى الّتى هى دار العذاب من غير حكم عليهم بكونهم من اهل احدى الملكوتين.

اعلم، انّ الانسان بعد البلوغ امّا قادر بحسب قوّته العمّالة و العلّامة على طلب الدّين و الاستشعار بخيره و شرّه الانسانيّين او لا.

و الثّانى هو المستضعف و الاوّل امّا متّصل بنبىّ ﷺ او امام ؈ بالبيعة العامّة او الخاصّة او لا، و الثّانى امّا منكر للّه او لنبىّ وقته و هو الكافر المحكوم عليه بالعذاب، او متحيّر واقف و هو المرجى لأمر اللّه، و الاوّل امّا موافق اتّصاله و لسانه لجنانه بحسب قوّته العلّامة او لا، و الثّانى هو المنافق المحكوم عليه بالعذاب سواء كان دخوله و بيعته اكراهاً او طوعاً، و الاوّل امّا موافق عمله لعلمه و لا يخالف بحسب قوّته العمّالة تبعيّته و عهده او لا، و الاوّل هو المؤمن المحكوم عليه بالرّحمة و الثّانى هو الخالط للعمل السّيّئ بالعمل الصّالح الذّى على اللّه ان يعفو عنه، فآخرون مرجون (لِاَمْرِ اللّٰهِ) اى لحكمه الذّى هو من عالم امره (اِمَّا يُعَذِّبُهُمْ) حين خروجهم من الدّنيا بلحوقهم بدار العذاب بواسطة غلبة الحكم السّفلىّ عليهم.

(وَ اِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ)بلحوقهم بدار الرّحمة بواسطة غلبة الحكم العلوىّ عليهم (وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ)باستعدادهم و استحقاقهم لكلّ من التّوبة و العذاب (حَكِيمٌ) لطيف فى عمله لا يعزب عنه قدر شعرٍ و شعيرةٍ من استعدادهم و استحقاقهم متقن لطيف فى عمله يجازى كلاً بحسب عمله و لو كان بقدر شعيرةٍ و شعرةٍ.

(وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً) عطف على منافقون او كلّ من معطوفيه او على مرجون من قبيل عطف او صاف موصوفٍ واحدٍ، او عطف المتغايرين او مبتدء خبرٍ محذوفٍ او خبر مبتدءٍ محذوفٍ او مفعول فعلٍ محذوفٍ، روى انّ بنى عمروبن عوف بنوا مسجد قبا و صلّى فيه رسول اللّه ﷺ فحسدهم اخوتهم بنو غنم بن عوف، فبنوا مسجد الضّرار و ارادوا ان يحتالوا بذلك فيفرّقواالمؤمنين و يوقعوا الشّكّ فى قلوبهم، بان يدعوا ابا عامر الرّاهب من الشّام ليعظهم و يذكر و هن دين الاسلام ليشكّ المسلمون و يضطربوا فى دينهم.

فأخبر اللّه تعالى نبيّه ﷺ بذلک، فدعوا رسول اللّه ﷺ ليصلّى فى مسجدهم فأبى و اعتذر بأنّى على جناح سفرٍ حين ارادة غزوة تبوک، و بعد ما رجع من تبوك امر بهدمه و احراقه و جعله كناسة يلقى فيه الجيف و قصّته مذكورة بتفصيلها فى المفصّلات و ما فى الصّافى يكفى للتّبصّر (ضِراراً وَ كُفْراً)لحصول الكفر اولتحصيل ازديادالكفر (وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ اِرْصٰاداً)ترقّباً (لِمَنْ حٰارَبَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) يعنى ابا عامر الرّاهب.

نقل انّه كان قد ترهّب فى الجاهليّة و لبس المسوح فلمّا قدم النّبىّ ﷺ

المدينة حسده و حزّب عليه ثمّ هرب بعد فتح مكّة و خرج الى الرّوم و تنصّر، و انّه كان يقاتل رسول اللّه ﷺ فى غزواته الى ان هرب الى الشّام ليأتى من قيصر بجنودٍ يحارب بهم رسول اللّه ﷺ و مات بقنّسرين.

(وَ لَيَحْلِفُنَّ اِنْ اَرَدْنٰا اِلَّا الْحُسْنىٰ) الّا الارادة الحسنى او العاقبة الحسنى او الخصلة الحسنى (وَ اللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ لاٰ تَقُمْ فِيهِ اَبَداً) اى للصّلوة فانّ القيام لكثرة استعماله فى القيام للصّلوة يتبادر منه الصّلوة (لَمَسْجِدٌ اُسِّسَ عَلَى التَّقْوىٰ).

اعلم، انّه كما انّ للبناء سقفاً و اساساً و مقرّاً يقوم الاساس عليه كذلك لكلّ عمل صورة و اساس و مقرّ يقوم الاساس عليه.

فسقف العمل هو صورته الّتى هو عليها، و اساسه هو نيّة العامل، و مقرّه هو شأنه الّذى يقتضى تلك النّيّة، فبالنّيّة يوجد العمل و من شأن العامل ينشأ النّيّة و عليه تستقرّ والعمل مبتنٍ على النّيّة و النّيّة قائمة على شاكلة العامل قل كلّ يعمل على شاكلته و العمل ظهور النّيّة و النّيّة ظهور الشّاكلة لكن يخفى ذلك الظّهور على العميان مع ظهوره لاصحاب البصائر.

و العلم بمبنى العمل احد وجوه العلم بتأويل القرآن، فمن كان شاكلته التّقوى من مقتضيات النّفس صارت نيّته آلهيّةً و من كان كذلك كان عمله مبتنياً على نيّة آلهيّة قائمة على شاكلة التّقوى، و اذا كان العمل مبتنياً على نيّة آلهيّةٍ كان العمل آلهيّاً لظهور تلك النّيّة فى العمل و لذلك او لكون قلب عاملها الواقف لها بيت اللّه يسمّى المساجد بيوت اللّه مع شركتها لسائر الابنية فى موادّها و صورها و بقاعها و عامل بنائها.

و قد مضى تحقيق معنى المسجد فى سورة البقرة عند قوله تعالى: و

من اظلم ممّن مساجد اللّه (مِنْ اَوَّلِ يَوْمٍ) من ايّام تأسيسها يعنى مسجد قبا (اَحَقُّ اَنْ تَقُومَ فيهِ) للصّلوة من مسجد اسّس على النّفاق لانّه بمظهريّته لنيّة المتّقى مجانس لك (فيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ اَنْ يَتَطَهَّرُوا) من الارجاس الباطنة و الانجاس الظّاهرة.

(وَ اللّٰهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرينَ) روى عن النّبىّ ﷺ انّه قال لأهل قبا: ماذا تفعلون فى طهركم فانّ اللّه قد احسن عليكم الثّناء؟ ـ قالوا نغسل اثر الغائط. قال: فأنزل اللّه فيكم: و اللّه يحبّ المطهّرين.

(اَفَمَنْ اَسَّسَ بُنْيانَهُ) بنيان وجوده (عَلٰى تَقْوٰى مِنَ اللّٰهِ وَ رِضْوانٍ) من اللّه عطف على محذوفٍ مستفادٍ من سابقه و الهمزة و الفاء على التّقديم و التّأخير او على تقدير المعطوف عليه بينهما تقديره مسجد اسّس على التّقوى خير ام مسجد اسّس على النّفاق فامّن اسّس بنيانه او فمن اسّس بنيانه على تقوى من اللّه و رضوانٍ خير.

(اَمْ مَنْ اَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلٰى شَفا جُرُفٍ) الجرف جانب الوادى الّذى تجرفه السّيول و تذهب بتراب اصله فتنشقّ و الشّفا شفيره (هارٍ) اصله هائر وهور وهو المنشقّ المشرف على السّقوط (فَانْهارَ بِهِ) اسقطه اى البنيان او من اسّس البنيان (فى نارِ جَهَنَّمَ وَ اللّٰهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمينَ) عطف باعتبار المعنى كأنّه قال فمن أسّس بنيانه على شفير جهنّم ظالم و اللّه لا يهدى القوم الظّالمين.

اعلم، انّ النّفس الانسانيّة فى اوّل الخلقة ليس لها الّا فعليّة الجماد ثمّ تتدرّج الى فعليّة النّبات ثمّ الى فعليّة مراتب الحيوان من مراتب الخراطين الى مراتب البهيميّة و السّبعيّة، ثمّ الى فعليّة الشّيطانيّة، ثمّ الى فعليّة الانسانيّة فى

الجملة، و هى مقام تميزها للخير و الشّرّ العقليّين فى الجملة فى اوّل مراتب البلوغ و التّكليف و حينئذٍ تقع برزخاً بين عالم الجنّة و الشّياطين و فيه جهنّم و نيرانها، و بين عالم الملائكة بمراتبها و فيه الجنان و نعيمها و روحها و ريحانها، و الانسان فى هذا المقام ليس الّا قابلاً صرفاً يتصرّف فيه الشّياطين و يجذبونه الى السّفل و الى عالمهم و يتصرّف فيه الملائكة و يجذبونه الى العلو و الى عالمهم و له القوّة و الاستعداد للسير على تمام مراتب السّفل و الاتّصاف بها و على تمام مراتب العلو و الاتّصاف بها، فان ساعده التّوفيق و ادرك ببصيرته شروره و انّ جذب الشّياطين له ليس الّا الى دار الشّرور و اتّقى ذلك و لم ينصرف الى ما اقتضيه القوّة الشّيطانيّة و السّبعيّة و البهيميّة، بل كان على حذرٍ من ذلك و قام فى مقام الانسانيّة متدرّجاً فى مراتبها فقد اسّس دار وجوده و تعيّشه على تقوى من لوازم سخط اللّه و هى مقتضيات القوى المذكورة، و ان ادركه خذ لان اللّه العياذ باللّه.

و انصرف عن مقام الانسانيّة و انجذب بوسوسة الشّيطان الى مقام القوى المذكورة و هو اقرب مقاماته الى العالم السّفلىّ الّذى فيه جهنّم و قام فى هذا المقام الّذى هو اضعف مراتبه و او هنها فقد اسّس دار وجوده و تعيّشه على او هن مقاماته الّذى اذا انهدم سقط فى جهنّم.

(لاٰ يَزٰالُ بُنْيٰانُهُمُ الَّذى بَنَوْا) يعنى اهل مسجد الضّرار (رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ) سبب شكٍّ (اِلّٰا اَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) فلا يبقى منها اثر حتّى تتصّف بالرّيبة (وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يعنى انّ بنيانهم سبب جهلهم و بلاهتهم و اللّه عليمٌ حكيمٌ فيكون بنيانهم سبب بعدهم من اللّه فليهدم كما روى انّه ﷺ امر بهدمه و احراقه.

﴿اِنَّ اللّٰهَ اشْتَرٰى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اَنْفُسَهُمْ وَ اَمْوٰالَهُمْ بِاَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾بعد ماذكر اصناف المنافقين و احوالهم ذكر اوصاف المؤمنين و ما هم عليه و ما لهم فى الآخرة لازدياد حسرة المنافقين.

اعلم، انّ النّفوس البشريّة خلقت متعلّقة بمعنى انّ التّعلّق جزؤ جوهر ذواتها و فصل مميّز لها عن الجواهر المجرّدة الصّرفة لا انّ التّعلّق وصف خارج عن ذواتها عارض لها، و هذا التّعلّق الفطريّ هو الذّى يكون منشأ شوقها الذّى يعبّر عنه بالفارسيّة ب (درد) و هو يقتضى التّعلّق الاختياريّ حين البلوغ فان ساعدها التّوفيق و تعلّقت اختياراً حسبما كلّفها اللّه بالعقول المجرّدة و مظاهرها البشريّة فازت بالحيوة الابديّة.

و ان خذلها اللّه و تعلّقت بالشّيطان و مظاهره البشريّة اعاذنا اللّه منها، هوت اللّه المظاهر القهريّة و هلكت، و لمّا كان فى بدو الامر مداركها العقليّة ضعيفة و مداركها الحيوانيّة و الشّيطانيّة قويّةً بحيث لاتدرك الّا ما ادركته المدارك الظّاهرة و الباطنة الحيوانيّة او ما اقتضته القوى الحيوانيّة و الشّيطانيّة، و لا يتيسّر لها ادراك العقول و التّعلّق بها بلاواسطة بشريّة مدركة بمداركها الحيوانيّة، امرهم اللّه تعالى شأنه بالتّعلّق بمظاهر العقول من الانبياء و خلفاءهم و الانقياد لهم و اتباعهم، و لتطابق العوالم و توافق المراتب و لزوم سريان حكم كلّ عالم و مرتبته الى سائر العوالم و المراتب، امرهم اللّه تعالى بالبيعة الّتى هى مشتملة على التّعلّق الجسمانيّ بعقد يدى المتعلّق و المتعلّق به و تعلّق سمع كلّ بلسان الآخر و صوته ليكون التّعلّق النّفسانيّ موافقاً للجسمانيّ و سارياً الى المرتبة البشريّة.

و تلك البيعة كانت سنّةً قائمةً من لدن آدم عليه السلام الى زمان ظهور دولة

الخاتم ﷺ، بحيث كان اهل كلّ دين لا يعدّون من اهل ذلك الدّين احداً الّا بالبيعة مع صاحب ذلك الدّين او مع من نصبه لاخذ البيعة من النّاس و لتلك كانت شرائط و آداب مقرّرة مكتومة عندهم، و لشرافة تلك البيعة و الضنّة بابتذالها عند من ليس لها باهلٍ كانت تختفى فى كلّ دين بعد قوّته و رحلة صاحبه و اختيار العامّة له بأغراضهم الفاسدة على سبيل الرّسم و الملّة، و قوله و بئر معطّلة اشارة الى التّحقّق بالدّين بالدّخول فيه بما به تحقّقه من البيعة.

و قصر مشيد اشارة الى صورة الدّين المأخوذة على طريق الرّسم و الملّة من دون التّحقّق به اذا تقرّر ذلک.

فاعلم، انّ تلك البيعة لمّا لم تكن الّا مع المظاهر البشريّة لعدم امكان الوصول الى اللّه و الى العقول من غير توسّط تلك المظاهر و قد تحقّق انّ المظاهر يعنى الانبياء و خلفاءهم عليهم السلام لفنائهم فى اللّه خصوصاً وقت اخذ البيعة و اشتراء الانفس و الاموال، وجودهم وجود اللّه لا وجود انفسهم لعدم نفسيّةٍ لهم حينئذٍ و فعلهم فعل اللّه لا فعل انفسهم، و كان القاصرون لا يرون البيعة الّا مع الوسائط من غير نظرٍ الى الظّاهر فيها.

قال اللّه تعالى بطريق حصر القلب او التّعيين او الافراد انّ اللّه اشترى لا الوسائط البشريّة كما اعتقدوا القصورهم و قد صرّح بالحصر فى قوله انّما يبايعون اللّه يعنى انّ المشترى هو اللّه لا انت، و هكذا قوله يداللّه فوق أيديهم للحصر اعتباراً لمفهوم اضافة اليد الى اللّه يعنى يداللّه لا يدک.

كما مضى عند قوله تعالى الم يعلموا انّ اللّه هو يقبل التّوبة عن عباده انّه اشارة الى تلك البيعة و انّه للحصر فانّ قبول التّوبة من اجزاء تلك البيعة و مقدّماته، و قول المفسّرين انّ الآية و ذكر الاشتراء تمثيل لاثابة اللّه

ايّاهم على بذل الانفس و الاموال انّما هو بالنّظر الى المبايعة الماليّة لاالمبايعة الاسلاميّة (يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ) حال لبيان حالهم و ما يشترط عليهم حين الاشتراء او مستأنف جواب لسؤالٍ عن حالهم و ما اشترط عليهم.

اعلم، انّ الدّاخل فى الاسلام بالبيعة العامّة النّبويّة و قبول الدّعوة الظّاهرة و الدّاخل فى الايمان بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة لا ينفكّ عن المقاتلة مع الاعداء الباطنة و جنود الشّيطان، و ان كان قد ينفكّ عن المقاتلة مع الاعداء الظّاهرة و ايضاً لا ينفكّ عن قتل لشيءٍ من جنود الجهل و اتباع الشّيطان و عن مقتوليه بحسب مراتب جنود الحيوان ما لم يمت اختياراً او اضطراراً، و لذا اتى بالافعال الثّلاثة مضارعاتٍ دالّاتٍ على الاستمرار.

(فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ) قرىء الاوّل مبنيّاً للفاعل و الثّانى مبنيّاً للمفعول وبالعكس (وَعْداً عَلَيْهِ) وعد المقاتلة بحسب الشّرط فى البيعة او وعد الجنّة بازاء الانفس و الاموال وعداً ثابتاً عليه (حَقّاً) صفة لوعداً او حال منه او مصدر لمحذوفٍ اى ثبت ذلك الوعد ثبتاً.

(فِى التَّوْرٰيةِ وَ الْاِنْجِيلِ وَ الْقُرْاٰنِ وَ مَنْ اَوْفٰى) افعل التّفضيل او فعل ماض (بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بٰايَعْتُمْ) اللّه بتوسّط مظاهره (بِهِ) ان كان او فى افعل تفضيل و من استفهاميّة فالفاء جواب شرطٍ محذوفٍ اى اذا لم يكن احد او فى بعهده من اللّه فاستبشروا.

و ان كان فعلاً ماضياً و من شرطيّة او موصولة فالفاء جواب الشرط المذكور اذاالموصولة فى مثل هذا المقام متضمّنة لمعنى الشّرط لكن يقدّر حينئذٍ بعد الفاء القول اى فيقال لهم: استبشروا، و الوجه الاوّل اولى لتناسبه لقوله وعداً عليه حقّاً (وَ ذٰلِكَ) البيع الّذى بايعتم على ايدى خلفائه او ذلك

الوعد (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ اَلتَّائِبُونَ) هو على قراءة الرّفع مقطوع عن الصّفة للمدح او مستأنف مقطوع عمّا قبله جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: من المؤمنون المستبشرون؟

فقال: التّائبون، و على كلا التّقديرين فهو خبر مبتدء محذوفٍ، و نسب الى المعصومين عليهم السلام انّهم قرؤه بالجرّ صفة للمؤمنين و المراد التّائبون بالتّوبة الخاصّة على ايدى خلفاء اللّه الّتى هى من اجزاء البيعة المذكورة.

(الْعَابِدُونَ) الصّائرون عبيداً خارجين من رقّيّة انفسهم داخلين فى رقّيّة مولاهم او فاعلين فعل العبيد يعنى كان فعلهم بامر مولاهم لا بامر أنفسهم.

(الْحَامِدُونَ)المعتقدون المشاهدون كلّ كمال و جمال من اللّه فانّه الحمد حقيقةً الذّاكرون اللّه بكماله و جماله بألسنتهم طبق اعتقادهم و شهودهم.

(السَّائِحُونَ) فى اراضى العالم الصّغير و العالم الكبير و فى اخبار الامم الماضية و فى شرائع الانبياء و مواعظ الاولياء و نصائحهم و فى الكتب السّماويّة و لاسيّما القرآن المهيمن على الكلّ و قد اشير فى الاخبار الى كلّ.

و فسّر ايضاً بالصّائمين و قد ورد انّ سياحة امّتى الصّيام و هو من قبيل التّفسير بالسّبب، فانّ الصّيام و هو منع القوى الحيوانيّة عن مشتهياتها يضعّفها و بتضعيفها يرتفع الحجاب عن المدارك الانسانيّة و ينفتح بصيرة القلب و ينطلق رجل العقل فيسيح فى اراضى وجوده و يسرى سياحتها الى اراضى سيرة الانبياء عليهم السلام و الاولياء عليهم السلام و كتبهم، او يسرى الى سياحة العالم الكبير بالنّظر فى آياته و العبرة من تقليباته بأهله فانّه السّياحة حقيقةً لا المشى فى وجه الارض خالياً من ذلك النّظر و تلك العبرة.

(الرَّاكِعُونَ) بالرّكوع المخصوص الذّى هو من اركان الصّلوة

الصّوريّة او باظهار الخضوع و الذّلّ للّه و لخلفائه (السّاجِدُونَ) بسجدة الصّلوة او بمطلق السّجدة للّه او بغاية الخضوع و التّذلّل (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) لأهالى عوالمهم او لأهل العالم الكبير بعد استكمال اهالى عوالمهم و الفراغ منهم (وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ) هكذا.

و الاتيان بالعاطف لتماميّة السّبعة و العرب فى التّعداد اذا تمّ عدد السّبعة يأتى بالو او و تسمّى و او الثّمانيّة و سرّه تماميّة العوالم الكلّيّة الالٓهيّة بالسّبع، و قد مضى فى اوّل سورة البقرة تحقيق للامر بالمعروف و النّهى عن المنكر عند قوله تعالى: اتأمرون النّاس بالبرّ (الآية) (وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللّٰهِ) بعد الفراق من الامر و النّهى بابقاء المأمورين و المنهيّين على الايتمار و الانتهاء فى العالم الصّغير و العالم الكبير و الحافظون على حدود احكام اللّه من العبادات و المعاملات و غاياتها المقصودة منها.

مثل ان يحفظ فى الصّلوة على الانقياد و الخشوع و التّشبّه بالملائكة و الشّخوص بين يدى اللّه و الانصراف من التّوجّه الى عالم الطّبع و الحيوان الى اللّه، و مثل ان يحفظ فى النّكاح على التّوالد و ابقاء النّسل و ازدياد المودّة و الرّحمة و الاستيناس، لا ان يكون نكاحه لمحض قضاء الشّهوة الحيوانيّة و اللّذّة النّفسانيّة بل يكون حين اللّذّة حافظاً لتلك الغايات ناظراً اليها، و ما ورد فى تفسيره بالحفظ على الصّلوة بحفظ او قاتها و ركوعها و سجودها او بحفظ احكام اللّه فهو مشير الى هذا المعنى.

امّهات منازل السّالكين

اعلم، انّ الآية الشّريفة جامعة لامّهات منازل السّالكين الى اللّه و اسفارهم مشيرة الى جميع مقامات السّائرين، فانّ التّائبون اشارة الى منازلهم

الحيوانيّة و مقاماتهم الخلقيّة لانّ التّوبة هى السّير من الخلق الى الحقّ و هو السّفر الاوّل من الاسفار الاربعة و للانسان فى هذا السّفر مقاماتٌ و مراحل عديدة و ليس له الّا التّعب و الكلفة و لا يوازى لذّته كلفته.

و لذا ترى اكثر السّالكين واقفين فى هذا السّفر حائرين لا يمكنهم الرّجوع و لا الوقوف على مقامهم الحيوانىّ، لما ايقنوا من انّ ذلك المقام من مقامات الجحيم و لما رأوا لانفسهم فيه من العذاب الاليم و لا يمكنهم التّجاوز و السّير الى ما فوقه لكثرة المتاعب و ضعف يقينهم و قلّة التذاذهم بالمقامات الانسانيّة و ضعف نفوسهم عن التحمّل و قوّة قويهم فى طلب مقتضياتها.

و العابدون اشارة الى مقاماتهم الحقّيّة الخلقيّة، لانّ العبوديّة هى السّير فى المقامات الانسانيّة و على المراحل الرّوحانيّة الى الانتهاء الى حضرة الاسماء و الصّفات، و هو السّفر الثّانى من الاسفار الاربعة اى السّفر من الحقّ الى الحقّ.

و الحامدون السّائحون الرّاكعون السّاجدون اشارة الى مقاماتهم الحقّيّة اى السّير فى حضرة الاسماء و التّمكّن فى التّحقّق بحقائق الصّفات الالهيّة، و هو السّفر السّالك اى السّفر بالحقّ فى الحقّ.

و الامرون بالمعروف و النّاهون عن المنكر و الحافظون لحدود اللّه اشارة الى مقاماتهم الالهيّة و مراتبهم الرّبوبيّة اى السّير فى المظاهر الالهيّة متّصفين بصفات الرّبوبيّة مبدّلين للخلقيّة بالحقّيّة ناظرين الى المظاهر الى كلّ فى مرتبته معطين لكلّ ذى حقّ حقّه، و هو آخر الاسفار الاربعة يعنى السّفر بالحقّ فى الخلق.

و بيان هذه الاسفار و مقاماتها و ما يرد فيها و ما يشاهد منها من الآيات

ممّا يضيق عنه بيان البشر و لا يسعه هذاالمختصر.

و اجمال القول فيها: انّ الانسان فى زمان الصّبا الى اوان البلوغ حيوان كالخراطين و الدّيدان او كالبهائم و السّباع لا يدرى من الخيرات الّا ماافتضته القوى الحيوانيّة و لا من الشّرور الّا ماتستضرّ به.

و بعد بلوغ الاشدّ و ظهور اللّطيفة الانسانيّة و تميز الخيرات و الشّرور العقليّة الانسانيّة، امّا يقف على الحيوانيّة باقياً فيه شىءٌ من الانسانيّة، او يهوى عن الحيوانيّة الى اسفل السّافلين مهلكاً للطّيفة الانسانيّة، او ينزجر عن الحيوانيّة و يرغب فى الخيرات الانسانيّة متدرّجاً فيه الى ان يطلب من يبيّن له طريق جلب خيراته و دفع شروره الانسانيّة، لانّه خارج عن ادراك مداركه الحيوانيّة غير مدرك بمداركه العقليّة لضعفها، و ذلك التّدرّج فى الانزجار و ان كان توبة و انابة لغة لكنّه لا يسمّى عند اهل اللّه توبة و لا انابة.

لانّ التّوبة و الانابة عندهم اسم للرّجوع عن الحيوانيّة الى الانسانيّة الالٓهيّة و لخفاء طريقها كثيراً ما يقع الرّاجع عن الحيوانيّة الى حيوانيّةٍ او شيطانيّة بتدليس الشّيطان و ظنّه انّها خيرات انسانيّة فيقع فيما فرّ منه، فما لم يظهر صحّة رجوعه عن الحيوانيّة الى الانسانيّة لم يطلق عليه اسم التّوبة و صحّة الرّجوع عن الحيوانيّة الى الانسانيّة لا تظهر الّابقبوله من اللّه، و قبوله من اللّه لا يظهر الّا بقبول خلفاءه و هم المظاهر الانسانيّة و الكاملون الفارقون ببصيرتهم بينها و بين الحيوانيّة.

فاذا وصل الى نبىٍّ او ولىٍّ و تاب هو عليه و هى توبة اللّه عليه و استغفر له فى البيعة العامّة النّبويّة و قبول الدّعوة الظّاهرة صدق على رجوعه التّوبة و الانابة بجهتيه و صار تائباً، و بتلك التّوبة لا يحصل له الّا خيراته القالبيّة

المؤدّية الى خيراته الانسانيّة و لا يلتذّ بها بل لا يرى فيها الّا التّعب و الكلفة و لا يسكن حرارة طلبه للخيرات الانسانيّة و لا يتمّ توبته.

فاذا طلب و وجد و تاب بالتّوبة الخاصّة فى البيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة و دخول الايمان فى القلب و هناك يتمّ صورة توبته فقد يلتذّ بانموذج خيراته الانسانيّة، لكنّه ما لم يخرج من ملكه و لم يلج ملكوت السّماوات و لم يشاهد ملكوت شيخه كان تائباً و لم يخلص له اللّذّات الانسانيّة و كان بعد فى تعب و كلفة و ضيق لا يرضى بحالٍ من احواله و يتقلّب فى الاحوال، حتّى يشاهد ملكوت الشّيخ و يسكن الشّيخ فى ارض صدره و يتمكّن له دينه الّذى ارتضاه له و حينئذٍ يتمّ سيره من الخلق الى الحقّ.

فانّ ملكوت الشّيخ هى الحقّ بحقّيّة الحقّ الاوّل و يصير حينئذٍ سالكاً الى اللّه، لانّه كان قبل ذلك سالكاً الى الطّريق و يصير عبداً خارجاً من رقّيّة نفسه داخلاً فى رقّيّة اللّه و يصير فعله ايضاً فعل العبد حيث تمكّن الشّيخ فى وجوده و صار بالنّسبة الى شيخه كالملائكة بالنّسبة الى الحقّ الاوّل، لا يعصى الشّيخ و هو بأمر نفسه و يصدق عليه انّه عبد و عابد و يصير مسافراً بالسّفر الثّانى من الحقّ الى الحقّ لانّ المبدأ ملكوت الشّيخ و هى الحقّ، و المنتهى هو الحقّ المضاف.

و مراحل هذا السّفر و مقاماتها خارجة عن الحصر و العدّ، و السّالك فى هذا السّفر و اله غير شاعرٍ كالمجذوب فاذا وصل الى حضرة الاسماء و الصّفات تمّت عبوديّته و فنى عن افعاله و صفاته و ذاته و اتّصف بالرّبوبيّة اذا تمّ له هذا السّفر و صحا عن فنائه و صدق ما قالوا: الفقر اذا تمّ هو اللّه، و انتهاء العبوديّة ابتداء الرّبوبيّة.

و فی هذا المقام یظهر بعض الشّطحیّات من السّالکین مثل: انا الحقّ، و سبحانی ما اعظم شانی، و لیس فی جبّتی سوی اللّه، و السّالک حینئذٍ مسافر فی الحقّ و هو السّفر الثّالث و لا انتهاء لمقامات هذا السّفر، و فی هذا السّفر لا یری فی الوجود الّا اللّه و لا یری جمالاً و کمالاً الّا اللّه فینسب تمام الکمال و الجمال الیه تعالی من غیر شعورٍ بهذه النّسبة منه و هو حمده بل یتحقّق بالصّفات الجمالیّة و الاسماء الحسنی الالٓهیّة و هو حامدیّته حقیقة.

و یصدق حینئذٍ علیه انّه سائح حیث انّ السّیاحة هی السّیر لمشاهدة غرائب صنع اللّه و هو فی السّفر الاوّل لا یمکنه مشاهدة صنع اللّه بل لا یری الّا المصنوع، و فی السّفر الثّانی امّا لا یشعر بصنع و مصنوع بل لا یشعر الّا بشیخه او لا یری الّا المصنوع بحسب تقلیباته ذات الیمین و ذات الشّمال، و فی هذا السّفر حین یفیق من جذبته یری و یشاهد لکن لا یری الّا صنع اللّه و غرائبه لخروجه من التّعیّنات الکونیّة فلا یری فی الوجود الّا صفاته و اسماءه تعالی.

و کلّ ما یشاهد یتذلّل و یخضع له و هو الرّکوع و السّجود بحسب تفاوت مراتب خضوعه، فاذا تحقّق باسمائه و صفاته و تمّ سفره هذا عاد الی ما منه رجع لاصلاح العباد و سافر بالحقّ فی الخلق و امر بامر اللّه و نهی بنهی اللّه و حفظ الامر و النّهی علی المأمورین و المنهیّین.

و کذا یحفظ غایات اوامره و نواهیه علیهم، و المسافر بهذا السّفر امّا نبیّ او رسول او خلیفة لهما، و مقامات هذا السّفر ایضاً غیر متناهیة بحسب عدم تناهی کلمات اللّه و بحسب مقاماته یتعدّد و یختلف مراتب الانبیاء و الرّسل.

و ما ورد من تحدید الانبیاء بمائة و عشرین الفاً او بمائة و اربعة

عشرين الفاً فهو امّا لمحض بيان الكثرة او لتحديد امّهات المقامات، و ما ورد عن المعصومين عليهم السلام من تخصيص الاوصاف بأنفسهم قد علم وجهه حيث لا يوجد تلك الاوصاف بحقائقها الّا فيهم لكن اذا صحّ ايمان المؤمن و صدق فى ايمانه توجد رقائقها و انموذجاتها فيه فليطلب المؤمن من نفسه فاذا لم يجد لم يكن صادقاً فى ايمانه.

(وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) عطف على الامر السّابق و بينهما اعتراض لبيان حال المؤمنين و وضع المؤمنين موضع ضميرهم للاشعار بعلّة الحكم و لتصويرهم بأوصافهم المذكورة حيث انّ اللّام للعهد الذّكرىّ و المذكور المؤمنون الموصوفون بالاوصاف المذكورة.

(مٰا كٰانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا) يعنى ما صحّ (اَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كٰانُوا اُولِى قُرْبىٰ مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ) بلغ غاية الوضوح (لَهُمْ اَنَّهُمْ اَصْحٰابُ الْجَحِيمِ).

اعلم، انّ الكافر ما لم ينقطع فطرته الّتى هى لطيفته الانسانيّة لا منع فى الاستغفار و الدّعاء بالخير له حيّاً و ميّتاً و لا يجوز لعنه على الاطلاق بل يجوز من حيث كفره و شركه، و للاشارة الى هذا المعنى قوله تعالى انّى لعملكم من القالين، و انّى برئ ممّا تعملون، و اذا انقطع فطرته يجوز لعنه على الاطلاق و لا يجوز له الدّعاء بالخير و لا يعلم قطع الفطرة الّا بشهود مراتب وجوده او بوحىٍ من اللّه او بسماعٍ من صاحب الكشف او الوحى.

و ما ورد فى الاخبار و افتى به العلماء (رضى اللّه عنهم) ايضاً من انّ المرتدّ الفطرىّ لا يقبل توبته ناظر الى هذا المعنى، و ما ذكروه من الفرق بين المرتدّ الملّىّ و الفطرىّ كما فى الاخبار انّما هو باعتبار انّ التّولّد على الاسلام

و التّولّد على الكفر ثمّ الخروج عن الاسلام كاشف عن الارتدادين و قد مضى تحقيق الارتداد فى سورة آل عمران عند قوله و من يتبغ غير الاسلام ديناً، و للاشارة الى ماذكرنا قال تعالى من بعد ما تبيّن بالكشف و الوحى او بالسّماع من صاحب الكشف و الوحى لهم: انّهم اصحاب الجحيم منقطعوا الفطرة غير مرجوّى النّجاة يعنى لا قبل هذا التبيّن.

(وَ مٰا كٰانَ اسْتِغْفٰارُ إِبْرٰاهِيمَ لِأَبِيهِ) عطف لاستدراك ما يتوهّم من انّ ابراهيم عليه السلام كان نبيّاً و استغفر لابيه المشرك (إِلاّٰ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهٰا إِيّٰاهُ) يعنى كان استغفاره و فاءً بوعده و هو خصلة حسنة و كان قبل ان تبيّن له انّه اصحاب الجحيم بقرينة قوله (فَلَمّٰا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ) اى فطرة بمعنى انقطاع جهة محبّته للّه و هى اللطّيفة الانسانيّة (تَبَرَّءَ مِنْهُ) مع انّه كان اقرب قراباته.

و فسّر قوله تعالى الّا عن موعدة وعدها ايّاه بوعد آزر لابنه ان يسلم و هو يؤيّد ماذكرنا لانّ وعد الاسلام لايكون الّا عن فطرة الانسان (إِنَّ إِبْرٰهِيمَ لَأَوّٰاهٌ حَلِيمٌ) الاوّاه الكثير التّأوّه و اكثر ما يكون التّأوّه اذاكان حزن على فراق محبوبٍ و هو يستلزم كثرة الدّعاء و التّضرّع فى الخلوات و حال العبادات فما ورد من تفسيره بالدّعّاء اوبالمتضرّع تفسير باللّازم و هو تعليل لاستغفاره.

(وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدٰيهُمْ)تكويناً بايصالهم الى مقام الانسانيّة الّتى بها يتميّز الخيرات و الشّرور الانسانيّة او تكليفاً بايصالهم الى من يبايعهم بيعة عامّة او بيعة خاصّة و تبيّن لهم خيراتهم و شرورهم التّكليفيّة (حَتّٰى يُبَيِّنَ لَهُمْ) تكويناً او تكليفاً (مٰا يَتَّقُونَ) ما

ينبغى ان يتّقوه من شرورهم الانسانيّة لاتمام الحجّة.

(اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) جواب لسؤالٍ كأنّه قيل ايعلم دقائق ما يضلّون و يهتدون به و ما يتّقون.

(اِنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّماٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ) ابتداء كلام غير مرتبط بالسّابق او تعليل لعلمه بكلّ شىءٍ، او تعليل لنسبة الاضلال و الهداية و التّبيين الى نفسه، او جواب لسؤالٍ عن حالهم مع اللّه و نسبته تعالى اليهم (يُحْيِى) بالحيوة الحيوانيّة او بالحيوة الانسانيّة (وَ يُمِيتُ) هكذا.

(وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِىٍّ) يتولّى اموركم بجلب ما هو خيركم اليكم (وَ لاٰ نَصِيرٍ) يدفع عنكم شروركم و قد مضى مراراً انّ النّبىّ ﷺ بولايته هو الولىّ الّذى يتولّى امور التّابع من اصلاح حاله فى نفسه و بنبوّته و رسالته هو النّصير الّذى ينصر التّابع بدفع الشّرور عنه.

و هذا النّفى لدفع توهّم يرد على قلب المريد النّاقص حيث لا يرى من شيخه المرشد الّابشريّته و كذا من شيخه الدّليل فيظنّ انّهما بحسب البشريّة او بانفسهما يتوليّان مستقلّين او بالاشتراك مع اللّه تعليم المريد و اصلاحه.

فرفع هذا الوهم بحصر ذلك فى نفسه بمعنى انّهما فى توّلى أمور المريد ليسا الّا مظهرين و الظّاهر المتوّلى هو اللّه لا هما وحدهما و لا باشتراكهما مع اللّه.

(لَقَدْ تٰابَ اللّٰهُ عَلَى النَّبِىِّ) و قرئ بالنّبى و على قراءة على النّبىّ فتوبته تعالى عليه باعتبار توبته على امّته اعطاءً لحكم الجزء للكلّ، او لحكم التّابع للمتبوع، او التّوبة بمعنى مطلق الرّجوع لانّهم و قعوا فى غزوة تبوك فى الشّدّة و القحط و شدّة الحرّ و قلّة الماء فرجع بالرّخاء و الرّاحة و عدم الحاجة

الى القتال و الصّلح على الخراج بدون زحمة القتال.

(وَ الْمُهٰاجِرِينَ وَ الْاَنْصٰارِ) حيث تخلّف بعضهم و كره بعض آخر الخروج الى تلك الغزوة فلحق المتخلّفون و رغب الكارهون (اَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ) حين خروجه على كراهة او بعد خروجه بلحوقهم له (فِى سٰاعَةِ الْعُسْرَةِ) فى زمان العسرة فانّ غزوة تبوك اتّفقت فى شدّة الحرّ و زمان القحط مع بعد السّفر (مِنْ بَعْدِ مٰاكٰادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) عن اتّباعه و اعتقادرسالته و قيل: همّ قوم منهم ان ينصرفوا بعدالخروج بدون اذنه فعصمهم اللّه.

و روى انّ عددالعسكر فى تلك الغزوة بلغ خمسة و عشرين الفاً سوى العبيد و الاتباع، و قيل: بلغ عدد جميعهم اربعين الفاً (ثُمَّ تٰابَ عَلَيْهِمْ) بعصمتهم عن الزّيغ (اِنَّهُ بِهِمْ رَئُوفٌ رَحِيمٌ) الفرق بين الرّأفة و الرّحمة كالفرق بين الاحوال و السّجايا فانّ الرّأفة عبارة عمّا يظهر من آثار الرّحمة من النّصح و الحمل على الخير.

(وَ عَلَى الثَّلٰثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) استعمال الخوالف فى النّساء و المخلّف فى الرّجال للاشارة الى انّ التّخلّف شأنهنّ فتخلّفهنّ لا تعمّل فيه، و امّا الرّجال فانّ شأنهم التّهييج للقتال و تخلّفهم كأنّه كان بتعمّل و قبول من غيرهم.

و لمّا فهم العامّة من ظاهره انّ رسول اللّه ﷺ خلّفهم انكر المعصومون عليهم السلام قراءة خلّفوا و قرأوا خالفوا و الّا فقد سبق استعمال المخلّف فى المتخلّفين المخالفين عندقوله فرح المخلّفون و المعنى فرح الّذين حملهم الشّيطان على التّخلّف لا الرّسول ﷺ، و الثّلاثة المخلّفون كانوا كعب بن مالكٍ و مرارة بن الرّبيع و هلال بن اميّة كانوا تخلّفوا عن غزوة تبوك و استقبلوا رسول اللّه ﷺ

بعد مراجعته، فسلّموا عليه فلم يردّ عليهم الجواب و أمر اصحابه ان لا يسلّموا عليهم و لا يكلّموهم و لا يبايعوهم و لا يجالسوهم.

فدخلوا المدينة و لا يكلّم معهم احد، و دخلوا المسجد فلا يسلّم عليهم احد، و جاءت نساؤهم الى رسول اللّه ﷺ و قالت: بلغنا سخطك على ازواجنا؛ انعتزلهم؟

فقال: لا تعتزلنهم و لكن لا يقاربو كنّ، فلمّا رأوا ما حلّ بهم قالوا: ما يقعدنا بالمدينة فخرجوا الى الجبال و قالوا: لا نزال فى هذه الجبال حتّى يتوب اللّه علينا، و كان أهلوهم يأتونهم بالطّعام فيضعونه عندهم و لا يكلّمونهم فلمّا طال عليهم الامر قال بعضهم: يا قوم سخط اللّه علينا و رسوله و اخواننا و اهلونا فلا يكلّمنا احد فما لنا نجتمع و لا يسخط بعضنا بعضاً.

فتفرّقوا و حلفوا ان لا يتكلّم احد منهم احداً حتّى يموتوا او يتوب اللّه عليهم، فبقوا على هذه الحال فأنزل اللّه توبتهم على رسوله حين اشتدّ الامر عليهم.

(حَتّٰى اِذٰا ضٰاقَتْ عَلَيْهِمُ الْاَرْضُ بِمٰا رَحُبَتْ) بعدم تكلّم رسول اللّه ﷺ و لا اصحابه و لا اهليهم (وَ ضٰاقَتْ عَلَيْهِمْ اَنْفُسُهُمْ) بعدم اجتماعهم و عدم تكلّم بعضهم بعضاً (وَ ظَنُّوا) اى علموا و أيقنوا و اطلاق الظّنّ على العلم لما مرّ مراراً انّ علوم النّفس ان كانت يقينيّاتٍ فهى ظنون لتوجّهها الى السّفل و تخلّف المعلوم و غاياتها عنها بخلاف علوم العقل فانّ معلوماتها ثابتة و غاياتها غير متخلّفة.

و هؤلآء لمّا كانوا قبل قبول توبتهم واقعين فى مرتبة النّفس كانت علومهم ظنوناً (اَنْ لاٰ مَلْجَأَ مِنَ اللّٰهِ اِلاّٰ اِلَيْهِ ثُمَّ تٰابَ عَلَيْهِمْ) رجع

بالرّحمة و التّوفيق عليهم (لِيَتُوبُوا) صادقين الى اللّه فَيَقْبَلَ توبتهم (اِنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوّابُ) كثير المراجعة على العباد بالرّحمة و التّوفيق سهل القبول لتوبتهم (الرَّحيمُ) فلا يدعهم لرحمته ان يدوموا على العصيان.

(يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا) بعد ما ذمّ المتخلّفين عن رسول اللّه ﷺ رغّب المؤمنين فى طاعته و عدم التّخلّف عنه ليكون اوقع و لان يجمع بين الوعد و الوعيد كما هو شأن النّاصح الحكيم (اتَّقُوا اللّٰهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّادِقينَ)

اعلم، انّ الايمان قد يطلق على الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة و قبول الدّعوة الظّاهرة و انقياد النّفس و القالب تحت احكام القالب المأخوذة من نبىّ او خليفته.

و قد يطلق على الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة و انقياد القلب تحت احكام القلب المأخوذة من صاحب أحكام القلب و هو الايمان حقيقةً لصحّة سلب اسم الايمان عن الاسلام كما قال تعالى: قالَتِ الْاَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰكِنْ قُولُوا اَسْلَمْنا يعنى ما اعتقدتموه ايماناً ليس بايمانٍ بل هو اسلام.

و التّقوى من سخط اللّه و عذابه قد تطلق باعتبار مطلق الانزجار عن النّفس و مقتضياتها و هو مقدّم على الاسلام الحقيقىّ الّذى هو هداية للايمان، و قد تطلق باعتبار الانصراف عن النّفس و طرقها الى طريق القلب و السّلوك اليه و التّقوى بهذا المعنى لاتحصل الّا بالايمان الخاصّ و البيعة الولويّة.

لانّ الانسان ما لم يبايع بتلك البيعة لم يتّضح له طريق القلب فضلاً عن التّوجّه اليه و السّلوك عليه و لم يدخل الايمان فى قلبه، فهذه التّقوى لاتحصل

قبل الاسلام و لا قبل الايمان بل هى الايمان و تكون بعد الايمان الى ان تحصل التّقوى من ذاته من غير شعورٍ بتقواه و هو الفناء التّامّ الذّى لا فناء بعده و بعده صحو و بقاء باللّه و اتّصاف بصفات اللّه الحقيقيّة و الاضافيّة الّتى هى داخلة تحت اسم الرّحمن.

كما قال تعالى: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ اِلَى الرَّحْمٰنِ وَ فَداً يعنى بعد انتهاء التّقوى لهم صحو و اتّصاف بصفة الرّحمانيّة الّتى هى مجمع سائر الصّفات الاضافيّة و باعتبار هذا المعنى خصّصوا التّقوى بشيعتهم، و الصّدق لغةً و عرفاً مطابقة القول اللفّظىّ او النّفسىّ للواقع، و عند اهل اللّه النّاظرين الى الاشياء بما هى عليه الصّدق مطابقة الاقوال و الافعال و الاحوال و الاخلاق و العلوم لما ينبغى ان يكون الانسان عليه، و لما هو نفس الامر لما ينتسب الى الانسان بما هو انسان.

فانّ اللطّيفة الانسانيّة مظهر للعقل ان لم تكن محجوبةً باغشية الآراء النّفسيّة و الكدورات الطّبيعيّة و العقل مظهر للّه تعالى و مظهر المظهر مظهر، و ما ينسب الى مظهر شيءٍ من حيث انّه مظهر ذلك الشّىء ينسب الى ذلك الشّىء حقيقةً و يصحّ سلبه عن المظهر.

كما فى قوله تعالى: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ فِى عَيْنٍ اِنَّ الْقَتْلَ كٰانَ بِأَيْدِيهِمْ فسلب نسبة القتل عنهم حيث انّهم لغاية الدّهشة و نزول السّكينة الّتى هى ظهور الحقّ تعالى كانوا مظاهر للسّكينة و السّكينة مظهر للّه تعالى فسلب القتل عنهم و اثبته للظّاهر فيهم و هو السّكينة اوّلاً و الحقّ الاوّل ثانياً فقال: و لكنّ اللّه قتلهم اسقاطاً لحكم الظّاهر الاوّل ايضاً.

و كذا قوله تعالى: «وَ مٰا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ رَمٰى» فما هو

نفس الامر لما ينسب الى الانسان ان يكون بحيث ينسب حقيقة الى اللّه و يصحّ سلبه عن الانسان فما ينسب الى الانسان اذا لم يصحّ نسبته الى اللّه تعالى او لم يصحّ سلب نسبته عنه كان كذباً.

و كما انّ القول فعل اللسّان كذلك الافعال و الاحوال و الاخلاق و العلوم قول الاركان و الجنان، و صيغة الصّادق لغة تطلق على من اتّصف بصدقٍ ما من غير تعرّض لكونه سجيّة له او عرضيّاً لكنّه غلب فى العرف على من صار الصّدق سجيّةً له.

فعلى هذا كان الصّادق من تمكّن فى الانسانيّة و صار كلّما صدر عنه موافقاً لما اقتضته انسانيّته، و هذا المعنى مخصوص بالانسان الكامل و لذا حصروا الصّادقين فى انفسهم، و صيغة الامر من الكون تدلّ على الاستمرار اذا اطلقت خصوصاً اذا كان بعدها ما يدلّ على المعيّة المشعرة بالاستمرار و ان كان الامر من غير الكون مطلقاً عن التّقييد بالاستمرار و عدمه اذا اطلق، و المعيّة تصدق على المصاحبة البدنيّة البشريّة لكن استمرار تلك المصاحبة غير ممكن لافراد البشر حيث تحتاج لبعض ضروريّاتها الى المفارقة البدنيّة على انّها لا تفيد فائدة اخرويّة يعتنى بها اذا لم تقترن بالمصاحبة النّفسيّة.

اما سمعت انّ اكثر المنافقين كانوا اشدّ مصاحبة للنّبىّ ﷺ من سائر الصّحابة! و بعضهم سابقاً فى الهجرة و مذكوراً فى الكتاب بالمصحابة! و لمّا كان مصاحبتهم محض المصاحبة البدنيّة لم تنفعهم فى الآخرة، و تصدق على المصاحبة النّفسيّة مع رقائق الصّادقين المأخوذة منهم من الفعليّة الحاصلة فى نفوس التّابعين بسبب البيعة و الاتّصال الصّورىّ، و قبول الولاية الّتى هى بمنزلة الانفحة للبن الاعمال وبمنزلة البذر لزرع الآخرة و من الذّكر الذّى

يلقّنهم الصّادقون قلبيّاً كان او لسانيّاً.

فانّ الذّكر المأخوذ من ولىّ الامر رقيقته و نازلته الّتى نزلت من مقامه العالى و لبست لباس الذّكر القلبىّ او اللسّانىّ و تحقيق هذا المطلب قد مضى شطرٌ منه، و تصدق على المصاحبة النّفسيّة مع حقائقهم الملكوتيّة الّتى يعبّر عنها بصورة الشّيخ و بالسّكينة القلبيّة و بالفكر و الرّحمة و النّعمة و الآية الكبرى و الاسم الاعظم و للاشارة الى تينك المعنيين قال تعالى: و الذّين هم على صلوتهم دائمون لانّ هذا الذّكر و الفكر صلوة حقيقيّة و الصّلوة القالبيّة صورة تلك الصلاة و قالت الصّوفيّة: ينبغى للسّالك ان يكون دائم الذّكر و الفكر و قيل بالفارسيّة: (خوشا آنان كه دائم در نمازند) و استمرار تلك المعيّة امر ممكن و ان كان النّاقصون من السّلاك فى تعسّرٍ منه.

فمعنى الآية يا ايّها الذّين أسلموا بالبيعة العامّة النّبويّة اتّقوا اللّه بالبيعة الخاصّة الولويّة و داوموا على الذّكر المأخوذ من الصّادقين ان لم تكونوا من اهل الفكر، او على الذّكر و الفكر ان كنتم من اهل الفكر، او يا ايّها الذّين آمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة اتّقوا اللّه فى الانصراف عن طريق القلب و داوموا على الذّكر و الفكر (مٰا كٰانَ) استيناف لتعليل الامر السّابق و المعنى ما ينبغى (لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرٰابِ) من اهل الشّرق و الغرب فانّ ما حول المدينة بالنّسبة الى العوالم الأُخر تمام الدّنيا و اهلها ما لم يدخلوا فى الاسلام اعراب كلّهم و كذلك ما كان لاهل المدينة القلب و الصّدر المنشرح بالاسلام و من حولهما (أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ) الذّى هو اصل فى الصّدق، و صدق سائر الصّادقين فرع صدقه (وَ لاٰ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ) بسبب محبّة انفسهم او فى انفسهم او لا يرغّبوا انفسهم على ان يكون البـاء

للتّعدية (عَنْ نَفْسِهِ ذٰلِكَ) اى عدم جواز التّخلّف و الرّغبة (بِـأَنَّهُمْ لاٰ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ) عطش (وَ لاٰ نَصَبٌ وَ لاٰ مَخْمَصَةٌ) مجاعة (فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَ لاٰ يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفّٰارَ وَ لاٰ يَنٰالُونَ مِـنْ عَـدُوٍّ نَيْلاً) من غلبة و قتل و اسرونهب (اِلاّٰ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صٰالِحٌ) يعنى سواء اصيبوا او اصابوا اثيبوا و للفرق بين ما عليهم و ما لهم اتى بقوله فـى سبيل اللّه بين المتعاطفين كما انّ توسّط الاستثناء و تعليله بين المتعاطفات كان كذلك و للتأكيدبالتّكرير (اِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُضِيعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يعنى انّهم باتّباعهم لرسول اللّه ﷺ محسنون و اللّه لا يـضيع اجـر المـحسنين (وَ لاٰ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لاٰ كَبِيرَةً وَ لاٰ يَقْطَعُونَ وٰادِياً اِلاّٰ كُتِبَ) ذلك (لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّٰهُ اَحْسَنَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ) يعنى يكتب كلّما عملوا لينظر اليها و يجزى كلّها بازاء احسنها و ليس المراد انّه لا يـجزى الّـا احسنها.

و يجوز ان يراد هنا انّهم يجزون بأحسن ممّا عملوا.

اعلم، انّ الانسان كما يكون فى الاستكمال بحسب بدنه من اوّل صباه يكون فى الاستكمال بحسب نفسه و كلّ فعلٍ يصدر منه خـيراً كـان او شـرّاً يحصل منه فعليّة له.

و لمّا كان واقعاً بين عالمى الملائكة و الشّياطين، فان لم يتمكّن فى احد العالمين لا يمكن الحكم عليه بكونه من اهل الرّحمة او اهل العذاب من غير تقييدٍ بشرط البقاء على الاسلام او الكفر، و كان بحسب العاقبة محكوماً عليه بكونه مرجىً لأمر اللّه و ان لم يكن داخلاً فى صنفهم، و ان دخل فى احدهما و تمكّن فيه صار جميع الفعليّات الحاصلة له مسخّرةلحا كم ذلك العالم اى العقل

او الشّيطان و صارت محكومةً بحكم احسنها او اسوئها.

فانّ احسن الاعمال ما كان الفعليّة الحاصلة منه مسخّرة للعقل و أسوأها ما كان الفعليّة الحاصلة منه مسخّرة للشّيطان، و غير هذين حسن و سيّئ باعتبار قربهما الى العقل و الشّيطان فاذا صار الفعليّات كلّها مسخّرة للعقل بسبب تمكّن صاحبها فى اتّباع الاخيار و الانقياد لهم كان جزاء كلّ الاعمال سيّئها و حسنها و احسنها بجزاء احسنها، و اذا صارت مسخّرة للشّيطان كان الجزاء بالعكس، و ايضاً اذا صار الانسان متمكّناً فى اتّباع الابرار صار محبوباً للّه بمنطوق فاتّبعونى يحببكم اللّه و اذا صار محبوباً للّه صار كلّ اعماله محبوبةً سيّئها و حسنهاكأحسنها فيجزى الكلّ بمثل أحسنها، و اذا صار مبغوضاً صار كلّ اعماله مبغوضة مثل اقبحها فيجزى بأسوء الّذى كان يعمل من اوّل عمره.

و قد حقّقنا فى موضعٍ آخر انّ اسماء الاشياء اسماء لفعليّاتها الاخيرة و احكامها ايضاً جارية على فعليّاتها الاخيرة فمن كان فعليّته الاخيرة فعليّة الولاية كان جزاء جميع فعليّاته جزاء فعليّته الاخيرة و جارياً عليها (وَمٰا كٰانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كٰافَّةً)جميعاً عطف على ما كان لاهل المدينة و استدراك لما يتوهّم من الآية السّابقة من لزوم ملازمة النّبىّ ﷺ لجميع المؤمنين و عدم جواز التّخلّف عنه فى حالٍ من الاحوال، مع امتناعه عادةً لاختلال معيشتهم و عدم كفاية ما فى يدالنّبىّ ﷺ بحاجتهم و ضيق محلّه عن سكناهم، و كون الآية استدراكاً مبتنٍ على تلازم العلم و العمل و انّ الغاية من جميع الاعمال حصول العلم، و حينئذٍ فوضع المؤمنين موضع ضمير اهل المدينة للاشارة الى انّ ملازمة خدمة النّبىّ ﷺ واجبة لاهل الشّرق و الغرب

ما لم يحصّلوا الاسلام فاذا حصّلوا الاسلام فليس عليهم الّا خروج طائفة مستعدّة لتلك الملازمة حتّى يستكملوا بالعلم و العمل و يستحقّوا الاذن فی ارشاد قومهم.

و امّا اذا جعل الآية الاولى فی الجهاد و الثّانية فی تحصيل العلم فهی عطف من دون اعتبار استدراكٍ (فَلَوْلاٰ نَفَرَ) الى الجهاد او الى خدمة النّبیّ ﷺ او مشايخه لتحصيل العلم (مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طٰائِفَةٌ) مستعدّون لاستكمال القوّتين العلميّة و العمليّة (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدّ ينِ)ليطلبوا الفقاهة اوليكمّلوها (وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ اِذٰا رَجَعُوا اِلَيْهِمْ)بعداستكمالهم فی القوّتين و اذنهم فی الارشاد و تعليم العباد.

اعلم، انّ الفقه كما مرّ علم دينیّ يتوسّل به الى آخر و المقصود العلوم العقليّة الانسانيّة فانّ العلم الدّينیّ هو العلم الانسانیّ العقلیّ عقليّاً كان او خياليّاً.

لانّ الانسان بانسانيّته طريق الى الآخرة و واقع فی الطّريق و سائر عليه، و حيث انّه بانسانيّته سالك على الطّريق يكون علمه فی الاشتداد و الازياد دون العلم الخيالیّ الّذی يحصل بتصرّف الواهمة دون العقل سواء سمّی عقليّاً او خياليّاً، فانّه علم نفسیّ حيوانیّ موصول الى الملكوت السّفلى صادٌّ عن طريق الآخرة و ان كان صورته صورة علم الآخرة.

فالفقه كما فی الصّحيحة النّبويّة امّا علم بالاحكام القالبيّة المسمّاة بالسّنّة القائمة و لا طريق اليها الّا الوحی الالٓهیّ لخفاء ارتباطها الى عالم الآخرة و خفاء كيفيّة ايصالها اليه، و اختلافها باختلاف درجات المكلّفين بها فهی لا تحصل الّا بالاخذ و التّقليد من نبیٍّ او ممّن اخذها منه، و امّا علم بالنّفس

و اخلاقها و احوالها و هى الفريضة العادلة.

و امّا علم بالعقائد الحقّة الدّينيّة و هى الآيات المحكمات لكون كلّ منها آية و علامة من الحقّ تعالى و مبدئيّته و مرجعيّته؛ هذا اذا جعل العقل ذلك وسيلة الى مقاصده الاخرويّة.

و امّا اذا جعله الوهم وسيلة الى آماله الدّنيويّة و مآربه الحيوانيّة فلم يكن فقهاً و لا علماً و اشباه النّاس سمّوه فقهاً و علماً.

و المراد بالتّفقّه كمال الفقاهة سواء جعل الهيئة للمبالغة او غيرها لانّه تعالى غيّاه بالانذار و المراد بالانذار ما يكون مؤثّراً فى المنذر، و لا يكون الانذار مؤثّراً فى المنذر الّا اذا كان المنذر كاملاً فى قوتيه العلميّة و العمليّة، و الّا فلفظ الانذار كثيراً ما يجرى على لسان غير المتفقّه كانذار خلفاء الجور و علماءهم و قصّاصهم و وعّاظهم، الّذين كانوا يأمرون و لا يأتمرون و ينهون و لا ينتهون و يعظون و لا يتّعظون و لم يحصل من ذلك الّا وبال اتمام الحجّة عليهم لا تأثّر المخاطبين، و لخفاء كمال النّفس فى هاتين القوّتين على المتفقّه و على غيره كانوا يحتاجون فى الانذار و الامر و النّهى الى الاذن و الاجازة من الامام او نائبه و كانت سلسلة الاجازة منضبطة فى سلسلة العلماء الظّاهرة و الباطنة (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) موبقات انفسهم و قد ورد فى تفسير قول النّبىّ صلى الله عليه و آله: اختلاف امّتى رحمة؛ انّه اختلافهم من البلدان اليه صلى الله عليه و آله او الى خلفائه عليهم السلام للتّفقّه لا اختلافهم فى الدّين حتّى يكون اجتماعهم عذاباً.

و يمكن تصحيح ظاهره بان يكون المراد اختلافهم فى كيفيّة التّكليف حيث انّ كلّا مكلّف على قدر مرتبته كما قيل: **حسنات الابرار سيّئات المقرّبين.**

و قد ورد فى تعميم الآية انّه يجرى فى النّفر بعد وفاة الامام عليه السلام لتعيين الامام الذّى يكون بعده و درك خدمته و تجديد التّوبة و البيعة معه.

و قد فسّرت ايضاً هكذا، فلولا نفر من كلّ فرقة طائفة للجهاد و اقام طائفة للتّفقّه ليتفقّه المقيمون (يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا) بالايمان العامّ (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) اى يقربون منكم فانّ التجاوز عنهم الى الاباعد لا يرتضيه العقل لانّه ايقاع للانفس بين الاعداء و ترك للاحتياط بالنّسبة الى من خلّفتموه فى اوطانكم (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) و شدّة بأس حتّى لا يجترؤا عليكم (وَ اعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) فاتّقوا اغراض النّفس فى القتال من المراياة و الصّيت و الغنيمة تنصروا فهو تخصيص على التّقوى (وَ اِذَا مَا اُنْزِلَتْ سُورَةٌ) عطف على مقدّر كأنّه قال لكن اذا امروا بالقتال تثبّط بعضهم و اذا ما انزلت سورة (فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ) استهزاءً (اَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ اِيمَاناً فَاَمَّا الَّذِينَ اٰمَنُوا فَزَادَتْهُمْ اِيمَاناً) جواب وردٌّ عليهم من اللّه (وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) بنزولها لانّهم يرونها نعمةً لهم (وَ اَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) تعريض بالمنافقين (فَزَادَتْهُمْ رِجْساً اِلَى رِجْسِهِمْ) شكّاً و وسوسة الى شكّهم (وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ) فاستحقّوا الخلود (اَوَلاَ يَرَوْنَ) توبيخ لهم على عدم عبرتهم و عدم توبتهم (اَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ) بالبلايا فى ابدانهم فى انفسهم او يمتحنون بجهاد الاعداء و ظهور آثار صدق النّبوّة بغلبتهم مع عدم تهيّة اسباب الغلبة (فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً اَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ) من نفاقهم و كفرهم و خديعتهم (وَ لاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ) انّ الافتتان من اللّه و انّه قادر على عذابهم (وَ اِذَا مَا اُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ اِلَى بَعْضٍ) ذمّ آخر

يعنى اشاروا بأنظارهم استهزاءً او غيظاً لما يرون فيها من عيوبهم قائلين (هَلْ يَرٰيكُمْ مِنْ اَحَدٍ) يعنى ان قمتم و صرفتم من هذاالمجلس (ثُمَّ انْصَرَفُوا) قاموا من مجلس محمّد ﷺ و انصرفوا عنه غيظاً (صَرَفَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ)استينافٌ.

دعاءٌ عليهم او اخبار عن حالهم (بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ يَفْقَهُونَ) لا يدركون ادراكاً يوصلهم الى طريق الآخرة و يستعقب ادراكاً آخر من امر الآخرة (لَقَدْ جٰائَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ) من جنسكم بشر او عرب او انسان كامل على ان يكون الخطاب للائمّة، و قرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مٰا عَنِتُّمْ)عنتكم (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) على حفظكم و ايمانكم (بِالْمُؤْمِنِينَ رَئُوفٌ رَحِيمٌ) التفات من الخطاب الى الغيبة.

و وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم، و على تخصيص الخطاب بالائمّة فالتّصريح بالمؤمنين للتّعميم كما ورد عنهم انّ من انفسكم فينا، و عزيز عليه من عنتّم فينا، و حريص عليكم فينا، وبالمؤمنين رؤف رحيم شركنا المؤمنون في هذه الرّابعة (فَاِنْ تَوَلَّوْا) عنك و عن الايمان بك (فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ) استظهاراً به و باعانته (لاٰ اِلٰهَ اِلاّٰ هُوَ) نفياً للغير فضلاً عن الحاجة اليه (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) من قبيل عطف العلّة.

مائة و تسع آياتٍ، و قيل: عشر آيات و هى مكّية كلّها: و قيل: سوى ثلاث آيات فان كنت فى شكّ ممّا انزلنا اليك (الى آخرها) و قيل: الّا آية هى و منهم من يؤمن به (الاية)

(الٓر) قد مضى فى اوّل البقرة و فى مطاوى ما سبق انّ امثال هذا من الرّموز الّتى يعبّربها عمّا عاينه المنسلخ عن هذا العالم من مراتب الوجـود و آياتة العظمى فيلقّيها الملك بالوحى اوبالتّحديث مشاراً بها الى تلك المراتب و الآيات، و اذا اريد التّعبير عن المقصود بها للراقدين فى فراش الطّبع يـعبّر بالمناسبات و التـّمثيلات كما يظهر الحقائق للنّائمبالمناسبات و التـّمثيلات فيحتاج الى تعبير من خبير بصير.

فما ورد فى تفسيرها من كون الالف اشارةً الى اللّه، و اللّام اشارةً الى جبرئيل، و الميم او الرّاء اشارةً الى محمّد ﷺ.

و كذا ما ورد من انّ معناه، انا اللّه الرّؤف، تمثيل محتاجٌ الى التّعبير.

و ما ورد انّالحروف المقطّعة فى القرآن حروف اسم اللّه الاعظم يؤلّفها الرّسول ﷺ او الامام فيدعوبها فيجاب فهو اشارة الى خواصّها الّتى تترتّب عليهابحسب اعدادها و نقوشها كما اشير اليه فى الاخبار.

او كناية عن اتّصافه بحقائقها (تِلْكَ اٰيٰاتُ الْكِتٰابِ) اشارة الى المراتب المشهورة المعبّر عنها بتلك الحروف و وجوه الاعراب فى امثاله و الفرق بين الكلام و الكتاب قد سبق فى اوّل البقرة (الْحَكِيمِ) ذى الحكمة فى العلم و العمل لانّ المراد بالكتاب مراتب الوجود من العقول و النّفوس و هى ذات حكمة فى العلم و العمل يعنى علمها و عملها مشتملان على الدّقائق او المحكم الّذى لا نسخ فيه فانّ المتشابه هو جملة عالم الطّبع بحقائقها و آثارها و منه الكتاب التّدوينىّ و عالم الطّبع من حيث ذاته متشابه و ان كان من حيث انتسابه الى اللّه محكماً.

(اَكٰانَ لِلنّٰاسِ عَجَباً اَنْ اَوْحَيْنٰا اِلىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ) لمّا اعتقدوا انّ الرّسول لابدّ و ان يكون مناسباً للمرسل و المناسب للّه هو الملك تعجّبوا من ادّعاء البشر لرسالةٍ من اللّه و اعتقدوا انّه فرية عظيمة و هذا حمق و سفاهة منهم.

فانّ الرّسول كما يكون مناسباً للمرسل ينبغى ان يكون مناسباً للمرسل اليهم و لا يكون الّا من كان ذا شأنين؛ شأن الٰهىّ و شأن خلقىّ حتّى يناسب بشأنيّة الطّرفين فأنكر سبحانه تعجّبهم و وبّخهم على ذلك.

(اَنْ اَنْذِرِ النّٰاسَ) وضع المظهر موضع المضمر لئّلا يتوهّم ارادة المتعجّبين منهم (وَ بَشِّرِ الَّذِينَ اٰمَنُوا) خصّ البشارة بالمؤمنين لانّ الانذار عامّ لهم و لغيرهم و البشارة بنعم الآخرة لا تكون الّا للمؤمنين و قد يخصّ الانذار بالكفّار لان انذار المؤمنين لا يكون الّا من جهة غفلتهم و كفرهم الخفىّ (اَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ) كما يكون سلوك البدن بالمركب او الرّجلين كذلك سلوك النّفس و مركبها و رجلاها الصّدق.

فالصّدق بحسب الظّاهر استعارة تخييليّة و اثبات القدم له ترشيح و تنكير الصّدق و افراد القدم اشارة الى كفاية ثبات قدمٍ واحدةٍ لشيءٍ من الصّدق (عِنْدَ رَبِّهِمْ) لانّه يجزيهم بأحسن ما كانوا يعملون فاذا ثبت لهم قدم واحدة من صدقٍ ما فازوا بكلّما وعداللّه المقرّبين.

و قد فسّر فى الاخبار بالشّفاعة وبمحمّد ﷺ وبالولاية و الكلّ صحيح كما عرفت (قَالَ الْكَافِرُونَ) بيان لانكارهم الوحى المستفاد من تعجّبهم و لذا لم يأت بالعاطف و جعله جواباً للسّؤال عنهم (اِنَّ هٰذَا) القرآن او الادّعاء من محمّدٍ ﷺ او تصرّفه فى النّاس و صرفهم الى نفسه اوالمجموع (لَسَاحِرٌ مُبِينٌ) كلّ فعلٍ او قولٍ دقيق يؤثّر فى النّفوس و لا يعلم سبب تأثيره يسمّى سحراً سواء كان بالتّصرّفات الملكوتيّة السّفليّة او العلويّة او امتزاجات القوى الرّوحانيّة مع القوى الطّبيعيّة اوبالتّصرّفات الطّبيعيّة المحضة.

(اِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْاَرْضَ فِى سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ) صرف الخطاب اليهم بعد ماأنكر عليهم و وبّخهم مزجاً للوعد و الوعيد و الرّحم و الغضب كما هو عادته تعالى و عادة خلفائه فى الوعظ و النّصح من الشّروع فى الانذار و الوعيد و الختم بالبشارة و الوعد.

و لذلك ختم بوعد المؤمنين بأبسط وجهٍ و للتّباين بينهما لم يأت باداة الوصل، و قد سبق تفسير الآية بتمام اجزائها فى سورة الاعراف (يُدَبِّرُ الْاَمْرَ) استينافٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ او حال عن فاعل خلق او استوى منفرداً او على التّنازع و لمّا كان خلقة و السّماوات و الارض و كذا استواؤه على العرش امراً قضى بحسب ظاهر الحسّ و التّدبير امراً يحتاج اليه المخلوق ما

بقى ادّاه بالمضارع الدّالّ على التّجدّد.

و الامر يقال على كلّ فعل كما يقال: بايّ امرٍ اشتغلت؟ و على حال الشّخص، و على طلب الشّىء بحكومة، و على فعل ذلك الطّلب، و على المجرّدات الا له الخلق و الامر اشارة اليه، و على المشيّة الّتى بها خلق الاشياء الّتى يعبّر عنها بوجهٍ بالعرش و بوجهٍ بالكرسىّ و هى الولاية المطلقة و الحقيقة المحمّدية ﷺ.

و التّدبير عبارة عن النّظر فى ادبار الافعال و الاحوال و اختيار الاحسن غاية منها، و المقصود انّ الّذى هو خالقكم غير غافلٍ عنكم ينظر فى اموركم و احوالكم و يختار ما هو خير لكم بحسب دنياكم و آخرتكم، و منه ارسال رسولٍ من جنسكم، او ينظر فى الامر الّذى هو عالم المجرّدات و كيفيّة تنزيله الى المادّيّات فينزّله على وفق حكمته و ما ننّزله الّا بقدرٍ معلوم اقتضته قابليّاتكم اشارة اليه، و منه ارسال الملك فانّه لا يرسل الملك اليكم بلا واسطة بشرٍ استعدّ لمشاهدته لانّه لو ارسل الى غير المستعدّ لاهلكه و هو خلاف التّدبير و النّظر فى عاقبة الامور و هكذا القول فى بيانه ان فسّر الامر بالمشيّة.

تحقيق تعلّق الشّفاعة و منها الافتاء للنّاس على الاجازة من اللّه

(مَا مِنْ شَفِيعٍ اِلاَّ مِنْ بَعْدِ اِذْنِهِ) استينافٌ جوابٌ لسؤالٍ كأنّه قيل: اليس لاحدٍ دخل فى امر النّاس و حالهم؟ او فى تعلّق فعل اللّه و امره بعالم الطّبع؟ و لا شفاعة اصلاً؟

فقال: لا شفاعة الّا باذنه و دخل الشّفيع باذنه تدبيره تعالى لا غير، او حال متداخلة او مترادفة، و الشّفاعة ههنا بمعنى مسئلة العفو عن ذى سلطنةٍ

لغير او مسئلة الاحسان اليه و شاع استعماله فى سؤال العفو للغير و الشّفاعة عنداللّه غير مختصّة بالآخرة كما يظنّ، بل هى ثابتة فى الدّنيا للانبياء عليهم السلام و اوصياءهم اذ استغفارهم للتّائبين البائعين على ايديهم شفاعة، و استغفارهم بعد ذلك لهم شفاعة، و امرهم بالخير و نهيهم عن الشّرّ و نصحهم و وعظهم كلّها نحو شفاعة.

فمن اجترأ على امر الخلق و نهيهم و بيان حلال اللّه و حرامه بالفتيا و الوعظ الذّى جعلوه صنعة كسائر الصّنائع المعاشيّة و القضاء بين النّاس من غير اذنٍ من اللّه بلا واسطةٍ او بواسطةٍ فقد اجترأ على اللّه.

و الاجتراء على اللّه نهاية الشّقاوة و هذا كسر عظيم على من دخل و اجترأ على اخذ البيعة من النّاس من غير اذنٍ من اللّه، كما كان ديدن الخلفاء من بنى امّيةً و بنى العبّاس، و كما اجترأ المتشبّهة المبطلة بالصّوفيّة فدخلوا فى ذلك من غير اذنٍ من مشايخ المعصومين عليهم السلام.

و لذلك كانت السّلف لم ينقلوا الحديث فضلاً عن بيان احكام اللّه بالرّأى و الظّنّ ما لم يجازوا من المعصوم عليه السلام او ممّن نصبوه، و مشايخ الاجازة و اجازة الرّواية مشهورة مسطورة و سلسلة اجازتهم مضبوطة، و كذا الصّوفيّة المحقّة كانوا لا يدخلون فى الامر و النّهى و بيان الاحكام و الاستغفار للخلق و اخذ البيعة منهم الّا اذا اجيزوا و سلاسل اجازاتهم مضبوطة عندهم، و ذمّ الامر بالمعروف و النّهى عن المنكر و الاقدام على الفتيا و الوعظ ممّن ليس له باهل خصوصاً ممّن جعله وسيلة الى اغراضه الفاسدة، من جمع المال و التّبسّط فى البلاد و التّسلّط على العباد و الصّيت و صرف وجوه النّاس اليه و ادخال محبّته فى قلوبهم قد كثر.

وروده فى الاخبار، اعاذنا اللّه من هذا العار و حفظنا من شرّ امثال هؤلآء الاشرار، و قد ورد فى وصف مجلس القضاء: هذا مجلس لايجلس فيه الّا نبىٌّ او وصىّ او شقىّ، و معلوم انّ الوصاية اذن من النّبىّ ﷺ فى التّصرّف فيما له التّصرّف فيه من حيث نبوّته و ما له التّصرّف فيه من حيث نبوّته هو الاحكام الالٓهيّة الّتى يبلّغها الى عباده و حديث:العلماء ورثة الانبياء، يشعر بما ذكرنا، لانّ الوراثة ليست الّا بالولادةالجسمانيّة او بالولادة الرّوحانيّة و ليست الولادةالجسمانيّة مقصودة.

و الولادة الرّوحانيّة لاتحصل بمحض الادّعاء بل هى نسبة خاصّة و اتّصال مخصوص و وراثة المتّصل بالنّبىّ ﷺ بقدر اتّصاله و قربه و بعده عن النّبىّ الّذى هو مورّثه، و لا يحصل اصل اتّصال النّسبة الرّوحانيّة الّا بالعمل الصّورىّ و التّفاضل فى الاتّصال بحسب التّفاضل فى القرب الحاصل بمتابعته و قدر الارث يختلف بحسب التّفاضل فمن كان له شأن الانوثة كان له قسط من الارث، و من كان له شأن الذّكورة كان له قسطان.

و العارف لذلك التّفاضل لا يكون الّا النّبىّ ﷺ او خليفته فوراثته لا تكون الّا بايراثه و هو الاذن المذكور (ذٰلِكُمُ) الموصوف بالخالقيّة و الاستواء على العرش الّذى هو جملة الاشياء و بتدبير امركم فى البقاء و عدم مداخلة احدٍ فى امركم الّا باذنه (اللّٰهُ) خبر او بدل او صفة على تقدير اعتبار معنى الوصفيّة فيه (رَبُّكُمْ) خبر لذلكم او صفة للّه او خبر بعد خبر (فَاعْبُدُوهُ) يعنى اذا كان اللّه الموصوف بتلك الصّفات ربّكم فافعلوا له فعل العبيد او صيروا له عبيداً.

و لمّا كان المقصود ترغيبهم فى عبادته لم يصرّح بحصر العبادة فى نفسه

و نفى استحقاق الغير (أَفَلاٰ تَذَكَّرُونَ) الا تفكّرون فيه و فى اوصافه و فى آلهتكم الظّاهرة من الاصنام والكواكب و غيرالمستحقّين للنّيابة الالٰهيّة و فى آلهتكم الباطنة من اهويتكم الفاسدة و اغراضكم الكاسدة فلا تذكّرون انّ الحقيق بالعبادة و الاطاعة هو اللّه و مظاهره البشريّة النّائبة عنه لاآلهتكم الّتى لا جهة استحقاق عبادة فيهم.

(اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً) استينافٌ جوابٌ لسؤالٍ عن العلّة او عن حاله مع خلقه و على الثّانى ايضاً يستلزم التّعليل (وَعْدَاللّٰهِ) وعداللّه وعداً (حَقّاً) مفعول مطلق تأكيد لنفسه ان جعل من قبيل له علىّ درهم حقّاً.

او تأكيد لغيره ان جعل من قبيل: ابنى انت حقّاً، او حال من وعداللّه، و الموعود امّا ارجاع الكلّ اليه او بدء الخلق و اعادتهم للجزاء.

(اِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) بيان للموعود و لذا لم يأت باداة الوصل، او تعليل لرجوع الكلّ اليه ان جعل الموعود ارجاع الكلّ اليه (لِيَجْزِىَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُواالصّٰالِحٰاتِ بِالْقِسْطِ) بالعدل الّذى هو لائق به من جزاء كلّ اعمالهم بجزاء احسنها.

او ذكر القسط هنا تمهيدٌ لوعيد الكفّار للاشارة الى انّه لاظلم معهم و هو لاينافى المعاملة معهم بالفضل بعد مراعاة القسط، و الحقّ انّ حقيقة القسط هى الولاية المطلقة المتحقّق بها علىّ عليه السلام، و انّ كلّ قسط يوجد فى العالم انّما هو من فروع تلك الولاية، لكن لا يسمّى القسط قسطاً شرعاً الّا اتّصل الولاية التّكوينيّة بالولاية التّكليفيّة بالبيعة العامّة النّبويّة اوبالبيعة الخاصّة الولويّة.

فالقسط شرعاً يستلزم الاسلام او الايمان و المنظور ههنا هو ذلك اللّازم كأنّه قال ليجزى الّذين آمنوا بالبيعة العامّة او بالبيعة الخاصّة و عملوا

الصّالحات بالبيعة الخاصّة و ما يشترط فيها، او بامتثال شرائط البيعة الخاصّة بالاسلام او بالايمان و يؤيّد هذاالمعنى موافقته لقرينته فى قوله تعالى: بما كانوا يكفرون، و لم يعيّن الجزاء تفخيماً له بابهامه اشارة الى انّه جزاء لائق باعطاءه (وَ الَّذينَ كَفَرُوا) عطف على الذّين آمنوا.

و على هذافقوله (لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَميمٍ وَ عَذابٌ اَليمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ) جملة مستأنفة بيان للجزاء او عطف على انّه يبدؤ الخلق او على مقدّرٍ مستفاد من قوله ليجزى الذّين آمنوا (الى الآخر).

كأنّه قال: فالذّين آمنوا (الى آخر الآية) و الذّين كفروا (الى آخر الآية) و على هذا فتغيير الاسلوب للاشارة الى انّ جزاء الكّفار من الغايات بالعرض و انّه ينسب الى انفسهم لانّهم اولى بسيّئاتهم من اللّه.

(هُوَ الَّذى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً) استيناف فى معرض التّعليل للبدءة و الاعادة للجزاء او للتّدبير او فى معرض البيان لتدبيره تعالى، و لم يذكر منازل الشّمس و لا غاية ايجادها و منافع سيرها لانّها كثيرة لايحيط بها البيان و لانّ اكثرها مشهودة للعوامّ و لعدم شهرة منازل للشّمس بخلاف القمر (وَ الْقَمَرَ نُوراً) الفرق بين النّور و الضّياء بالعموم و الخصوص و حمل الضّياء و النّور للمبالغة، او باعتبار ما يرى منهما من انّهما نور ان متجوهران (وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ) قدّر له منازل او قدّره ذا منازل او سيّره منازل (لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنينَ وَ الْحِسابَ) فانّ الاعوام و الشّهور فى نظر العوامّ منوطة بدورات القمر دون الشّمس.

(ما خَلَقَ اللّٰهُ ذٰلِكَ اِلاّٰ بِالْحَقِّ) بسبب الحقّ او بالغاية الحقّة (يُفَصِّلُ الْاٰياتِ) قرئ بالغيبة و التّكلّم (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) اى نفصّلها

بالبيان و فى الوجود لقوم لها صفة العلم.

اعلم، انّ الانسان من اوّل استقرار نطفته فى الرّحم بل من اوّل تولّد مادّته من العناصر الى زمان بلوغه سالكٌ على الطّريقة القويمة الانسانيّة بتسبيبات آلهيّة، و مدرك لخيراته بادراك جماديٍ او نباتيٍ او حيوانيٍ لا بادراكٍ انسانيّ، و لا يسمّى ادراكه ذلك علماً كما لا يسمّى ادراك غير الانسان من المواليد علماً، فاذا بلغ بهذاالسّلوك او ان بلوغه و استغلظ فى بدنه و نفسه و حصل له العقل الذّى هو مدرك خيراته و شروره الانسانيّة.

فان كان ادراكه للاشياء بقدر مرتبته الدّانية و قوّته الضّعيفة من حيث انّها دوالّ قدرته تعالى و آيات حكمته و اسباب توجّهه و سلوكه الى الحقّ القديم سمّى ادراكه ذلك علماً، و ان لم يكن ادراكه كذلك بل يدرك الاشياء مستقّلات فى الوجود و لم يدركها من حيث انّها متعلّقات دالّات على صانعها لم يسمّ علماً، بل يسمّى جهلاً مشابهاً للعلم، مثل ان يرى احد من بعيد ظّلاً لشاخصٍ و يظنّ انّ الظّل شاخص مستقلّ فى الوجود، و هذا كما يجرى فى الآيات الجزئيّة الآفاقيّة و الانفسيّة يجرى فى الآيات القرآنيّة و الاخبار المعصوميّة و الاحكام الشّرعيّة خصوصاً فى حقّ من جعلها وسائل للاغراض الدّنيويّة.

و الحاصل انّ كلّ ادراك يكون سبباً لسلوكه الفطريّ على الطّريق الانسانيّ و لاشتداد مداركه الانسانيّة و ازدياد ادراكاته الاخرويّة يسمّى علماً، و كلّ ادراك يكون سبباً لوقوفه عن السّلوك او لرجوعه عن الطّريق الى الطّرق السّفلية الحيوانيّة يكون جهلاً بل الجهل السّاذج يكون افضل منه بمراتب؛ اذا تقرّر هذا فتفصيل الآيات تكويناً و تدويناً لا يكون الغرض منه الّا

ادراك من له صفة العلم لعدم انتفاع الغير به.

(اِنَّ فِى اخْتِلَافِ الَّيْلِ وَ النَّهَارِ) جواب لسؤالٍ ناشٍ عن السّابق و هكذا الجمل المذكورة فيما بعد الّتى لا عاطف فيها (وَ مَا خَلَقَ اللّٰهُ فِى السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ) لمّا كان الشّمس و القمر من الآيات الظّاهرة علّق كونهما آية على صفة العلم الّتى هى اوّل مراتب الانسانيّة بخلاف سائر المخلوقات و بخلاف اختلاف اللّيل و النّهار و لذلك علّق كونهما آيةً على التّقوى الّتى مرتبتها فوق مرتبة اصل العلم فانّ التّقوى عمّا يتّقى بعد العلم بما يتّقى.

(اِنَّ الَّذِينَ لاٰ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) جواب لسؤالٍ ناشٍ عن تعليق الآيات على العلم و التّقوى، و عدم رجاء اللقّاء كناية عن عدم العلم فانّ العالم باللّه طالب للقائه و الطّالب راجٍ كما انّ قوله (وَ رَضُوا بِالْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا وَ اطْمَاَنُّوا بِهٰا)كناية عن عدم التّقوى لانّ الاطمينان بالحيوة الدّنيا مضرّ بالحيوة العليا و مفنيها (وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ اٰيَاتِنَا غٰافِلُونَ) من قبيل عطف المسّبب على السّبب.

(اُولٰئِكَ) تكرار المسند اليه و التّعبير عنه باسم الاشارة لتصويرهم و استحضارهم بالاوصاف المذكورة (مَاْوٰيهُمُ النّٰارُ بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ). فانّ الغافل كلّما كسب كان جاذباً له الى السّفل و الجحيم و ان كان كسبه صورة الصّلوة و الصّيام.

(اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا)بالبيعة العامّة او بالبيعة الخاصّة (وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ) اى البيعة الخاصّة و شرائطها او شرائط البيعة الخاصّة و الاعمال الّتى كلّفوا بها فيها (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ)المضاف الّذى هو ولىّ امرهم

الى ملكه و ولايته على الاوّل و الى ملكوته على الثّانى (بِايمانِهِمْ) باسلامهم او بايمانهم الخاصّ او يهديهم فى الآخرة الى الجنّة (تَجْرِى) حال اومستأنف جواب سؤال (مِنْ تَحْتِهِمُ الْاَنْهارُ فِى جَنّاتِ النَّعيمِ) متعلّق بتجرى او ظرف مستقرّ حال متداخلة او مترادفة او مستأنفٌ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير مبتدء محذوف.

(دَعْويٰهُمْ فيها سُبْحانَكَ اللّٰهُمَّ) مستأنف او حال من جنّات النّعيم او من المؤمنين على التّرادف او التّداخل (وَ تَحِيَّتُهُمْ فيها سَلامٌ وَ اٰخِرُ دَعْويٰهُمْ اَنِ الْحَمْدُلِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمينَ) ان هى المخفّفة.

اِعْلم، انّ فى الآية اشارة اجماليّة الى درجات المؤمنين و مقامات السّالكين فانّ، آمنوا اشارة الى البيعة الاسلاميّة، و عملوا الصّالحات الى البيعة الايمانيّة و الاعمال القالبيّةُ القلبيّة او المجموع الى البية النّبويّة و الاعمال القالبيّة، و يهديهم الى البية الولويّة الايمانيّة و الاعمال القلبيّة و السّلوك من مقام النّفس الى مرتبة القلب، و تجرى من تحتهم الانهار اشارة الى سيرهم فوق مرتبة القلب فى مراتب الرّوح و العقل.

و دَعْويٰهُمْ فيها سُبْحانَكَ اللّٰهُمَّ اشارة الى انتهاء سيرهم و آخر مراتب فناءهم و هو فناءهم و هو فناؤهم عن ذواتهم و عن فنائها.

و تحيّتهم فيها سلام اشارة الى بقاءهم باللّه فى اللّه من غير صحو و بقاء فانّ السّلامة على الاطلاق وَ اٰخِرُ دَعْويٰهُمْ اَنِ الْحَمْدُلِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمينَ اشارة الى حشرهم الى اسم الرّحمن و بقاءهم باللّه فى الخلق لتكميل الغير.

و بعبارة اخرى اشارة الى اسفارهم الاربعة اى السّفر من الخلق الى

الحقّ بقوله: آمنوا و عملوا الصّالحات، و السّفر من الحقّ الى الحقّ بقوله: يهديهم (الى) سبحانك اللّهمّ، و السّفر فى الحقّ بقوله تحيّتهم فيها سلام، و السّفر بالحقّ فى الخلق بقوله و آخر دعواهم، رزقنا اللّه و جميع المؤمنين.

(وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللّٰهُ لِلنّٰاسِ الشَّرَّ) عطف على انّ الذّين لا يرجون لقاءنا و تخلّل انّ الذّين آمنوا غير مخلٍّ بالوصل و العطف لانّه جوابٌ لسؤالٍ ناشٍ عن المعطوف عليه فكأنّه من متعلّقاته كأنّه قال: انّ الذّين لا يرجون لقائنا حالهم كذا مع انّ حال المؤمنين كذا و لو عجّلنا لهم الشّرّ الذّى استحقوه لم يبقوا فى الدّنيا متمتّعين (اسْتِعْجٰالَهُمْ بِالْخَيْرِ) تعجيلاً مثل تعجيله لهم الخير فالباء للتعدية او مثل حثّه و حمله ايّاهم على العجلة فى الخير او بالخير فالباء بمعنى فى اوللسببيّة او مثل عجلتهم فى الخير او بسبب الخير.

(لَقُضِيَ اِلَيْهِمْ اَجَلُهُمْ)لاقضى اليهم قضاء مدّتهم الّتى اجّلوا فيها او لاقضى اليهم آخر عمرهم الذّى اجّلوا اليه.

(فَنَذَرُ الَّذِينَ لاٰ يَرْجُونَ لِقٰاءَنٰا فِي طُغْيٰانِهِمْ يَعْمَهُونَ) عطف على لو يعجّل اللّه باعتبار المعنى اى لم يعجّل فنذر الذّين لا يرجون او جزاء شرطٍ محذوفٍ اى اذا لم نقض اليهم اجلهم فنذرهم فى طغيانهم (وَ اِذٰا مَسَّ الْاِنْسٰانَ الضُّرُّ دَعٰانٰا لِجَنْبِهِ)حالكونه على جنبه فاللّام بمعنى على و المقصود مطلق القاء البدن على الارض سواء كان على الجنب او الظّهر او الوجه و يعبّر بالالقاء على الجنب عن مطلق احوال الالقاء كثيراً فى العرب و العجم.

(اَوْ قٰاعِداً اَوْ قٰائِماً) اى فى جملة الاحوال فلفظة او لتفصيل الاحوال (فَلَمّٰا كَشَفْنٰا عَنْهُ ضُرَّهُ)كان المناسب ان يقول فاذا كشفنا حتّى

يصحّ تعقيبه للشّرط المستقبل لكنّه ادّاه بالشّرط الماضى اشارة الى انّ مسيس الضّرّ و الدّعاء عقبيه سجيّة للانسان مستغرق للماضى و المستقبل كأنّه قال: اذا مسّ الانسان الضّرّ دعانا و قد مسّه الضّرّ فدعانا فلمّا كشفنا عنه ضرّه.

(مَرَّ كَاَنْ لَمْ يَدْعُنٰا اِلىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ) كناية عن اعراضه و عدم عنايته بشأن من كان محتاجاً اليه و متنعّماً به و قد صار هذه العبارة مثلاً فى العرب و العجم فى هذاالمعنى اذاذكر بعده ما يدلّ على تشبيه حال المحتاج بغير المحتاج.

(كَذٰلِكَ) اى مثل مازيّن للمكشوفى الضّرّ اعمالهم حتّى لا يبالوا بمن دعوه لكشفه و غفلوا عنه (زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ) من اتّباع الشّهوات و الانهماك فيها حتّى وقعوا فى الغفلات (وَ لَقَدْ اَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمّٰا ظَلَمُوا) انفسهم بالغفلة و عدم المبالاة بسخط اللّه و مكره و هو تهديد للغافلين (وَ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ) فما اكثر ثوابهم و ببيّناتهم لغاية غفلتهم (وَ مٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا) لغاية غفلتهم و انهما كم فى الشّهوات لتزيين الشّيطان لهم اعمالهم الشّهويّة.

(كَذٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ثُمَّ جَعَلْنٰاكُمْ خَلاٰئِفَ) اى خلائف لنا اوللاسلاف (فِى الْاَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَ اِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ اٰيٰاتُنٰا بَيِّنٰاتٍ قٰالَ الَّذِينَ لاٰ يَرْجُونَ لِقٰاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذٰا) و هم الواقعون فى جهنّام النّفس و النّفس كالمرأة الخبيثة لا ترضى بوضع يحصل لها و تتمنّى دائماً غير الوضع الذّى هو حاصل لها و هؤلآء باقتضاء فطرة النّفس سئلوا تبديل القرآن (اَوْ بَدِّلْهُ) يعنى اترك هذا القرآن وائت بمكانه قرآناً نرتضيه.

او غيّره بتبديل مالانرتضيه الى مانرتضيه (قُلْ مٰا يَكُونُ) ما يصحّ اى (لِي اَنْ اُبَدِّلَهُ) اغيّره بترك اصله او بتبديل آياته او اقتصر على الامتناع عن التّبديل ليدلّ على انّ تركه اصلاً اولى بالامتناع (مِنْ تِلْقٰاءِ نَفْسي) بدون امر ربّى، (اِنْ اَتَّبِعُ اِلاّٰ مٰا يُوحىٰ اِلَيَّ) يعنى ليس لى نفسيّة و امر نفسٍ و اتّباع لامر النّفس لانّ شأنى و اتّباعى مقصور على امر ربّى.

(اِنّي اَخٰافُ اِنْ عَصَيْتُ رَبّي عَذٰابَ يَوْم عَظيم) جواب سؤال عن العلّة و تعريض بهم حيث يعصون و لا يخافون (قُلْ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لاٰ اَدْريٰكُمْ بِهِ) اى لااعلمكم اللّه به على لسانى يظنّ فى بادى النّظر انّ حقّ العبارة ان يقال: لو لم يشأ اللّه ما تلوته حتّى يفيد ترتّب عدم التّلاوة على عدم المشيّة و يستفاد من مفهومه ترتّب التّلاوة على المشيّة، و مفاد الآية ترتّب عدم التّلاوة على المشيّة و استلزامه بحسب المفهوم لترتّب التّلاوة على عدم المشيّة و الحال انّ الوجوديّ يحتاج الى العلّة الوجوديّة و العدم لا علّة له، و ما قالوا: علّة العدم عدم.

فهو من باب المشاكلة و لوسلّم فيقتضى تعليق عدم التّلاوة على عدم المشيّة لا على نفس المشيّة، و الجواب انّه تعالى اراد ان يشير الى انّه لا شأن له ﷺ عدميّاً كان او وجوديّاً الّا و هو متعلّق بمشيّة اللّه و العدم الصّرف و ان كان لا علّة له و تعلّق له بشىءٍ.

لكنّ الاعدام الشّأنيّة اى اعدام الملكات كالوجوديّات تقتضى علّة و تعلّقاً و اذا كان عدم تلاوته مع انّه عدميّ متعلّقاً بمشيّته تعالى فتلاوته كانت متعلّقة بالطّريق الاولى، لانّها حادثة وجوديّة مقتضيته للعلّة و التّعلّق.

و مفهوم الآية تعلّق التّلاوة بعدم مشيّة عدم التّلاوة و هو اعمّ من مشيّة التّلاوة او عدم المشيّة مطلقاً (فَقَدْ لَبِثْتُ) الفاء عاطفة على لو شاء اللّه ما تلوته بملاحظة المعنى مع اشعاره بالسببيّة للاثبات كأنّه قال: تلوته بمشيّة اللّه لا بمشيّتى و ادّعائى ذلك بسبب لبثى فيكم و عدم ظهور مثل ذلك منّى.

كأنّه اشار بتلك السّببيّة الى قياسين اقترانيّين من الشّكل الاوّل و قياسٍ استثنائيّ مأخوذٍ من نتيجة القياس الثّانى و استثناء نقيض تاله ترتيبه هكذا: لو لم يكن القرآن باتّباع الوحى و مشيّة اللّه لكان باختلاقٍ من تلقاء نفسى و كلّما كان باختلاقٍ من تلقاء نفسى ظهر مثل ذلك منّى قبل ذلك؛ ينتج لو لم يكن بمشيّة اللّه لظهر مثله قبل ذلك و كلّما ظهر مثله قبل ذلك شاهدتموه و سمعتموه و لكن لم تشاهدوه منّى فقد لبثت (فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ) قبل القرآن مدّة اربعين سنة لا يظهر عنّى امثال ذلك، و ما سمعتم منّى لا (اَفَلا تَعْقِلُونَ) لا تدركون بعقولكم او لا تتصرّفون في مدركاتهم بعقولكم او لا تصيرون عقلاء (فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً اَوْ كَذَّبَ بِاٰيَاتِهِ) تعريض بنفسه و بهم على سبيل التّرديد على طريقة الانصاف مع الخصم بعد ما اثبت كونه غير مفترٍ كأنّه قال: ان كنت مفترياً على اللّه كما تكنون بذلك فانا اظلم النّاس و ان كنت آتياً بآيات اللّه و تكذّبونها فانتم اظلم النّاس، او تعريض بكلتا القرينتين بهم و يكون او للتّفصيل لا للتّشكيك كأنّه قال بعد ما اثبت انّى غير مفترٍ: فانتم اظلم النّاس من جهة افترائكم على اللّه بنصب الآلهة لانفسكم و بتكذيب آياته.

(اِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ) فى موضع التّعليل (وَ يَعْبُدُونَ) عطف بملاحظة المعنى المقصود بالتّعريض يعنى هم يفترون و يكّذبون و

يجرمون ويعبدون (مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لاٰ يَضُرُّهُمْ وَ لاٰ يَنْفَعُهُمْ) من الاصنام و الكواكب عبادة العبيد و من الاهوية و الآراء و الشّياطين عبادة اتّباعيّة.

و من غير من نصبه اللّه من رؤساءهم الدّنيويّة او رؤساءهم الدّينيّة بزعمهم عبادة طاعةٍ، و المقصود من نفى الضّرّ و النّفع نفى مايتوهّمونه ضرّاً و نفعاً ممّا يؤل الى دنياهم من غير نظرٍ الى عبادتهم و الّا فهى بعبادتهم ايّاها تضرّهم غاية الضّرّ و يقولون.

(هٰؤُلاٰءِ شُفَعٰاؤُنٰا عِنْدَ اللّٰهِ) كما يقول الوثنىّ: انّ اصنامنا شفعاؤنا عنداللّه، و كما يقول اكثر الصّابئين: انّ الكواكب شفعاؤنا، و بعض يقول: هى قديمة مستقلّة فى الآلهة، كما يقول الزّردشتيّون: النّار تشفعنا عنداللّه، و كما يقول المطيعون لمن يزعمونهم رؤساء الدّين: هؤلآء وسائط بيننا و بين اللّه، و كما يقول المتّبعون للاهواء و الشّياطين فى صورة الاعمال الشّرعيّة الصّادرة من اتّباع النّفس و الشّياطين: هى وسائل بيننا و بين اللّه و اسباب قربنا الى اللّه و الحال انّها وسائل الشّيطان و اسباب القرب الى الجحيم و النّيران.

(قُلْ) استهزاءً (اَتُنَبِّؤُنَ اللّٰهَ بِمٰا لاٰ يَعْلَمُ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِي الْاَرْضِ) بالشّفعاء من حيث شفاعتهم او بشفاعتهم يعنى انّ ما فى السّماوات و الارض معلوم له و ما ليس معلوماً له فيهما فلا يكون.

(سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ وَ مٰا كٰانَ النّٰاسُ اِلاّٰ اُمَّةً وٰاحِدَةً) يعنى قبل له الرّسل البشريّة كانوا على مقتضيات شهوات النّفوس آمّةً لها متوجّهةً اليها و بعثة الرّسل انصرف طائفة عنها الى مادعتهم الرّسل اليه من الخيرات الاخرويّة الانسانيّة و ابى طائفة.

(فَاخْتَلَفُوا) و قبل بعثة الرّسل الباطنة من العقول كانوا على مقتضيات النّفوس الحيوانيّة آمّةً لها و بعد بعثة الرّسل الباطنة انصرف طائفة من قواهم الى مادعتها الرّسل اليه و بقيت طائفة فاختلفوا و تنازعوا و تقاتلوا.

(وَ لَوْلاٰ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) كلمة امهالهم و آجالهم المؤخّرة المعيّنة سبقت فيما كتبه الملك المصوّر فى أرحام أمّهاتهم او سبق ثبتها فى الالواح و الاقلام العالية (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) لحكم باظهار الحقّ و الباطل و تميز الحقّ عن المبطل (وَ يَقُولُونَ) استهزاءً او استظهاراً.

(لَوْلاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ) اى على محمّد ﷺ (آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) ممّا اقترحناه او ممّا يدلّ على رسالته (فَقُلْ) الفاء جواب شرطٍ محذوفٍ او متوهّمٍ اى اذا قالوا فقل (إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّٰهِ) علم الغيب مختصّ به فلا اعلم انا و لا انتم ما يترتّب على انزال الآية من المفاسد و المصالح و هو يعلم فلا ينزل الآية لما فيها من المفاسد و فى تركها من المصالح او عالم الغيب ملك اللّه ليس لى تصرّف فيه و لا تسلّط عليه حتّى اجيب مقترحكم او انزل منه ما اريد، فانا و انتم سواءٌ فى ذلك (فَانْتَظِرُوا) نزول الآية و الفاء مثل سابقه (إِنِّي) مثلكم (مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ) و يحتمل ان لا يكون قوله فقل انّما الغيب (الآية) مما شاةً معهم بل يكون تهديداً لهم على استهزاءهم و المعنى انّ الغيب اللّه ينزّل منه ما يشاء من عذابكم و عذابى و الرّحمة بكم و بى فانتظروا نزول عذابه انّى معكم من المنتظرين و يؤيّد هذا المعنى تهديدهم بالآية الآتية.

(وَ إِذٰا أَذَقْنَا النّٰاسَ رَحْمَةً) سعة و صحّة و أمناً فانّها من آثار

الرّحمة و ان كانت قد تصير نقمة او هى رحمة فى انظارهم القاصرة عن ادراك الغايات (مِنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ) و هى ضدّ المذكورات (اِذٰا لَهُمْ مَكْرٌ فِى اٰيٰاتِنٰا)الكبرى البشريّة او الصّغرى الآفاقيّة و الانفسيّة والتّدوينيّة فانّ الانسان ليطغى ان رآه استغنى.

و المكر فى الآيات الكبرى بالاضرار بالحيل الخفيّة، و فى الآيات الصّغرى فى المعجزات بحملها على السّحر و نحوه من الوجوه الخفيّة، و فى غيرها باخفائها و تلبيسها على الغير او تأويلها على مقتضى شهواتهم (قُلِ اللّٰهُ اَسْرَعُ مَكْرًا) انفذ مكراً و اسبق مكراً فانّ مكركم فى الآيات فى الحقيقة مكر اللّه فيكم فمكره اسبق من مكركم فى كلّ حالٍ و نسبة المكر الى اللّه من باب المشاكلة او المشابهة و الّافالماكر يقال للعاجز عن اعلان المخاصمة المنصرف عنه الى اخفائها.

(اِنَّ رُسُلَنٰا يَكْتُبُونَ مٰا تَمْكُرُونَ) تهديدٌ لهم بظهور ما يظنّونه خافياً عليه بواسطة الرّسل و صرف للخطاب عنه صلى الله عليه وآله اليهم و التفات من الغيبة الى التّكلّم ليكون ابلغ فى الانذار على قراءة تمكرون بالخطاب و هو جواب سؤالٍ ناشٍ عن سابقه كأنّه قيل: هل اللّه يعلم ما نمكر حتّى يمكربنا (هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ)بمنزلة التّأكيد و الاضراب من غير الابلغ الى الابلغ فى الجواب كأنّه قال: بل نعلم ما تمكرون بدون واسطة الرّسل و انتم بحسب الفطرة تعلمون ذلك لانّا نحن الذّى نسيّركم، و التّسيير يستلزم العلم بدقائق احوال المسيّر و المسيّر فيه و المسيّر له و انتم اذا رفع عنكم غشاوة الخيال تعلمون ذلک.

لانّكم تدعونه وقت انقطاع الوسائل و حيل الخيال عنكم فتعلمون انّه

هو الذّى يعلم حالكم و دعاءكم و يقدر على اجابتكم و رفع البلاء عنكم فتدعونه مخلصين عن اغراض الخيال، لكنّكم اذا رفع عنكم البلاء و تسلّط عليكم الخيال احتجب بأغراضكم الخياليّة و اهويتكم النّفسانيّة معلومكم الذّى تكونون مفطورين عليه فتشركون به غيره، فهو تأكيد للجواب و تفظيع لهم بالتّبع.

و المراد بتسييره تعالى تمكينه ايّاهم من السّير بتهيّة اسبابه الدّاخلة من قواهم العلاّمة و العمّالة و الخارجة من تسطيح الارض و تسخير المراكب و جعل ما يحتاج اليه من المأكول و المشروب و الملبوس ممّا يمكن نقله، او نقول لكلّ متحرّكٍ محرّكٌ لا محالة و المحرّك الاوّل فى الحركات الاختياريّة هو النّفس المسّخر لها القوى و النّفس بالنّسبة الى اللّه تعالى مثل القوى بالنّسبة الى النّفس لا استقلال لها فى شأنٍ من شؤنها.

فكما انّ فعل القوى ينسب الى النّفس حقيقة بل النّفس اولى بنسبتها من القوى فكذلك فعل النّفس بالنّسبة الى اللّه تعالى فالمسيّر و ان كان هى النّفس اوّلا لكنّه الحقّ الاوّل تعالى حقيقة و النّفس كالالآة له؛ فصحّ نسبة التّسيير اليه تعالى بطريق الحصر.

(فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتّٰى إِذٰا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِهٰا) التفات من الخطاب الى الغيبة (جٰاءَتْهٰا رِيحٌ عٰاصِفٌ وَ جٰاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكٰانٍ) من امكنة البحر يعنى من جميع جوانب السّفن (وَ ظَنُّوا) أيقنوا لما مرّ مراراً انّ علوم النّفس ان كانت يقينيّة فهى ظنون، او المراد حقيقة الظّنّ لانّ ظاهر الامواج و ان كان مورثاً ليقينهم لكن رجاءهم بالغيب المفطور على العلم به و بقدرته على انجائهم

مورث لاحتمال الانجاء.

(أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) اى اهلكوا و التّأدية بالماضى للاشارة الى تحقّقه كأنّه وقع و هذا يؤيّد كون الظّنّ بمعنى اليقين و هو صار مثلاً فى الهلاك.

و اصله من قولهم: احاط به العدوّ فلا سبيل للخلاص له و لا مسلك للخروج (دَعَوُا اللّهَ) بدل من ظنّوا بدل الاشتمال، او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما فعلوا؟ (مُخْلِصِينَ لَهُ الدّ ينَ) طريق الدّعاء او طريق النّفس الى اللّه او اعتقادهم التّوحيد و سائر عقائد الدّين او ملّتهم الّتى أخذوها ديناً من نبيّهم و وجه الاخلاص قد مضى من انّ تسلّط الخيال و تصرّفه يورث الشّرك الظّاهر و الباطن و حين تراكم البلاء و تلاطم امواجه ينقطع حيله و يفرّ و يقول كالشّيطان: انّى ارى ما لاترون انّى اخاف اللّه ربّ العالمين فيبقى التّوحيد الفطرىّ بلا معارضٍ و لا حجابٍ.

(لَئِنْ اَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّٰاكِرِينَ) تفسير للمدعوّ به المحذوف تقديره: دعوا اللّه بشىءٍ لئن انجيتنا، او مفعول لقولٍ محذوفٍ حالاً.

(فَلَمّٰا اَنْجٰيهُمْ اِذٰا هُمْ يَبْغُونَ فِى الْاَرْضِ) يعنى خرجوا من الشّكر و نكثوا حلفهم و نقضوا عهدهم لعود الخيال و حيله و اغشيته اليهم بغى عليه عدا و ظلم، و بغى و عدل عن الحقّ و استطال و كذب، و بغى فى مشيه اختال و اسرع، و بغاه طلبه و الكلّ مناسب ههنا (بِغَيْرِ الْحَقِّ) تقييد للبغى فانّ البغى بايّ معنىً كان قد يكون بالحقّ مثل ما يرى من اهل الحقّ من التّجاوز عن الحدّ و صورة الظّلم و العدول عن الحقّ تقيّةً و الاستطالة و الكذب فى موقعه و الاختيال فى محلّه و طلب الدّنيا بامر الرّبّ.

(يٰا اَيُّهَا النّٰاسُ) بعد ما ذمّهم بالنّكث و البغى توجّه اليهم بالنّداء و ذكر انّ و بال بغيهم راجع عليهم ليكون اردع (اِنَّمٰا بَغْيُكُمْ عَلىٰ اَنْفُسِكُمْ) لا يتعدّاها فى الحقيقة الى غيركم، فانّ الانسان ما لم يفسد قوى نفسه بصدّها عن مطاوعة العقل لا يفسد غيره، و افساده غيره و ان كان افساداً له ظاهراً لكنّه اصلاح له حقيقة.

فيبقى البغى افساداً لنفس الباغى فقط و على هذا فعلى انفسكم خبر عن بغيكم و يحتمل وجوهاً من الاعراب و هى كون بغيكم بمعنى اوبتضمين معنى يقتضى التّعلّق بعلى و كون الجارّ متعلّقاً به و.

(مَتٰاعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا) بالرّفع خبراً عنه او على انفسكم خبراً و متاع الحيوة الدّنيا خبراً بعد خبر، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ حالاً من المستتر فى الظّرف اومستأنفاً، و على قراءة نصب متاع الحيوة الدّنيافالخبر هو الظّرف و متاع الحيوة الدّنيا نائب عن مصدر بغيكم، او مصدر لفعلٍ محذوفٍ حالاً او مستأنفاً، او منصوب على الذّمّ اى اذمّ متاع الحيوةالدّنيا، و على قراءة نصب المتاع يحتمل كونه مفعولاً لبغيكم ايضاً.

و يحتمل وجوهاً اخر بعيدة مثل كون الظّرف لغواً و متاع الحيوة الدّنيا بالرّفع اوبالنّصب بوجوه كونه غير خبر و الخبر محذوفاً مثل محذور او ثقل و وبال.

(ثُمَّ اِلَيْنٰا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اِنَّمٰا مَثَلُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا) جواب سؤالٍ ناشٍ عن ذمّ متاع الحيوة الدّنيا (كَمٰاءٍ) كمثل ماءٍ (اَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْاَرْضِ) اختلاط النّباتات كثرتها و تداخل انواعهاالمختلفة بعضها خلال بعضٍ.

(مِمّٰا يَأْكُلُ النّٰاسُ وَ الْاَنْعٰامُ حَتّٰى إِذٰا اَخَذَتِ الْاَرْضُ زُخْرُفَهٰا) الوان نباتها فانّ زخرف الارض الوان نباتها (وَ ازَّيَّنَتْ) تزيّنت باصناف النّبات و ازهارها و اخضرارها و اختلاف الوان رياحينها و اشكالها و اختلاطها بحيث يعجب النّاظر اليها.

(وَ ظَنَّ اَهْلُهٰا) اهل الارض او اهل الزّخرف فانّه باعتبار معناه الذّى هو الوان النّبات اذا اضيف الى الارض يجوز ارجاع ضمير المؤنّث اليه (اَنَّهُمْ قٰادِرُونَ عَلَيْهٰا) على الارض بانباتها و انماء نباتها و ابقائه الى ان انتفعوا به او على الزّخرف بانباتها و انمائها و ابقائها و ذلك لكمال غفلتهم و اغترارهم بتدبيرهم (اَتٰيهٰا) اتى الارض او الزّخرف (اَمْرُنٰا) باهلاكها و استيصالها بالعاهات و الآفات (لَيْلاً اَوْ نَهٰاراً فَجَعَلْنٰاهٰا) اى الزّخرف (حَصِيداً) محصودة و الفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المذكّر و المؤنّث و هو فى اللغّة اسم لما حصده الانسان بالحديد لكنّه صار مثلاً فى كلّ ما استوصل بحيث لم يبق منه شيءٌ.

(كَاَنْ لَمْ تَغْنَ) لم تقم او لم تكن (بِالْاَمْسِ) يعنى قبل ذلك الزّمان فهو ايضاً صار مثلاً فى الزّمان القريب.

اعلم، انّ هذه التّمثيل من احسن اقسامه لتطابق جميع اجزاء الممثّل به و الممثّل له فى التّشبيه حيث انّ النّفس الانسانيّة النّازلة من سماء الارواح كالماء النّازل من السّماء الدّنيا و بدن الانسان كالارض فى استقرار النّفس و الماء و قواه كنبات الارض فى اختلاف انواعها و اغترار الانسان بقوّة قواه و اشتدادها كاغترار اهل الارض بزخرفها و استيصال قوى الانسان بالاجل كاستيصال اصناف النّبات بالآفة.

(كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰاتِ) آيات العالم الكبير و العالم الصّغير (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)يستعملون قوّتهم المتصرّفة فى معلوماتهم بالضّمّ و التّفريق الّتى تسمّى باعتبار استخدام العاقلة لها مفكّرة و باعتبار استخدام الواهمة متخيّلة، فانّ التّفكّر هو استعمال المفكّرة او المتخيّلة فى التّصرّف فى المعلومات، و امثال هذه الآيات المتراكمة المتداخلة المتوافقة المتخالفة لا يدركها الّا من كان عالماً متفكّراً.

(وَ اللّٰهُ يَدْعُوا اِلىٰ دٰارِ السَّلاٰمِ) عطف على نفصّل الآيات او على كذلك نفصّل الآيات و مقتضى المقام ان يقول و ندعو الى دار السّلام ليتوافق المتعاطفان فى الفعليّة و فى المسند اليه لكنّه عدل عن التّكلّم و عن الفعليّة الى الاسميّة و لذا يتراءى المنافرة بين المتعاطفين للاشارة الى علّة الحكم و انّ الالٓهيّة تقتضى ذلک، و تقديم المسند اليه لتأكيد الحكم و لشرافته و للاشارة من اوّل الامر الى علّة الحكم.

و دار السّلام دار اللّه لانّ السّلام من اسمائه تعالى، او دار السّلامة من جملة الآفات البدنيّة و النّفسانيّة، و لمّا كان الدّعوة عامّةً بخلاف الهداية الخاصّة اطلق هذه و قيّد الهداية (وَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ اِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ) و المراد بالدّعوة الدّعوة الظّاهرة الجارية على السنة الانبياء و لذا كانت عامّةً و بالهداية الهداية الخاصّة الى ولىّ الامر و هو الصّراط المستقيم و لذا اتى بها بعد الدّعوة، لانّ تلك الهداية تكون بعد قبول النّبوّة و البيعة العامّة النبويّة و قيّدها بمن يشاء لانّ الدّعوة الباطنة و البيعة الخاصّة خاصّة بمن شاء ان يتّخذ الى ربّه سبيلاً (لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ) جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما لمن انتفع بالآيات و قبل الدّعوة و اهتدى؟ ـ فقال: للّذين

احسنوا منهم العاقبة الحسنى، او المثوبة الحسنى.

و اصل الاحسان قبول الولاية و كلّ قول و فعل و حال و خلق يكون للانسان من جهة الولاية كان احساناً لانّ الحسن الحقيقيّ هو الولاية المطلقة الّتى مظهرها علىّ عليه السلام، و الولايات الجزئيّة حسنة بحسنها و كلّ من اتّصل بالبيعة الخاصّة بعلىّ عليه السلام بلاواسطة او بواسطة الاولياء الجزئيّة صار ذاحسنٍ، و هو المراد بالاحسان هنا، و من صار ذاحسن و لم ينقطع حبل اتّصاله و لاينقطع الّا نادراً اتّصل اتّصاله البشرىّ بالاتّصال الملكوتىّ و الجبروتىّ بملكوت علىٍّ عليه السلام و جبروته، و هو العاقبة الحسنى و المثوبة الحسنى لا احسن منها (وَ زِيٰادَةٌ) هى لوازم الاتّصال بملكوت ولىّ الامر من الرّاحة فى الدّنيا و الخلاص من آلامها و الجنّة و نعيمها فى الآخرة.

و اختلاف الاخبار فى تفسيرها يرفعه ماذكرنا (وَ لاٰ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ) لايغشيها (قَتَرٌ) غبرة فيها سواد (وَ لاٰ ذِلَّةٌ) و هماكناية عمّا يعروها من اثر الحزن و شدّة الحاجة و ذلك لما عرفت من انّ المتّصل بملكوت ولىّ الامر ليس له الم حزن و لاحاجة.

(اُولٰئِكَ) التّأدية باسم الاشارة البعيدة للتّفخيم ولتصويرهم بماذكر من الاوصاف (اَصْحٰابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئٰاتِ) عطف على جملة للذّين احسنوا الحسنى من قبيل عطف الجملة او على الذّين احسنوا الحسنى بتقدير اللّام من قبيل العطف على معمولى عاملين مختلفين عطف المفرد و هو اولى لموافقته لسياق الكلام و لسلامته عن الحذف.

(جَزٰاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهٰا) قد سبق انّ السّيّئة لمّا كانت مخالفة لمقتضى

الفطرة لا تقوى على تنزيل الانسان زيادة على قدر قوّتها، والحسنة لمّا كانت موافقة لفطرته ترفعه زائداً على قدر قوّتها عشر امثالها الى سبعمائة و اللّه يضاعف لمن يشاء (وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مٰا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ) من سخط اللّه او من جانب اللّه (مِنْ عٰاصِمٍ كَاَنَّمٰا اُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ الَّيْلِ مُظْلِماً) لغاية الحزن و شدّة الالم. (اُولٰئِكَ اَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فيهٰا خٰالِدُونَ وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) يعنى المؤمنين والكافرين، او الكافرين و شركاءهم، او المؤمنين وأئمّتهم والكافرين وشركاءهم (جَميعاً) عطف على محذوفٍ متعلّق بالجمل السّابقة من قوله للّذين احسنوا الى اغشيت وجوههم الى فى الدّنيا او يوم الموت او يوم الرّجعة و يوم نحشرهم او المعطوف والمعطوف عليه كلاهما محذوفان والتّقدير ذكّرهم بماذكر وذكّرهم يوم نحشرهم او متعلّق بزيّلنا على تقدير امّا او توهّمه او زيادة الفاء.

اومتعلّق بزيّلنا المذكور تفسيره (ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذينَ اَشْرَكُوا) باللّه اوبالولاية (مَكٰانَكُمْ) الزموا و لا تبرحوا او هو اسم فعل و (اَنْتُمْ) تأكيد للمستتر فيه تصحيحاً للعطف عليه (وَ شُرَكٰاؤُكُمْ) فى الالهه او فى العبادة او فى الولاية او فى الطّاعة او فى المحبّة او فى الوجود (فَزَيَّلْنٰا بَيْنَهُمْ) اوقعنا التّفرقة بين المؤمنين و الكفّار او بين الكفّار و شركاءهم (وَ قٰالَ شُرَكٰاؤُهُمْ) باحد الوجوه (مٰا كُنْتُمْ اِيّٰانٰا تَعْبُدُونَ) المراد بالعبادة ههنا اعمّ من العبادةالمعروفة، او المراد بشركاؤهم الشّركاء فى العبادة لانّهم فى الحقيقة عبدوا اهواءهم و من عبادة اهواءهم تولّد عبادة الشّركاء الظّاهرة (فَكَفىٰ بِاللّٰهِ شَهيداً بَيْنَنٰا وَ بَيْنَكُمْ) عطف على ماكنتم و لمّا كان مرتبة الاستشهاد بعد ابراز الدّعوى عطفه بالفاء و استشهد شركاءهم باللّه على نفى

عبادةالمشركين لهم.

لانّه كان العالم بحقيقة الحال و انّهم بعبادة الشّركاء و اطاعتهم ما كانوا عابدين الّااهويتهم و ما ارادوا بذلك الّا حصول مشتهياتهم فهم كانوا عابدين لانفسهم الخبيثة مصدراً و مرجعاً، اعاذنا اللّه من ان يقول يوم العرض لنا: ما كنتم ايّاى تعبدون، لانّ الدّاعى لعبادتكم كان اهويتكم لا امرى و المقصود كان حصول اغراضكم لا رضاى.

(اِنْ كُنّا) ان هى المخفّفة (عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلينَ) نفوا دعوى المعبوديّة لانفسهم كما نفوا عبادةالمشركين لهم.

(هُنالِكَ) المقام او الزّمان (تَبْلُوا) تختبر (كُلُّ نَفْسٍ ما اَسْلَفَتْ) فتعرف حقّها عن باطلها او صحيحها عن سقيمها و جيّدها عن مغشوشها لحدّة بصرهم و صفاء ادراكهم فيدركون ايّها صدر عن النّفس الامّارة و الشّيطان و ايّها صدر عن العقل بشركة النّفس و ايّها صدر عن العقل ثمّ طرء عليه اغراض النّفس (وَ رُدُّوا) بعد ما عرفوا اعمالهم (اِلَى اللّهِ مَوْليهُمُ الْحَقِّ) التّوصيف بالحقّ تعريض ببطلان معبوداتهم (وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ماكانُوا يَفْتَرُونَ) من الشّركاء لكونها باطلة.

(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ)بالرّزق الانسانىّ (وَ الْاَرْضِ) بالرّزق الحيوانىّ او بكليمها باعداد كليمها (اَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْاَبْصارَ) اقتصر على المدارك الجزئيّة المحسوسة و منها على اشرفها و انفعها للانسان اعنى السّمع و البصر افادة لمملوكيّة غيرها بالطّريق الاولى و المرادبمالكيّته تعالى لها كونها تحت قدرته بحيث لا مدخليّة لاحدٍ غيره فيها فيعطى و يمنع و يأخذ و يبقى و يجعل سليماً و مأوفا و قويّاً و ضعيفاً ما يشاء

منها لمن يشاء.

(وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ) و المراد باخراج الحىّ اعمّ من اخراج الحيوان من مادّة الميتة و انشاء النّفس الحيّة بالذّات من البدن الميتة و اخراجها منه بالموت او بالنّوم و اخراج المؤمن الذّى هى حىّ بالحيوة الانسانيّة من الكافر الذّى هو ميّت عنها و اخراج المثال الصّاعد من عالم الطّبع و هكذا اخراج الميّت من الحىّ (وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ) قد مضى تفسير هذه الكلمة فى اوّل السّورة.

(فَسَيَقُولُونَ اللّٰهُ) الفاء زائدة و الجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ او الفاء جواب شرط محذوف او خالصة للسببيّة (فَقُلْ اَفَلَا تَتَّقُونَ) توبيخاً لهم او امراً لهم بالتّقوى بعد اقرارهم بكون الكلّ بقدرته.

(فَذٰلِكُمُ)الموصوف بماذكر (اللّٰهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ)تعريض ببطلان شركاءهم كما مرّ، و فى اعرابه وجوه احسنها ان يكون ذلكم مبتدء و اللّه صفة او بدلاً منه و ربّكم خبراً و الحقّ صفة له.

(فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ) بعد الانصراف عنه او بعد الحقّيّة (اِلاَّ الضَّلاٰلُ فَاَنّٰى تُصْرَفُونَ) و ليس انصرافكم الّا الى الضّلال لعدم الواسطة.

(كَذٰلِكَ)متعلّق بتصرفون و (حَقَّتْ) ابتداء كلام او متعلّق بحقّت و على اىّ تقدير فالجملة مستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فلا ينبغى لاحدٍ ان ينصرف عنه فقال كحقيّة الرّبوبيّة او ككون الضّلال بعد الحقّ او كانصرافهم عن الحقّ حقّت (كَلِمَتُ رَبِّكَ) اى الضّلال او حكمه بالضّلال او عدم ايمانهم (عَلَى الَّذينَ فَسَقُوا) خرجوا عن الحقّ او عن طاعة العقل او النّبىّ صلى الله عليه و آله او الولىّ عليه السلام.

(اَنَّهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ) بتقدير الباء او اللّام او بدل من كلمة ربّك (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكٰائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) ذكر الاعادة فى الالزام امّا لكون المخاطبين معتقدين بالاعادة او لوضوح برهانها او للاكتفاء بالابداء فى الالزام و ذكر الاعادةللتّنبيه و الاسطراد.

او المراد بالاعادة هو تكميل المواليدبالبلوغ الى كمالاتهاالمترقّبة منها و لمّا لم يكن لهم جواب سوى الاعتراف بانّ اللّه هو المبدأ و المعيد و ليس هذا من فعل الشّركاء امر تعالى نبيّه ﷺ ان يجيب عنهم.

فقال (قُلِ اللّٰهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَاَنّٰى تُؤْفَكُونَ) الى اين تصرفون عن اللّه بعد قدرته و عجز الشّركاء.

(قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكٰائِكُمْ مَنْ يَهْدِى اِلَى الْحَقِّ) و لمّا كان ههنا عدم تبادرهم الى الجواب متوقّعاً لخفاء هداية اللّه عليهم او لاحتمالهم هداية اصنامهم امره ﷺ بالتّبادر الى الجواب من قبلهم.

فقال (قُلِ اللّٰهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ اَفَمَنْ يَهْدِى اِلَى الْحَقِّ) مقول قوله ﷺ او استيناف كلام من اللّه (اَحَقُّ اَنْ يُتَّبَعَ اَمَّنْ لاٰ يَهِدِّى) قرىء يهدّى بتشديد الدّالّ من اهتدى التّاء دالّاً و ادغامها و قرئ حينئذٍ بكسر الهاء على قانون تحريك السّاكن بالكسرة و بفتحها على نقل حركة التّاء، و قرء فى صورة كسر الهاء بفتح الياء على الاصل و بكسرها على اتّباعها، و قرئ بتخفيف الدّال من الهدى بمعنى الرّشاد او بمعنى الدّلالة (اِلاّٰ اَنْ يُهْدىٰ) تنزيل الآيات فى الاشراك بالآله و تأويلها فى الاشراك بالولاية و لذا فسّر من يهدى بمحمّد ﷺ و آله عليهم السلام من بعده ﷺ.

و على التّأويل يجوز تفسير الآية هكذا قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكٰائِكُمْ مَنْ

يَهْدِي غيره او يهتدى بنفسه الى الحقّ قل اللّه فى مظاهره النّبويّة او الولويّة يهدى غيره او يهتدى بنفسه الى الحقّ افمن يهدى غيره او يهتدى الى الحقّ ان يتّبع ام من لا يهدى غيره او لا يهتدى على قراءة تخفيف الدّال.

او ام من لا يهتدى فقط على قراءة تشديد الدّال، و كأنّه للاشارة الى التّأويل اتى فى الكلّ بلفظ من الّتى هى لذوى العقول.

(فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) باىّ حكم تحكمون فتختارون ما ليس له جهة ادراك على من يملك المدارك كلّها (وَ مَا يَتَّبِعُ اَكْثَرُهُمْ اِلاَّ ظَنّاً) استيناف على ما قيل باتيان الواو للاستيناف لكنّه بعيد لانّه ما لم يلاحظ ربط بين الجملتين لا يؤتى بالواو فان شئت فسمّ ذلك الرّبط بالعطف بجعل الجملة السّابقة فى امثال هذا معطوفاً عليها بلحاظ المعنى او بتقدير المعطوف عليه من معنى الجملة السّابقة.

مثل ان يلاحظ انّ معنى مالكم او معنى كيف تحكمون ليس لهم عقل او علم او يحكمون بالباطل، او يقدّر امثال ذلك بقرينة السّابق ثمّ يعطف عليه و ان شئت فسمّه بشبه العطف و التّقييد بالاكثر امّا لانّ بعضهم يتّبعون رؤساءهم من غير حصول اعتقاد لهم لعدم شأنيّتهم لاعتقاد شيءٍ كالحيوان الّذى يتّبع صاحبه من غير شعورٍ له بنفعٍ او ضرٍّ فى ذلك الاتّباع، او لانّ بعضهم كان يعلم بطلان ما يعبد لكنّه كان يعبد المعبودات الباطلة.

و يطيع رؤساء الضّلالة لمحض اغراض فاسدة دنيويّة، و تنكير الظّنّ للاشارة الى انّ ظنّهم ظنّ سفلىّ مستند الى النّفس ردىٌّ مهلك و الّا فالظّنّ العلوىّ المستند الى العقل قلّما ينفكّ الطّالب للآخرة عنه ما لم يدخل فى الولاية و لم يصر عالماً بواسطة اتّباعه للولاية و ذلك الظّنّ يجذبه الى دار العلم و

يكون ممدوحاً.

(اِنَّ الظَّنَّ لاٰ يُغْنِي) من اغنى عنه بمعنى ناب عنه و كفى كفايته (مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً) مفعول مطلق و من الحقّ صلة يغنى او مفعول به و من الحقّ حال منه.

و تعريف الظّنّ امّا للاشارة الى الظّنّ السّابق او للجنس باعتبار انّ بعض افراد الظّنّ و ان كان قد يدعوا الى دار العلم لكنّه لا يكفى كفاية الحقّ فلا ينبغى الوقوف عليه فالظّنون المستندة الى الكتاب و السّنّة ان كانت عقليّة علويّة فهى ممدوحة لكن لا ينبغى الوقوف عليها ما لم توصل الى العلم و ان كانت نفسيّة دنيويّة سفليّة فهى مذمومة.

(اِنَّ اللّٰهَ عَليمٌ بِمٰا يَفْعَلُونَ) جواب سؤالٍ ناشٍ عن قوله و ما يتّبع اكثرهم الّا ظنّاً يعنى انّه عليم بصور افعالهم و مصادرها و غاياتها (وَ مٰا كٰانَ هٰذَا الْقُرْاٰنُ اَنْ يُفْتَرىٰ) اى لان يفترى بتقدير اللّام اى لا يجوز كونه مفترىً فكيف بفعليّته او افتراء من قبيل زيد عدل (مِنْ دُونِ اللّٰهِ) من غير اللّه (وَ لٰكِنْ تَصْديقَ الَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ) من الكتب السّماويّة حيث يطابقها فى العقائد و الاحكام و نصب التّصديق بالعطف على خبر كان او بتقدير كان على خلاف فى عطف المفرد الاتى بعد لكن مع الواو او بكونه مفعولاً له لانزله مقدّراً.

(وَ تَفْصيلَ الْكِتٰابِ) كتاب النّبوّة و احكامها و قد مرّ مراراً انّ الكتاب اشارة الى احكام النّبوّة كلّما ذكر مطلقاً (لاٰ رَيْبَ فيهِ) حال او مستأنف (مِنْ رَبِّ الْعٰالَمينَ) ظرف مستقرّ حال او خبر مبتدء محذوف و الجملة مستأنفة.

(اَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيهُ قُلْ) ان افتريته (فَاْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) فانّه ان كان كلام المخلوق و انتم فصحاء الخلق ينبغى ان تقدروا على مثله (وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ)للاستعانة به على الاتيان (مِنْ دُونِ اللّٰهِ)كما ادّعيتم انّه من غير اللّه (اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى دعوى الافتراء.

(بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ) انكروا ما لم يعلموا شبّه العلم الكامل بالشّىء بشىءٍ محاط من جميع جوانبه بحيث لم يشذّ عن المحيط شىءٌ منه، ففيه اشعار بانّ انكار ما لم يعلم بطلانه علماً يقينيّاً عيانيّاً او برهانيّاً او سماعيّاً بتقليد من يعلم صدقه كذلك مذموم.

فانكار بعضٍ على من لم يروه موافقاً لعاداتهم و رسومهم و تسميته حميّة للدّين و حفظاً للاسلام و عقائدالمسلمين ليس فى محلّة (وَ لَمَّا يَاْتِهِمْ تَاْوِيلُهُ) يعنى انكروا ما لم يعلموا و ما لم يعاينوا مصاديقه فيشاهدوا بطلانه فهو عطف على لم يحيطوا او على كذّبوا او حال.

و يجوز ان يكون المراد تهديدهم باتيان مصاديق ما فى القرآن او ما فى اخبار النّبىّ ﷺ او ما فى الاخبار بولاية علىّ عليه السلام او المراد بما لم يحيطوا بعلمه القرآن او النّبوّة وبتأويله الولاية فانّها ما يؤل اليه القرآن و النّبوّة لانّهما صورتاها.

(كَذٰلِكَ)التّكذيب من غير علمٍ و عيانٍ (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الامم السّالفة المعاقبة فى الدّنيا.

(فَانْظُرْ) باِيّاك اعنى و اسمعى يا جارة او هو ﷺ مقصود بالخطاب اصالة و غيره تبعاً و الغرض تسليته عن تكذيب قومه و تهديد القوم عن تكذيبه (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) اى عاقبتهم و التّعبير بالظّاهر لذمّ

آخر.

(وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ) عطف على كذّبوا كأنّه قال: بل منهم من يعلم صدقه و ينكر عناداً او منهم من له استعداد التّصديق فيصدّق و ينقاد بعد ذلك و انكاره هذا محض الجهل من غير خبث من ذاته.

(وَ مِنْهُمْ مَنْ لاٰ يُؤْمِنُ بِهِ وَ رَبُّکَ اَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) الجاحدين عن علمٍ او بالمفسدين الغير المتوقّعين لايمانهم و وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بافسادهم و ذمّ اخر لهم.

(وَ اِنْ كَذَّبُوکَ فَقُلْ) اعراضاً عن الجاهلين او متاركة لهم (لى عَمَلى)نافعاً كان او ضارّاً (وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ)كذلك (اَنْتُمْ بَريؤُنَ مِمّٰا اَعْمَلُ وَ اَنَا بَريءٌ مِمّٰا تَعْمَلُونَ)تأكيد للاوّل و لذا ترك العاطف و عكس التّرتيب لانّه تأكيد للمفهوم لا للمنطوق كأنّه قال: لى عملى لا لكم بحسب مفهوم الحصر و لكم عملكم لا لى.

(وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ اِلَيْکَ) ردّاً و استهزاءً، او لسماع المقصود منك (اَفَاَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ) حال بتقدير القول او جواب عن سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه ﷺ قال: فما شأنهم لا يسمعون المقصود منّى؟ ـ فقال: شأنهم ان يقال افانت تسمع الصّمّ يعنى انّ آذانهم الانسانيّة صمّ عن سماع ما يسمعه الانسان و لا عقل لهم حتّى يمكن الافهام بالاشارة و نحوه فهم كالبهائم.

و لذا قال (وَ لَوْ كٰانُوا لاٰ يَعْقِلُونَ وَ مُنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ اِلَيْکَ) و يشاهد منك بيّنات صدقك و صدق كتابك لكنّهم عمى عن مشاهدة آثار الصّدق و دلالة دوالّه (اَفَاَنْتَ تَهْدِى الْعُمْىَ)الى مشاهدة آثار الرّبوبيّة و الآخرة (وَ لَوْ كٰانُوا لاٰ يُبْصِرُونَ) ببصيرة عقليّة يعنى ان كان لهم بصيرة

يمكن افهام آثار الرّبوبيّة و لو لم يكن بصر لهم لكنّهم عمى و غير ذوى بصيرة و الآية كالعلّة للاعراض و المتاركة.

(اِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَظْلِمُ النّٰاسَ شَيْئاً) بمنع ما يستحقّونه منهم جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل فاللّه يمنعهم السّماع و يظلمهم (وَ لٰكِنَّ النّٰاسَ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بابطال فطرتهم و افساد استحقاقهم و انفسهم مفعول ليظلمون او تأكيد للنّاس.

(وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ) عطف على محذوف و التّقدير لكنّ النّاس انفسهم يظلمون فى الدّنيا و يوم يحشرهم او متعلّق باذكر مقدّراً او بيتعارفون او بقد خسر (كَاَنْ لَمْ يَلْبَثُوا اِلاّٰ سٰاعَةً مِنَ النَّهٰارِ) حال من مفعول يحشرهم او صفة لمصدر محذوف بتقدير العائد اى حشراً كأن لم يلبثوا قبله او متعلّق بيتعارفون و المقصود انّهم استقلّوا لبثهم فى الدّنيا او فى القبر لتمثّل الحال الماضية بحيث انّها كأن لم تغب و لذا قيّد بالنّهار (يَتَعٰارَفُونَ بَيْنَهُمْ) يعرف بعضهم بعضاً لاستحضارهم الحال الماضية و تمثّلها عندهم.

(قَدْ خَسِرَ الَّذينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللّٰهِ) قالاً كالدّهريّة و الطّبيعيّة و كلّ من اقرّ بالمبدء دون المعاد، و حالاً كاكثر من اقرّ بلسانه و لم يساعده حاله و هو جواب سؤالٍ كأنّه قيل: فما كان حال النّاس يومئذٍ؟ او حال من فاعل يتعارفون بتقدير العائد، او متعلّق ليوم يحشرهم، او ابتداء كلام منقطع عمّا قبله و التّعبير بالماضى و الحال انّ حقّه الاتيان بالمستقبل على غير الوجه الاخير لتحقّق وقوعه.

(وَ مٰا كٰانُوا مُهْتَدينَ وَ اِمّٰا نُرِيَنَّکَ) ان نرك (بَعْضَ الَّذى نَعِدُهُمْ) من العذاب و الانتقام (اَوْ نَتَوَفَّيَنَّکَ) قبل الاراءة (فَاِلَيْنٰا

مَرْجِعُهُمْ) لا يفوتون عنّا فلا تحزن على تأخير الانتقام (ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلىٰ مٰا يَفْعَلُونَ) و للتّفاوت بين الاخبارين فى الغرض المسوق له الكلام و هو تسليته ايضاً اتى بثمّ و التفت تجديداً لنشاط السّامع حتّى يتمكّن فى قلبه و اشارة الى علّة الحكم كأنّه قال: ان نرك او نتوفّك فلا تحزن لانّ مرجعهم الينا فنجازيهم على سوء اعمالهم على انّ اللّه شاهد بالفعل على اعمالهم و محيط بهم.

(وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ) من الامم الماضية (رَسُولٌ) من اللّه اعمّ من الرّسول الموحى اليه او وصيّه و على هذا.

فقوله (فَإِذٰا جٰاءَ رَسُولُهُمْ) مبتنٍ على تصوير الحال الماضية حاضرة او على كون اذا للزّمان الماضى و هذا على كون الآية تسلية للرّسول ﷺ بتذكّره ﷺ حال الانبياء الماضين، او لكلّ امّة من الامم الماضيّة و الآتية رسول من اللّه نبىّ او خليفته فاذا جاء رسولهم فكذّبوه (قُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين الرّسول و الامّه او بين امّة الرّسول ﷺ باهلاك الامّة و انجاء الرّسول ﷺ، او اهلاك المكذّبين و انجاء الرّسول و المصدّقين، او اذا جاء رسولهم يحاكم بينهم بالحقّ و لم يهملوا كما كانوا من قبل مجىء الرّسول ﷺ (بِالْقِسْطِ) بالعدل.

(وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ) باهلاك المستحقّ للنّجاة و انجاء المستحقّ للهلاك او بالمحاكمة بينهم بهوى النّفس و اغراضها.

او المعنى لكلّ امّة رسول من الانبياء او خلفائهم هو شاهد عليهم فاذا جاء رسولهم يوم القيامة للشّهادة عليهم و شهد عليهم قضى بين الامّة بالقسط بادخال من كان اهلاً للجحيم فيها و من كان اهلاً للنّعيم فى الجنّة.

و عن الباقر عليه السلام تفسيرها فى الباطن انّ لكلّ قرن من هذه الامّة رسولاً

من آل محمّد ﷺ (وَ يَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ) وعد مجيء الرّسول ﷺ في القيامة او وعد العذاب الّذي كان الرّسول يوعدهم به او وعد القيامة الّتي كان الرّسول يذكرها لهم استبطأوا الموعود استهزاءً (اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ قُلْ لاٰ اَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَ لاٰ نَفْعاً) فكيف املك لغيري اقامة القيامة او الاتيان بالعذاب (اِلاّٰ مٰا شٰاءَ اللّٰهُ) استثناء من ضرّاً و نفعاً او استثناء منقطع بمعنى لكن ما شاء اللّه يقع (لِكُلِّ اُمَّةٍ اَجَلٌ) مقولٌ لقوله عليه السلام او ابتداء كلام من اللّه و على ايّ تقدير فهو جواب لسؤالٍ مقدّرٍ و المعنى لكلّ امّة من امم الرّسل عليهم السلام مدّة لامهالهم او وقت معيّن لعذابهم.

(اِذٰا جٰاءَ اَجَلُهُمْ) اي انقضى مدّتهم او اتى وقت عذابهم بالاهلاك في الدّنيا او بالعذاب في الآخرة و اذا جاء اجلهم على تضمين التّقدير حتّى لا ينافر مع قوله لا يستقدمون اي اذا قدّر مجيء اجلهم (فَلاٰ يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَ لاٰ يَسْتَقْدِمُونَ) لا يتأخّرون و لا يتقدّمون على وقت الاجل.

(قُلْ اَرَاَيْتُمْ) من الرّأي بمعنى الاعتقاد (اِنْ اَتٰيكُمْ عَذٰابُهُ بَيٰاتاً اَوْ نَهٰاراً) يترائى انّ التّقييد بهما تطويل حيث انّه يستفاد من الاتيان لكنّه اطناب مستحسن لانّه تكميل لسابقه و رفع لتوهّم اختصاص العذاب بالاتيان في وقت مخصوص فالمقصود من ذكر الظّرف اطلاق الحكم لا تقييده.

(مٰاذٰا) ايّ شيءٍ او ما الّذي (يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ) من العذاب (الْمُجْرِمُونَ) وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة التّهويل و الانكار و تفضيحاً لهم بذمّ آخر و الاستفهام الاوّل على حقيقته للاستخبار بحسب اصل المعنى و الّا فهو مع الفعل بمعنى اخبروني و الاستفهام الثّاني للانكار و التّهويل متعلّق بأرايتم و الفعل معلّق بسبب الاستفهام و المعنى اخبروني

بجواب هذا السّؤال و جملة الشّرط محذوفة الجواب معترضة بينهما و هـذا انكار لاستعجالهم العذاب المستفاد من قولهم: متى هذا الوعد؟

(اَثُمَّ اِذٰا مٰا وَقَعَ) الاستفهام مع العاطف على التّقديم و التّأخـير و الاستفهام للتّقرير و الاتيان بثمّ للتّفاوت بين الاستفهامين فانّ الاوّل للانكار و الثّانى للحمل على الاقرار و المعنى اثمّ اذا ما وقع العذاب حين ظهور القائم عليه السلام فى الكبير او الصّغير او حين الموت او حين بأس علىّ عليه السلام بعد محمّد صلى الله عليه وآله و قد اشير الى الكلّ فى الاخبار (آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ) تؤمنون بتقدير القـول اى يقال: آلآن جملة مستأنفة او مقولاً لهم آلآن مفرداً حالاً (وَ قَدْ كُـنْتُمْ بِـهِ تَسْتَعْجِلُونَ) استهزاء لعدم اعتقادكم به.

(ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذٰابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ اِلاّٰ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ وَ يَسْتَنْبِؤُنَكَ اَحَقٌّ هُوَ) العذاب او ولاء علىّ عليه السلام.

كما فى الاخبار (قُلْ اِي وَ رَبِّي اِنَّهُ لَحَقٌّ وَ مٰا اَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) جاعلين اللّه او عليّاً عليه السلام عاجزاً عن نفاذ حكمه (وَ لَـوْ اَنَّ لِكُـلِّ نَـفْسٍ ظَلَمَتْ) فى حقّ اللّه او حقّ محمدٍ صلى الله عليه وآله و آل محمدٍ صلى الله عليه وآله (مٰا فِي الْاَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ) عن نفسه من هول العذاب و شدّته (وَ اَسَرُّوا النَّدٰامَةَ) كراهة شماتة الاعداء كما فى الخبر او خوف اطّلاع ملائكة العذاب او اطّلاع اللّه على ندامتهم النّاشئة عن اعترافهم بالظّلم فانّهم يحلفون للّه كما يـحلفون لكم على انكار الظّلم و الذّنب.

(لَمّٰا رَاَوُا الْعَذٰابَ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين المؤمنين و المنافقين او بين الظّالمين و المظلومين (بِالْقِسْطِ) باعطاء كلّ ذى حقٍّ حقّه و كلّ ذى عقوبةٍ عقوبته (وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ) بمنع الحقّ و عقوبة غير المستحقّ و بـنقص

الحقّ و زيادة العقوبة.

(اَلاٰ اِنَّ لِلّٰهِ) مبدءً و مرجعاً و ملكاً (مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْاَرْضِ) فيفعل ما يشاء بمن يشاء من غير مانعٍ من حكمه و لا رادٍّ من فعله.

(اَلاٰ اِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ) بالعذاب و الثّواب (حَقٌّ) لاخلف فيه من قبله كما لا مانع له من غيره و لمّا كان الجملتان لتسجيل عقوبة المنافقين و كان التّأكيد بعد ذمّهم مطلوباً اتى فى الجملتين باداة الاستفتاح و مؤكّدات الحكم (وَ لٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ) ليس لهم صفة العلم.

فانّ العلم هو الادراك الذّى يحرّك صاحبه من السّفل الى العلو، و بعبارةٍ اخرى هو الادراك الذّى يحصل لصاحبه حالكونه فى السّلوك الى اللّه و لا محالة يشتدّ كلّ يوم و كلّ آن و يستلزم ذلك الادراك العمل بموجبه و حصول علم آخر له بآخرته و يحصل له ازدياد علمٍ باللّه و قدرته و احاطته.

و هذا العلم غير حاصل لمن انكر الآخرة قالاً كاهل بعض المذاهب او حالاً كاكثر المنتحلين للملل الحقّة فهم غير عالمين و ان كانوا عالمين بجميع الفنون و الصّناعات، و للغفلة عن حقيقة العلم سمّى ادراكاتهم اشباه النّاس علوماً؛ و فى الخبر قد سمّاه اشباه النّاس عالماً و قد حقّقنا ذلك فى اوّل البقرة عند قوله: لبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون و فى الرّسالة المسمّاة بـ- (سعادت نامه) و على هذا فالتّقييد بالاكثر للاشعار بانّ اقلّهم ما ابطلوا علمهم الفطرىّ الذّى اعطاهم اللّه و بقى فيهم شىءٌ منه محجوباً احتجاباً عرضيّاً.

(هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تأكيد لقوله انّ للّه ما فى السّماوات و الارض و لذا لم يأت بالعاطف او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او حال و

الاحياء و الامانة اشارة الى مالكيّته و الرّجوع اليه اشارة الى مرجعيّته.

(يا اَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ) دعوة من الشّرور الى الخيرات (مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ) من وساوس الشّيطان و لمّات النّفس و اهويتها لمن استشفى به.

(وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) و المراد القرآن فانّه موعظة و شفاء و هداية و رحمة اطلق الاوّلين لانّ الموعظة عامّة لمن اتّعظ و من لم يتّعظ و كذا الشّفاء لكن لا ينتفع بهما الّا من اتّعظ و استشفى، و قيّد الثّانيين لاختصاصهما بالمؤمنين و عدم تعلّقهما بغيرهم و حقيقة الموعظة هى الرّسالة و احكامها لتعلّقها بالقوالب و الظّواهر و عمومها لكلّ الخلق.

و حقيقة الشّفاء النّبوّة لتعلّقها بالصّدور و عمومها ايضاً و حقيقة الهدى و الرّحمة الولاية لانّ الرّسالة و النّبوّة سبب لا يقاظ الخلق من الغفلة و تنبيههم على الحيرة و الظّلالة ليس فيهما من حيث انفسهما هداية و لا رحمة، و الولاية سبب لاراءة الطّريق و ايصال الضّالّ المتحيّر بعد تنبّهه بضلاله و تحيّره الى الطّريق، و بعد الوصول الى الطّريق موجبة لنزول الرّحمة آناً فآناً عليه.

و لمّا كان القرآن صورة للكلّ صحّ جعل الاوصاف كلّها او صافاً له فصحّ التّفسير بالقرآن، كما صحّ جعل الاوصاف لموصوفاتٍ متعدّدةٍ كما ذكرنا و التّفسير بها (قُلْ) تبجّحاً و سروراً (بِفَضْلِ اللّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ) قد مرّ مراراً انّ فضل اللّه هو الرّسالة و النّبوّة اللّتان هما صورة الولاية و الرّحمة هى الولاية.

و لمّا كان النّبوّة و الولاية من شؤن النّبىّ صلّی الله علیه و آله و الولىّ علیه السلام و متّحدتان معهما صحّ تفسيرهما بمحمّد صلّی الله علیه و آله و علىّ علیه السلام (فَبِذٰلِكَ) الفاء للعطف و اسم

الاشارة اشارة الى المذكور من الفضل و الرّحمة و لمّا كان التّبجّح مقتضيا لتطويل ما يتبجّح به و تكريره و المبالغة فيه اتى بالفاء العاطفة لما بعدها على مغاير الدّالة على تعقيب مابعدها لماقبلها بين المتّحدين اشارة الى انّ مابعدها و ان كان متّحداً مع ما قبلها لكنّه مغاير له باعتبار المبالغة و الاشتداد فى الدّاعى للكلام.

و هو التّبجّح او الغرض المسوق له الكلام و هو ايضاً فرح المبشّرين فكأنّه عطف مغايراً بالذّات و لذلك الاقتضاء كرّر الجارّ.

(فَلْيَفْرَحُوا) هذه الفاء امّا زائدة او بتوهّم امّا او بتقديره او عاطفة على محذوف مفسّر بمابعدها و هو ابلغ كلام فى الدّلالة على اشتداد تبجّح المتكلّم و على المبالغة فى المقصود (هُوَ) اى المذكور من الفضل و الرّحمة و اتى باسم الاشارة و الضّمير مفردين للاشارة الى اتّحادهما حقيقة (خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) من صورة القرآن فانّها ممّا يجمعونه بايديهم ثمّ يقولون هو من عنداللّه و ما هو من عنداللّه لجمعهم ايّاها و تصرّفهم فيها بآرائهم الفاسدة بخلاف الفضل و الرّحمة فانّهما لا قدرة لهم على التّصرّف فيهما لانّهما ممّا لا يمسّه الّاالمطّهرون او ممّا يجمعون من حطام الدّنيا.

(قُلْ اَرَاَيْتُمْ مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ) ما استفهاميّة للتّعجيب اشارة الى شرافته و عظمته فى نفسه و من حيث انتسابه الى اللّه و الى كثرته و توطئة لذمّ التّصرّف فيه بالاهواء و حينئذٍ فأَرَأيتم استفهام و استخبار مستعمل بمعنى اخبرونى كسابقه او هو بمعنى اَعلِمتم و الاستفهام للتّعجيب او للانكار او للتّقرير.

و قوله اللّه اذن لكم يكون مستأنفاً او لفظة ما شرطيّة و قوله: فجعلتم

جزاءه بتقدیر قد علی القول بلزوم قد فی الجزاء اذا کان ماضیاً لفظاً و معنیً و لذا دخل الفاء و أرأیتم حینئذٍ بمعنی اخبرونی او للتّعجیب او للانکار التّوبیخیّ، و علی التّقادیر فالفعل معلّق عن جملة ما انزل اللّه او لفظة ما موصولة مفعولاً اوّلاً لرأیتم و المفعول الثّانی محذوف ای کذلك او اللّه اذن لکم و الفعل معلّق عنه و لفظة قل تأکید للفظ قل الاوّل.

و المراد بانزال الرّزق فی الرّزق الصّوریّ النّباتیّ انزال اسبابه و فی الرّزق المعنویّ الانسانیّ انزال حقیقته، فانّ رزق الانسان و هو العلوم و الاخلاق الحسنة تنزل بحقائقها من سماوات الارواح و لفظ لکم للاشعار بانّ الغرض انتفاعکم و من الانتفاع یستنبط حلّیّة.

(فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرٰاماً وَ حَلاٰلاً) بما اسّستم بجعلکم من حرمة بعض الانعام مطلقاً و حرمة بعضها علی بعضٍ من افراد الانسان و حرمة شیءٍ من الحرث و غیر ذلك و بما تقوّلتم من عند انفسکم من حرمة علم انتم جاهلوه لکونکم اعداءً لما تجهلون،کتحریم بعض المتشبّهین بالفقهاء و منعه عن مثل علم الکلام و الهیئة، و کمنع المتفلسفة عن الحکمة الحقیقیّة و العلوم الشّرعیّة ما سوی اصطلاحاتهم و اقیستهم المأخوذة من اسلافهم، و کتحریم المتصوّفه ما سوی مأخوذاتهم من اقرانهم، و امّا العالم الحقیقیّ فانّه لجامعیّته لا یقول بحرمة شیءٍ من ذلك بل یقول بحلّیّة الجمیع بشرط کون الأخذ علی اتّباعٍ و تقلیدٍ من الانبیاء علیهم السلام و اوصیائهم و نوّابهم و کان الأخذ باذنٍ منهم.

فیقول: جملة العلوم اذا اخذت من أهلها و علی وجهها فهی محلّلة و اذا لم تؤخذ من اهلها او لا علی وجهها فهی محرّمة، و یقول الحلال ما احلّه اللّه و الحرام ما حرّمه اللّه و المبیّن هو النّبیّ صلی الله علیه و آله او من کان بلا واسطةٍ او بواسطةٍ،

فانّ الاذن و الاجازة كما يصحّح العمل يصحّح العلم و يجعل الظّنّ قائماً مقام العلم بل اشرف منه كما مضى، و لذلك قال تعالى.

(قُلْ اللّٰهُ اَذِنَ) بلا واسطةٍ او بواسطةٍ (لَكُمْ) فى التّحليل و التّحريم باىّ نحوٍ شئتم او فى خصوص تحليل اشياء خاصّة و تحريم اشياء خاصّة و الاذن اعمّ من ان يكون بتكليم اللّه بلا واسطةٍ او بواسطةِ الملك وحياً او تحديثاً او بواسطة خلفائه البشريّة.

(اَمْ عَلَى اللّٰهِ تَفْتَرُونَ) فى ادّعاء الاذن او فى نسبة التّحليل و التّحريم الى اللّه، و لمّا كان الحلال ما احلّه اللّه و الحرام ما حرّمه اللّه لا غير فمن قال بالتّحليل و التّحريم باذن اللّه فحلاله حلال اللّه و حرامه حرام اللّه، و من لم يقل باذن اللّه فتحليله و تحريمه افتراء على اللّه سواء ادّعى الاذن فى ذلك و قال برأيه او ادّعى نسبة ذلك الى اللّه و ادّعى أنّه مبيّن لحكم اللّه او لم يدّع شيئاً من ذلک.

لانّه قال فيما هو مختصّ باللّه و القول فيما هو مختصّ باللّه لا يكون الّا من ادّعاء الاذن فيه او ادّعاء نسبته اليه تعالى و انّه مبيّنه فالمنفصلة حقيقيّة، فاذا كان عدم الاذن معلوماً فالافتراء محقّق و لذا عقّبه بتهديد المفترين، فمن ادّعى تبليغ الاحكام القالبيّة كما هو شأن علماء الشّريعة رضوان اللّه عليهم او تبليغ الاحكام القلبيّة كما هو شأن علماء الطّريقة رضوان اللّه عليهم و لم يكن مأذوناً من اللّه بواسطة خلفائه كان مفترياً و مصداقاً لقوله تعالى: و لو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثمّ لقطعنا منه الوتين.

و لذا كانت سلسلة الاجازة منضبطة متّصلة من لدن آدم عليه السلام الى الخاتم صلى الله عليه و آله و بعده الى زماننا هذا بين الفقهاء رضوان اللّه عليهم و مشايخ

الصّوفيّة.

(وَ مٰا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ) ظرف مستقرّ حال من لفظة ما فانّه مفعول للظّنّ معنىً و فى معنى الحدث، و امّا تعلّقه يفيد خلاف المقصود لانّ المقصود تهديدهم على اعتقادهم الحاصل المستتبع لاعمال منافية لاعتقاد الجزاء يوم القيامة، و تعلّقه بيفترون ايضاً مفسدللمعنى و المعنى، ايّ جزاءٍ مظنون الذّين يفترون على اللّه حالكونه ثابتاً يوم القيامة؟ او ظرف لغو بتقدير فى او اللّام و متعلّق بالظّنّ او بيفترون و المعنى، ايّ شىءٍ ظنّ الذّين يفترون فى حقّ يوم القيامة او ليوم القيامة؟ و قرء ظنّ بلفظ الماضى و هذه الكلمة فى المبالغة و التّشديد فى التّهديد صارت كالمثل فى العرب و العجم.

و لمّا بالغ فى التّهديد فى المتصرّفين بآرائهم فى احكام اللّه و قل من ينفكّ عن التّصرّف فى احكام اللّه قالاً او حالاً فى الصّغير او فى الكبير و صار المقام قريباً من مقام اليأس و المطلوب مزج الخوف مع الرّجاء حتّى لا يترك العاصى الاستغفار و لا يغترّ الرّاجى.

فرض سؤالاً عن فضله تعالى و رحمته فأجاب بقوله (اِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّٰاسِ وَ لٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لاٰ يَشْكُرُونَ) ما يتفضّل به عليهم و بعضهم يكفرون و الاقلّ منهم يشكرون (وَ مٰا تَكُونُ فِى شَأْنٍ) الشّأن عبارة عن مراتب الانسان و مقاماته الحاصلة فى الكامل و المكمونة فى النّاقص و الاحوال الطّارية له بحسب مقاماته (وَ مٰا تَتْلُوا مِنْهُ) من الكتاب او من الشّأن او من اللّه (مِنْ قُرآنٍ) تخصيص الخطاب فى هاتين الفقرتين به ﷺ لاختصاص تلاوة القرآن من اللّه او من الشّأن و اختصاص

ابتداء التّلاوة من الکتاب و اختصاص الاستشعار بالشّؤن و المراتب به بخلاف العمل.

(وَ لاٰ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ) تشریک للخطاب او صرف للخطاب عنه ﷺ الیهم لانّ شهود اعماله الجلیّة مستفاد من شهود شؤنه الخفیّة (اِلاّٰ کُنّٰا عَلَیْکُمْ شُهُوداً اِذْ تُفِیضُونَ) تخوضون (فِیهِ وَ مٰا یَعْزُبُ) و ما یفقد (عَنْ رَبِّکَ) عن تصرّفه او عن علمه او عن ذاته (مِنْ) ذات (مِثْقٰالِ ذَرَّةٍ) علی الاوّلین او من عالم مثقال ذرّة علی الاخیر.

و الذّرّة النّملة الصّغیرة و مائة منها زنة حبّة من الشّعیر (فِی الْاَرْضِ) تقدیم الارض لکونها اهمّ فی مقام بیان سعة علمه لانّ الارض ابعد الاشیاء منه و ما فیها اخفی الاشیاء لانّ کلّاً منها فی الغیبة بالنّسبة الی غیره بخلاف السّماء و السّماویّات سواء ارید بها عالم الطّبع او سماوات الارواح.

(وَ لاٰ فِی السَّمٰاءِ وَ لاٰ اَصْغَرَ مِنْ ذٰلِکَ وَ لاٰ اَکْبَرَ) لمّا کان المقام للمبالغة فی سعة علمه کان التّأکید و التّکریر مطلوباً و لذا اکّد مثقال ذرّة فانّه صار کالمثل اذا وقع بعد النّفی فی المبالغة فی الشّمول و لا اصغر مع ما بعده جملة معطوفة علی جملة ما یعزب و لا لنفی الجنس مرکّبة مع اسمها و (اِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ) خبرها و من قرأ بالرّفع فلا عاملة عمل لیس او ملغاة عن العمل بالتّکریر.

و یحتمل العطف علی لفظ مثقال علی قراءة الفتح و علی محلّة علی قراءة الرّفع و حینئذٍ یکون الاستثناء منقطعاً.

(اَلاٰ اِنَّ اَوْلِیٰاءَ اللّٰهِ) جواب لما ان یسأل عنه من انّه هل یبقی احد بلا خطر (لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ) قد مضی بیان الخوف و

الحزن و وجه انتفائهما عن الاولياء و وجه اختلاف المتعاطفين فى طريق التّأدية.

(اَلَّذِينَ اٰمَنُوا)بالبيعة الخاصّة و قبول الدّعوة الباطنة و الدّخول فى امر الائمّة و دخول الايمان فى قلوبهم لا من قبل الدّعوة الظّاهرة و بايع بالبيعة العامّة النّبويّة و دخل فى الاسلام من دون الدّخول فى الايمان.

(وَكَانُوا يَتَّقُونَ) غيّر الاسلوب للاشارة الى انّ الايمان امر يحصل بمحض البيعة الولويّة و امّا التّقوى الخاصّة فهى لا بدّ منها الى تمام مراتب الفناء و الحشر الى الرّحمن بحيث تصير للمؤمن كالسّجيّة و الموصول امّا صفة بيانيّة لاولياء اللّه و لذا اخّره عن الخبر او خبر لمبتدءٍ محذوفٍ او منصوب بفعلٍ محذوفٍ او مبتدء خبره (لَهُمُ الْبُشْرىٰ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَ فِى الْآخِرَةِ) اعلم، انّ الولىّ يطلق على معانٍ منها المحبّ و الصّديق و القريب بمعنى ذى القرابة و القريب ضدّ البعيد و منها النّصير و الولىّ فى التّصرّف بمعنى الاولى بالتّصرّف و السّلطان و المالک، و ولىّ اللّه قد يطلق و يراد به من قبل الدّعوة الباطنة و دخل الايمان فى قلبه بالبيعة الخاصّة الولويّة باعتبار الصّنف الاوّل من معانيه، و قد يطلق و يراد به الولىّ من اللّه باعتبار الصّنف الثّانى من معانيه و الاولياء بالاطلاق الثّانى هم الانبياء و اوصياؤهم الكاملون المكمّلون، و بالاطلاق الاوّل شيعتهم و اتباعهم الّذين قبلوا ولايتهم.

و لهم مراتب من اوّل دخولهم فى الايمان و تدرّجهم فى مدارج التّقوى و الايقان الى ان انتهوا فى التّقوى الى فنائهم من ذواتهم بحيث تحقّقوا فى المحبّة و كانوا لا فرق بينهم و بين حبيبهم و كلّما ازداد مراتب تقواهم و محبّتهم كان اطلاق الاولياء عليهم اولى.

و لذلك اختلف الاخبار فى تفسير اولياء اللّه و كذا فى تفسير بشريهم فى الدّنيا بانّها الرّؤيا الحسنة الّتى يراها المؤمن او يراها غيره له و بأنّها تحديث الملائكة مطلقاً او تبشيرهم عند الموت او تبشير محمّد ﷺ و علىّ عليه السلام لهم عند الموت (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ) تأكيد لتحقّق البشرى لهم (ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) اى كونهم مبشّرين مع عدم تبدّله (وَ لَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ) فيك و فى اتباعك و هو عطف على مقدّرٍ تقديره اذا كان الاولياء عليه السلام يعنى انت و اتباعك حالهم هكذا فلا تبال بالمكذّبين و لا يحزنك قولهم.

(اِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً) تعليل للنّهى (هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) جواب سؤال كأنّه قيل: هل يسمع اقوالهم و يعلم احوالهم؟

فأجاب بالحصر (اَلَا اِنَّ لِلّهِ مَنْ فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِى الْاَرْضِ) تأكيد لعزّته و لذا لم يأت بالعاطف و اكّده و تمهيد بمنزلة التّعليل لقوله.

(وَ مٰا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ شُرَكٰاءَ اِنْ يَتَّبِعُونَ) تأكيد للاوّل على ان يكون ما نافية و قوله (اِلّاَ الظَّنَّ) استثناء من ما يتّبع او قوله ان يتّبعون مستأنف و الاستثناء منه و ما فى ما يتّبع استفهاميّة او موصولة معطوفة على من فى السّماوات او نافية او المفعول محذوف اى ما يتّبعون حجّة و برهاناً.

(وَ اِنْ هُمْ اِلّاَ يَخْرُصُونَ) يكذبون او يقولون بالظّنّ و عليه فالاوّل لبيان انّ فعلهم عن الظّنّ و الثّانى لبيان انّ قولهم عن الظّنّ و قد مضى انّ ادراك النّفس للاشياء يسمّى ظنّاً سواء كان شهوداً او يقيناً او ظنّاً لكون معلومها مغاير

لادراكها كالظّنّ، فانّه مغاير للمظنون على انّها لكونها سفليّة ادراكها للاشياء يكون على غير وجهها و على غير ما هى عليه، فادراكها لها امّا مخالف لما هو واقعها عند النّفوس فهو خرص و كذب او موافق لما هو واقعها عندها لكن لا على وجهها و على ما هى عليه فهو ظنّ لانّ شأنه ان لا يكون ادراكاً محاطاً للمدرك على ما هو عليه.

(هُوَ الَّذى جَعَلَ لَكُمُ)لانتفاعكم (الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا) عن متاعب النّهار و كدّ طلب المعاش (فيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً) لتطلبوا اسباب معيشتكم و حقّ العبارة ان يقول و النّهار لتطلبوا فيه معايشكم بذكر ما هو غاية له مطابقاً لذكر غاية اللّيل.

لكنّه اكتفى عن ذكر الغاية بذكر سببها افادة لها مع سببها و غيّر الاسلوب اشعاراً بسببيّة النّهار للابصار، لانّه اسنده الى النّهار بطريق المجاز العقلىّ فأفاد الغاية و سببها و سبب سببها باوجز لفظ و هو مبصراً.

و تقديم الليّل مع كون النّهار اشرف من وجوه عديدة لكونه عدميّاً مقدّماً بالطّبع على الوجودىّ الحادث و لكونه بحسب التّأويل مقدّماً بالزّمان و بالطّبع فى سلسلة الصّعود الّتى هى من مراتب وجود الانسان.

و لانّ المقام مقام تعداد النّعم و الاهتمام بالليّل فى عدّة من النّعم اكثر لانّهم يعدّونه زوال النّعمة و بعد ما أسلفنا لك لا يعضل عليك تعميم الليّل و النّهار.

(اِنَّ فى ذٰلِكَ لَآياتٍ) عظيمة حيث انّ مواليد عالم الطّبع موقوفة عليهما و على اختلافهما بالزّيادة و النّقيصة و البرودة و الحرارة و الظّلمة و الاستنارة ففى خلقهما للمتدبّر آيات كثيرة دالّة على كمال قدرة الصّانع و علمه

وحكمته وفضله و رحمته (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) ينقادون فانّه يكفى فى ادراك آياتهما الانقياد للنّبىّ ﷺ او الامام عليه السلام و ان لم يحصل بعد للمنقاد قلب او عقل.

و استعمال السّماع و الاستماع فى الانقياد كثير (قَالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً) بعد ماذكر سعة ملكه و انّ الكلّ مملوكون له و انّ اللّيل و النّهار الذّين هما عمدة اسباب دوران العالم و تعيّش ما فيه مجعولان له غير قديمين.

كما يقوله الدّهريّة و الطّبيعيّة و غير مجعولين لغيره ذكر قولهم النّاشى من غاية حمقهم، من انّ اللّه اتّخذ لنفسه ولداً تسفيها لرأيهم حيث انّ اتّخاذ الولد بنحو التّوالد كما زعموه لا يكون الّا من المحتاج المحاط بالزّمان و المكان و هو تعالى فوقهما و جاعلهما (سُبْحٰانَهُ هُوَ الْغَنِىُّ) تعليل لنفى الولد و لانكار قولهم المستفاد من التّسبيح (لَهُ مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِى الْاَرْضِ) تعليل للغنى.

(اِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ بِهٰذٰا) ما عندكم حجّة مع هذا القول او ملصق بهذا القول بعد ما ردّ قولهم بعدم جواز الولد له سبحانه ردّه بعدم الحجّة لهم اشعاراً بلزوم امرين فى صحّة القول بشىءٍ احدهما امكان ذلك الشّىء فى نفسه و الثّانى وجود حجّة للقائل على قوله و بانتفاء كلّ من الامرين يكون ذلك القول كذباً.

و لذا وبّخهم على محض قولهم من غير علم و حجّة من دون التّعرّض لعدم جواز هذا القول على اللّه بقوله (اَتَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ قُلْ اِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ) قولاً مخالفاً للواقع او قولاً بلا حجّة سواء كان مخالفاً ام موافقاً (لاٰ يُفْلِحُونَ) لانّ الافتراء لا يكون

الّا عن حكومة النّفس و الشّيطان و محكومهما من حيث انّه محكومهما لا سبيل للنّجاة له غاية ما يترتّب على محكوميّته و افترائه انّه يتمتّع فى الدّنيا بمازيّنه النّفس و الشّيطان له و لذلك قال ذلك الافتراء (مَتَاعٌ) اى سبب تمتّع (فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) تمهيد للتّهديد (ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ) تذكيراً و تهديداً لهم و تسلية لنفسك فى تكذيبهم.

(نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي) بمعنى الاقامة او القيام او مكان القيام (وَ تَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ) و المقصود انّه ان كان كبر عليكم كونى فيكم بالدّعوة فتريدون اجلائى او دفعى عن الدّعوة او اهلاكى.

(فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ) اجمعت الامر و عليه و جمعت عليه عزمت كأنّ الامر قبل العزم كان متفرّقاً و بالعزم تجمّعه و قرء فاجمعوا من الثّلاثىّ المجرّد (وَ شُرَكَاءَكُمْ) قرء بالظّمّ عطفاً على ضمير الفاعل و قرئ بالنّصب عطفاً على امركم بلحاظ اصل معنى الجمع او مفعولاً معه او مفعولاً لمحذوف تقديره و ادعوا شركاءكم و تحدّى معهم استظهاراً باللّه و اطميناناً بنصرته.

(ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً) يعنى تدّبروا غاية التّدّبر فى اجماع الامر حتّى لا يبقى ضرّه و نفعه مستوراً عليكم او لا يصير عاقبته و بالاً و غمّاً لكم (ثُمَّ اقْضُوا) اقضوا الامر المعزوم عليه (إِلَيَّ وَ لَا تُنْظِرُونِ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) بتضرّركم بدنياكم (فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ) يعنى ان تولّيتم لكذبى و افترائى فقد تحدّيت فى غاية الاطمينان و الكاذب لا يتحدّى كذلك و

ان تولّيتم لتضرّركم بدنيا كم فما سألتكم من اجرٍ فلا وجه لتولّيكم لا من جهة الدّنيا و لا من جهة الآخرة (اِنْ اَجْرِىَ اِلاَّ عَلَى اللّٰهِ وَ اُمِرْتُ اَنْ اَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) المنقادين لحكمه (فَكَذَّبُوهُ) بعد اتمام الحجّة كما كذّبوه فى اوّل الدّعوة.

(فَنَجَّيْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِى الْفُلْكِ) من اذى قومه او من الغرق (وَ جَعَلْنٰاهُمْ خَلاٰئِفَ) فى الارض لنفسى او للهالكين.

(وَ اَغْرَقْنَا الَّذينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا فَانْظُرْ) حتّى تتسلّى و تطمئنّ بنصرتنا (كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ثُمَّ بَعَثْنٰا) عطف باعتبار المعنى و مفاد المحكىّ كأنّه قال: بعثنا نوحاً الى قومه ثمّ بعثنا (مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً اِلىٰ قَوْمِهِمْ فَجٰاؤُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ)المعجزات الدّالّات على صدقهم او احكام النّبوّة المتعلّقة بالقالب دون القلب فانّها تسمّى بالبيّنات كما انّ احكام القلب تسمّى بالزّبر.

(فَمٰا كٰانُوا)ثابتين (لِيُؤْمِنُوا)يعنى ما كان فى سجيّتهم قوّة الايمان فكيف بفعليّته (بِمٰا كَذَّبُوا بِهِ)بالرّسالة الّتى كذّبوها (مِنْ قَبْلُ) اى من قبل ان يبلغوا او ان الرّشد و جواز وصول دعوة الرّسالة اليهم.

او من قبل هذا العالم فى عالم الذّرّ، او من قبل زمانهم باعتبار تكذيب اسلافهم للرّسل (كَذٰلِكَ) الطّبع الذّى طبعناه على قلوبهم (نَطْبَعُ عَلىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ) تهديد لمكذّبى قومه صلى الله عليه وآله.

(ثُمَّ بَعَثْنٰا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسىٰ وَ هٰارُونَ اِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلاٰئِهِ بِاٰيٰاتِنٰا)التّسع (فَاسْتَكْبَرُوا وَ كٰانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ فَلَمّٰا جٰاءَهُمُ الْحَقُّ) تفصيل لاجمال استكبارهم و لذلك عطف بالفاء (مِنْ عِنْدِنٰا قٰالُوا

اِنَّ هٰذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ قٰالَ مُوسىٰ اَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَكُمْ) انّه سحر بحذف المفعول او اتعيبون الحقّ و الاستفهام للانكار (اَسِحْرٌ هٰذٰا) انكارٌ لكونه سحراً (وَ لاٰ يُفْلِحُ السّٰاحِرُونَ) حال على جواز الواو فى الحال المبدّوة بالمضارع المنفىّ بلا، او بتقدير مبتدءٍ.

(قٰالُوا اَجِئْتَنٰا لِتَلْفِتَنٰا)لتصرفنا (عَمّٰا وَجَدْنٰا عَلَيْهِ اٰبٰائَنٰا وَ تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيٰاءُ فِي الْاَرْضِ) اى السّلطنة فى ارض مصر (وَ مٰا نَحْنُ لَكُمٰا بِمُؤْمِنِينَ) تصريح بما اشعروا به فى ضمن انكار صرفهم و كبريائهما من عدم انقيادهم لهما.

(وَ قٰالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سٰاحِرٍ عَلِيمٍ) ماهرٍ (فَلَمّٰا جٰاءَ السَّحَرَةُ) و امرهم فرعون باتيان السّحر و دبّروا ما دبّروا و تهيّؤا المعارضة موسى عليه السلام.

(قٰالَ لَهُمْ مُوسىٰ)بعد ما خيّروه و اختار موسى تقديمهم (اَلْقُوا مٰا اَنْتُمْ مُلْقُونَ فَلَمّٰا اَلْقَوْا قٰالَ مُوسىٰ مٰا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ) مامبتدأٌ و جئتم به صلته و السّحر خبره، و قرئ السّحر بهمزة الاستفهام و حينئذٍ يكون ما استفهاميّة و جئتم به خبره و السّحر بدله و المعنى على الاوّل ما جئت به آلهيٌّ و ما جئتم به بشريٌّ مبنىّ على الاعمال الدّقيقة الخفيّة او شيطانىّ مبنىّ على تمزيج القوى الارضيّة مع الارواح السّفليّة.

(اِنَّ اللّٰهَ سَيُبْطِلُهُ اِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَ يُحِقُّ اللّٰهُ الْحَقَّ بِكَلِمٰاتِهِ)التّكوينيّة من الآيات و المعجزات و لا سيّما الكلمات التّامّات من الانبياء و الاوصياء.

(وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ فَمٰا اٰمَنَ لِمُوسىٰ اِلاّٰ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ)

اى جمع قليل من شبّان قوم موسى لقلّة مبالاتهم بتهديد فرعون او من قوم فرعون بمقتضى شبابهم حالكون هؤلآء الشّبّان مع جرأتهم و عدم مبالاتهم مشتملين (عَلىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِمْ اَنْ يَفْتِنَهُمْ) يعذّبهم بالبلايا بدل من فرعون و ملائهم او مفعول الخوف اوبتقدير لام التّعليل و جمع الضّمير فى ملائهم امّا لتعظيم فرعون او لانّ المراد من فرعون هو و خواصّه فانّه كثيراً ما يطلق اسم الرّئيس و يراد به الرّئيس و اتباعه.

او باعتبار رجوعه الى الذّريّة سواء فسّر بذّريّة من قوم موسى عليه السلام او من قوم فرعون و على هذا يجوز ان يكون مفعول يفتنهم هو الملأ و على غير هذا الوجه فافراد الضّمير فى يفتنهم للاشعار بانّ الخوف من ملأه كان بسببه و انّ الملأ كانوا لاحكم لهم بالاستقلال.

(وَ اِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى الْاَرْضِ) لقاهر غالب عطف باعتبار المعنى كأنّه قال انّه ليفتنهم و انّه لعالٍ او حال و وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بعلّة العلوّ لانّ اسم فرعون كان من القاب ملك مصر (وَ اِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) اكتفى بالضّمير لانّ الاسراف لا يتوقّف على السّلطنة و المراد الاسراف فى تعذيب قوم موسى عليه السلام. (وَ قَالَ مُوسىٰ) بعد ما رأى تعذيب فرعون لمن آمن به و اضطرابهم من خوفه تسلية لهم و تقوية لقلوبهم بالتّوكّل على القادر القوىّ (يٰا قَوْمِ اِنْ كُنْتُمْ اٰمَنْتُمْ بِاللّٰهِ) اتى باداة الشّكّ اشعاراً بانّ الخوف و الاضطراب يورث الشّكّ فى الايمان او اداة الشّكّ للتّهييج.

(فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا) لانّ الايمان يقتضى معرفته بانّه عليم بصير قادر رحيم بالمؤمنين و ذلك يقتضى التّوكّل (اِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) منقادين جزاؤه محذوف بقرينة السّابق و التّقدير ان كنتم منقادين فان كنتم مؤمنين

بالبيعة العامّة او الخاصّة فعليه توكّلوا يعنى انّ التّوكّل يقتضى امرين الانقياد و الايمان بالبيعة العامّة النّبويّة اوبالبيعة الخاصّة الولويّة.

(فَقٰالُوا) اجابة له (عَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْنٰا)متضرّعين قائلين (رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا فِتْنَةً)سبب فتنة و شقاءٍ (لِلْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ) بان يبلغوا باستعبادنا و تعذيبنا غاية الغرور و الشّقاء يعنى لو اردت بلوغهم غاية الشّقاء فاجعل سببه غير عذابنا، او المراد لا تجعلنا محلّاً لفتنتهم و عذابهم لنا.

(وَ نَجِّنٰا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكٰافِرِينَ) وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بذمّهم بجمعهم بين الكفر و الظّلم.

(وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ مُوسىٰ وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءٰا لِقَوْمِكُمٰا) ان اتّخذا لهم (بِمِصْرَ بُيُوتاً) مبوّءً و مرجعاً يرجعون وقت العبادة اليها (وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ)المبنيّة للعبادة (قِبْلَةً) تتوجّهون اليها وقت العبادة باقامة عبادتكم فيها اوبتوجّهكم وقت عبادتكم نحوها.

(وَ أَقِيمُوا الصَّلٰوةَ) فيها او اليها، و فى الاخبار مايشعر بانّ البيوت المأمور باتّخاذها كانت مساجدهم و كانوا يجتمعون وقت العبادة اليها (وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) باجابة دعوتهم و نجاتهم و وراثتهم لملك مصر فى الدّنيا و الجنّة فى الآخرة.

فى الخبر: انّ رسول اللّه ﷺ خطب النّاس فقال ايّها النّاس انّ اللّه عزّوجلّ امر موسى عليه السلام و هارون عليه السلام ان يبنيا لقومهما بمصر بيوتاً و امرهما ان لا يبيت فى مسجدهما جنب و لا يقرب فيها النّساء الّا هارون و ذرّيّته، و انّ عليّاً عليه السلام منّى بمنزلة هارون من موسى فلا يحلّ لاحدٍ ان يقرب النّساء فى مسجدى و لا يبيت فيه جنباً الّا علىّ عليه السلام و ذرّيّته فمن ساءه ذلك.

فههنا، و ضرب بیده نحو الشّام (وَ قٰالَ مُوسىٰ)متبتّلاً الی اللّه داعیاً علی فرعون و قومه (رَبَّنٰا اِنَّکَ اٰتَیْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلأَهُ زِینَةً) من الحلیّ و الملابس والمساکین و اثاثها و المراکب (وَ اَمْوالاً) من الذّهب و الفضّة و الضّیاع و الخیل و البغال و الغنم و الجمال (فِی الْحَیٰوةِ الدُّنْیٰا رَبَّنٰا) تکرار النّداء لاقتضاء التّضرّع و حالة الدّعاء و المحبّة ذلك (لِیُضِلُّوا)النّاس (عَنْ سَبِیلِکَ) بطموح نظرهم الی الاعراض الفانیة و اتّباع من وجدوها فی یده (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلىٰ اَمْوٰالِهِمْ) حتّی لا یفتتن النّاس بمالهم و الطّمس المحق و الافناء اصلاً (وَ اشْدُدْ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ) اوثق حبال القساوة علی قلوبهم (فَلاٰ یُؤْمِنُوا حَتّٰی یَرَوُا الْعَذٰابَ الْاَلِیمَ) عند الاحتضار و لا یؤمنوا مجزوم بلا او منصوب بان مقدّرة دعاء علیهم بشدّ القلوب و عدم الایمان بعد ما علم انّهم لا خیر فیهم و یئس من ایمانهم.

(قٰالَ قَدْ اُجِیبَتْ دَعْوَتُکُمٰا) ورد انّه کان بین دعائه علیه السلام و وعد اجابته و بین اخذ فرعون و قومه اربعون سنة (فَاسْتَقِیمٰا) فیما انتما علیه من الدّعوة و لا تضطربا بتأخیر الوعد کالجهلة، و الاستقامة فی الامر عبارة عن التّمکّن فیه بحیث لا یخرجه منه مخرج (وَ لاٰ تَتَّبِعٰانِ سَبِیلَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ) سبیل الجهلة من عدم الثّبات علی امرٍ (وَ جٰاوَزْنٰا بِبَنِی اِسْرائِیلَ الْبَحْرَ فَاَتْبَعَهُمْ) اتبع بمعنی تبع او بمعنی جعل غیره تابعاً ای تبعهم او اخرج النّاس فی عقبهم (فِرْعَوْنَ وَ جُنُودُهُ بَغْیاً وَعَدْوَاً) بغی علیه بغیاً عدا و ظلم و عدل عن الحقّ و استطال و کذب، و فی مشیه اختال.

و عدا ضدّ احبّ و عدا علیه ظلمه و الاولی ان یکون الاوّل بمعنی

الاستطالة و الثّاني بمعنى الظّلم و تقدير الكلام اتبعهم فرعون اتباع بغيٍ او بغوا بغياً او باغين و عادين او للبغي و العدو (حَتّٰى اِذٰا اَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قٰالَ اٰمَنْتُ اَنَّهُ) قرئ بفتح الهمزة بتقدير الباء او اللّام و قرئ بكسر الهمزة على الاستيناف.

(لاٰاِلٰهَ اِلاَّ الَّذى اٰمَنَتْ بِهِ بَنُوٓا اِسْرٰآئيلَ وَ اَنَا مِنَ الْمُسْلِمينَ) اطنب فى الكلام حرصاً على القبول و اظهاراً لشدّة الالتجاء حين الاضطرار (آلْاٰنَ) فقيل له: آلآن آمنت و قد اضطررت و القائل كان جبرئيل.

(وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ) حين الاختيار (وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدينَ فَالْيَوْمَ نُنَجّيكَ بِبَدَنِكَ) من الماء لا بروحك من العذاب يعنى نخرجك ببدنك من غير روحٍ على نجوة من الارض ليشاهدوك و يروا ذلك (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ) من القبطىّ الباقى بعدك او السّبطىّ الذّى عظم شأنك فى نظره و شكّ فى انّك عظيم من عظماء الخلق على (اٰيَةً) كذبك و ذلّك و كمال قدرتنا و حكمتنا اذا رأوا انّا اخذناك من حيث لم يكونوا يجتسبون لانّ القبطىّ و بعض السّبطىّ يظنّون انّ له عظماً و شرافةً و انّه لا يفعل به ما ينقص شأنه بل لا يموت.

(وَ اِنَّ كَثيراً مِنَ النّاسِ عَنْ اٰيٰاتِنٰا لَغٰافِلُونَ) اى فانّا مظهرون للآيات و انّ كثيراً فهو عطف على محذوفٍ او عطف بلحاظ المعنى او استيناف شبيهٌ بالعطف.

(وَ لَقَدْ بَوَّأْنٰا بَني اِسْرائيلَ مُبَوَّاَ صِدْقٍ) محلّ صدقٍ او هو مصدر ميمىّ و المراد بمحلّ الصّدق منزل لايتأتّى فيه الّا الصّدق كالقلب و الصّدر المنشرح بالاسلام المتعلّق بالقلب، و محلّ لا ينبغى ان يتأتّى فيه الّا

الصّدق كمحلّ يكون ما يحتاج اليه اهله موجوداً سهل الوصول من غير مزاحمة احدٍ، فلا يكون فيه عداوة و حقد و حسد و تدافع و بخل، و اذا لم يكن فيه هذه لم يكن فيه كذب لا يراث هذه المذكورات الكذبُ اذا لم يكن كذب لم يكن الّا الصّدق.

و المراد بمبّوء الصّدق مصر لوفور النّعمة فيها و عدم المزاحمة بعد هلاك اعدائهم او شام كما قيل (وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ) الطّيّب من ارزاق الابدان ما لا تبعة فيه من الاسقام و ما لا تبعة من الآثام مع كونه ملّذاً للانام، و من ارزاق الانسان العلوم و الاخلاق الّتى تكون مأخوذة من اهلها و معتدلة بين الافراط و التّفريط.

(فَمَا اخْتَلَفُوا حتّٰى جاءَهُمُ الْعِلْمُ) بحقّيّة موسى عليه السلام و دينه بالآيات الظّاهرات كما هو شأن امّة كلّ نبيّ (اِنَّ رَبَّكَ يَقْضي بَيْنَهُمْ) جواب سؤالٍ مقدّرٍ (يَوْمَ الْقِيامَةِ فيما كانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ) برفع اغشية الخيال و ظهور الحقّ و الباطل.

و الآية تعريض بأمّة محمّد صلّى الله عليه و آله فى اختلافهم بعده و حين حيوته بعد ما اظهر و اعلى خلافة عليٍ عليه السلام، و على هذا فربط الآية الآتية بهذه الآية واضح لانّها مفسّرة بولاية علىّ عليه السلام.

(فَاِنْ كُنْتَ فى شَكٍّ مِمّا اَنْزَلْنا اِلَيْكَ) و المراد بما انزل خلافة علىّ عليه السلام او ما اوحى اليه صلّى الله عليه و آله ليلة الاسراء من عظمة مقام علىّ عليه السلام كما فى الخبر و لم يكن له شكّ لكنّه من باب ايّاك اعنى و اسمعى يا جارة او الخطاب عامّ.

(فَسْئَلِ الَّذينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) قد مرّ مراراً انّ الحقّ المضاف هو الولاية المطلقة و

مظهرها علىّ عليه السلام و كلّ حقّ حقّ بحقّيّته.

(فَلاٰ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَ لاٰ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِ اللّٰهِ) و اصل الآيات هى الآية الكبرى الّتى هى ولاية علىّ عليه السلام (فَتَكُونَ مِنَ الْخٰاسِرِينَ) لانفاقك فى ردّ الآيات بضاعتك الّتى آتاك اللّه لتنفقه فى تصديق الآيات.

(اِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) تعليل للسّابق و المعنى لا تكن من الممترين الغير المؤمنين لانّ الّذين حقّت عليهم كلمة ربّك (لاٰ يُؤْمِنُونَ) لا من هو مثلك و اصل الكلمات هى الولاية و هى واحدة كساير صفاته تعالى و افعاله و كلّ الكلمات من العقول و النّفوس و الاشباح النّوريّة و الاشباح الظّلمانيّة و العبارات و النّقوش الكتبيّة اضلال تلك الكلمة تختلف بحسب القوابل ففى قابل تصير رضى و رحمةً رحيميّةً و فى قابل سخطاً و كلّ منهما امّا تحقّ و ترسخ للقابل او عليه و امّا لا تحقّ، و الذّى حقّت له كلمة الرّضا لا ينصرف عن الايمان و الذّى حقّت عليه كلمة السّخط لا ينصرف عن الكفر.

و المعنى لا يؤمنون باللّه او بالولاية او بعظمة شأن علىّ عليه السلام او بالرّسالة او بك (وَ لَوْ جٰاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ) من الآيات المقتضية للايمان (حَتّٰى يَرَوُ الْعَذٰابَ الْاَلِيمَ) عند الاحتضار و لا ينفع حينئذٍ نفساً ايمانها (فَلَوْ لاٰ كٰانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ) جزاء شرط مستفاد من تعقيب عدم الايمان بالعذاب الاليم كأنّه قال اذا كان عدم الايمان مستلزماً لاليم العذاب فلو لا كانت قرية آمنت.

(فَنَفَعَهٰا اِيمٰانُهٰا اِلاّٰ قَوْمَ يُونُسَ) استثناء باعتبار معنى النّفى لا التّفريع (لَمّٰا آمَنُوا) جواب سؤالٍ كأنّه قيل: ما كان حال قوم يونس؟ و ما فعل

بهم؟ او حال من قوم يونس.

(كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ) الخزى الفضيحة فالاضافة بتقدير اللّام او البليّة فالاضافة بيانيّة (فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ اِلىٰ حِينٍ) حين آجالهم المقدّرة و قصّة قوم يونس عليه السلام و انكارهم عليه و دعائه عليهم و مسألته نزول العذاب و عدم اجابة اللّه له و مراجعته فى ذلك مراراً، حتّى اجابه الى ذلك و مشورته بعد ذلك مع تنّوخا العابد و تصديقه و تحريصه له عليه السلام على ذلک، لعدم علمه و مشورته مع روبيل الحكيم و عدم تصديقه له و سؤاله عند المراجعة فى دفع العذاب و ردّ تنّوخا عليه، و فراره من القوم مع تنّوخا و اقامة روبيل فيهم و ترحّمه عليهم و دعائه لهم الى التّوبة و تعليم طريق التّوبة لهم و كشف العذاب و فرار يونس بعد كشف العذاب و ابتلائه ببطن الحوت و عوده الى قومه مذكورة فى المفصّلات.

(وَ لَوْ شَاءَ رَبُّکَ لَاٰمَنَ مَنْ فِي الْاَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً اَفَاَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتّٰى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) مصدّقين لك او للرّسالة او لعلىّ عليه السلام او للولاية او للّه او مؤمنين بالايمان العامّ الحاصل بالبيعة العامّة النّبويّة او بالايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولوية.

يعنى انّ الايمان بأىّ معنى كان لا يمكن اكراه البشر احداً عليه لانّ اكراه البشر لا يتجاوز عن حدّ القالب و الايمان امر قلبىّ، فالاكراه يتحقّق فى انقياد السّلطنة و صورة البيعة العامّة و الدّخول فى احكام الرّسالة يعنى من كان مسخّراً و محيطاً يمكنه اكراه المحاط لكن لا يسمّى ذلك اكراهاً بل تسخيراً، و تقديم المسند اليه لا فادة الحصران اريدانّ مثلك البشرىّ لا يمكنه الاكراه بخلاف الملكوتيّين او لمحض افادة تقوىّ الحكم.

(وَ مٰا كٰانَ لِنَفْسٍ اَنْ تُؤْمِنَ اِلاّٰ بِاِذْنِ اللّٰهِ)الجملة حالیّة او مستأنفة و الاوّل اوفق بترتّب الانکار علی تعلیق الایمان علی المشیّة (وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاٰ يَعْقِلُونَ) حقّ المقابلة ان یقال و لا ان تکفر الّا باذن اللّه لکن لمّا کان الایمان هو الدّخول فی حریم قدسه تعالی کان موقوفاً علی اذنه، و الکفر لمّا کان عدم الدّخول لم یکن موقوفاً علی اذنه بحسب الظّاهر و لمّا کان تبعة الکفر بفعل اللّه جعل الرّجس الذّی هو تبعة الکفر الی نفسه.

(قُلِ انْظُرُوا مٰاذٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْاَرْضِ) من الآیات الدّالّة علی کمال قدرته تعالی وحکمته حتّی توقنوا به و تؤمنوا و الاستفهام للتّعجیب والتّفخیم (وَ مٰا تُغْنِي الْاٰيٰاتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاٰ يُؤْمِنُونَ) امّا من کلام اللّه او محکّی بالقول و علی ایّ تقدیر فمانافیة و الجملة معطوفة علی محذوف مؤلّف معه قیاس من الشّکل الاوّل تقدیره لکنّهم قوم لا یؤمنون و کلّ قوم لا یؤمنون لا تغنی الآیات و النّذر عنهم، و یجوزان یکون الجملة حالیّة عن فاعل قل او عن فاعل انظروا او مفعوله و تکون مشیرة الی القیاس المذکور و یجوزان یکون ما استفهامیّة معطوفة مع ما بعدها علی ماذا فی السّماوات او تکون الجملة حالیّة بتقدیر القول.

(فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ اِلاّٰ مِثْلَ اَيّٰامِ الَّذِينَ خَلَوْا) مضوا (مِنْ قَبْلِهِمْ) جواب شرطٍ محذوفٍ ای ان کانت الآیات لا تغنی عنهم، او عطف علی محذوف ای هل یرجون الّا عقوبة اللّه، او عطف علی ما تغنی الآیات باعتبار انّ معناه ما ینتظرون، او بتقدیر القول ای فیقال لهم هل ینتظرون، او باعتبار کون ما استفهامیّة.

(قُلْ فَانْتَظِرُوا) امر للتّهکّم (اِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِینَ ثُمَّ نُنَجِّی رُسُلَنَا وَ الَّذِینَ اٰمَنُوا) عطف علی محذوفٍ تعلیل للامر بالتّحدیّ معهم تقدیره فانّا ننزّل العذاب علی المکذّبین ثمّ ننجّی رسلنا و الّذین آمنوا.

(کَذٰلِکَ حَقّاً عَلَیْنَا) کذلك متعلّق بالفعل الاتی و حقّاً علینا مفعول مطلق لحقّ محذوفا معترض بینهما (نُنْجِ الْمُؤْمِنِینَ) لمّا کان المقام لتقریع المکذّبین و المقصود بالوعد زیادة حسرتهم و تجرئه نبیّه ﷺ و المؤمنین فی التّحدیّ معهم صار التّأکید و التّکرار مطلوباً و لذلك کرّر الانجاء بالنّسبة الی المؤمنین مؤکّداً بحقّاً.

(قُلْ یَا اَیُّهَا النَّاسُ اِنْ کُنْتُمْ فِی شَکٍّ مِنْ دِینِی فَلاٰ اَعْبُدُ الَّذِینَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ) یعنی بعد مابعثتك بالنّبوّة فاعلن دینك و لا تخف دینك و ان کنت قبل ذلك خائفاً خافیاً (وَ لٰکِنْ اَعْبُدُ اللّٰهَ الَّذِی یَتَوَفّٰیکُمْ)التّعلیق علی التّوفیّ المتعلّق بهم لتهدیدهم (وَ اُمِرْتُ اَنْ اَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ) بکلّ من معانی الایمان (وَ اَنْ اَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ) عطف علی ان اکون و غیّر الاسلوب اشارةً الی انّه مأمور بالثّبات فی الایمان و ادامته و امّا اقامة الوجه للدّین فانّ الثّبات و الدّوام فیه للبشر غیر مقدور لضرورة اشتغاله بالکثرات.

و الاشتغال بالکثرات و ان کان لمن لا یشغله شأنٌ عن شأنٍ غیر مانع من اقامة الوجه للدّین لکنّه للاکثر مانع و لمن لا یشغله شأن عن شأنٍ ایضاً مانع من قوّة الاقامة و کمالها، و ان، فی ان اقم مصدریّة او تفسیریّة و علی المصدریّة فالاتیان بالامر علی حکایة حال الامر و الخطاب (حَنِیفاً) حال عن فاعل اقم او عن الدّین.

(وَ لاٰ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) بجملة انواع الشّرك (وَ لاٰ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لاٰ يَنْفَعُكَ وَ لاٰ يَضُرُّكَ) من الاصنام والكواكب و الاهواء و المهويّات و من نصب دون الامام فانّ شيئاً من هذه لا يقدر على نفعٍ و ضرٍّ الّا باذن اللّه و اذا لم يتصوّر فى المدعوّ نفع و ضرّ كان دعاؤه لغواً و هذا على ايّاك أعنى و اسمعى يا جارة، او صرف الخطاب عنه الى غير معيّن.

(فَإِنْ فَعَلْتَ) الفاء للسببيّة المحضة (فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظّٰالِمِينَ وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ) حال او عطف فيه معنى التّعليل (فَلاٰ كٰاشِفَ لَهُ إِلاّٰ هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاٰ رٰادَّ لِفَضْلِهِ) اختلاف القرينتين للدّلالة على تفاوتهما فى الارادة كأنّ الضّرّ يمسّ الانسان بفعله من غير ارادة اللّه و ان كان الفاعل هو اللّه لانّه غير مراد بالذّات و انّ الخير بارادة اللّه كما قال تعالى مٰا اَصٰابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ وَ مٰا اَصٰابَكَ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسك و وضع فضله موضع ضمير الخير للاشارة الى ما قلنا من انّ الشّرّ غير مراد بالذّات و يلحق بعمله و انّ الخير مراد بالذّات كأنّه يلحق العبد بمحض الفضل من دون استحقاقٍ بالعمل (يُصِيبُ بِهِ) بالخير (مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) عطف على يصيب و المقصود انّه لا يمسّ الضّرّ اكثر المستحقّين لانّه هو الغفور الرّحيم فوضع موضع المعلول.

(قُلْ يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ) قد مرّ مراراً انّ الحقّ هو الولاية و انّ كلّ حقٍّ حقّ بحقيّته و انّ عليّاً هو مظهرها التّامّ، فالمراد جاءكم علىّ عليه السلام باعتبار ولايته او ولاية علىّ عليه السلام او الولاية المطلقة و مظهرها علىّ عليه السلام و يدلّ على هذا.

قوله تعالى (فَمَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّمٰا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) لانّ الاهتداء ليس

الّا الى الولاية فانّ النّبوّة ما به الهداية كما قال اللّه تعالى و لكنّ اللّه يـمنّ عليكم ان هديكم بالاسلام للايمان (وَ مَنْ ضَلَّ فَاِنَّمٰا يَضِلُّ عَلَيْهٰا وَ مٰا اَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) حتّى اجبركم على الولاية و امنعكم عن الضّلالة.

(وَ اتَّبِعْ مٰا يُوحىٰ اِلَيْكَ) جملة ما يوحى اليک و منها الولاية او ما يوحى اليك فى امر الولاية بخصوصه و اتّباع ما يوحى فى امر الولاية امتثال بتبليغها و عدم الخوف من القوم و لذا أمره بالصّبر فقال (وَ اصْبِرْ) على اذاهم و نفاقهم (حَتّٰى يَحْكُمَ اللّٰهُ) بينك و بين من نافق فى امر علىّ عليه السلام (وَ هُوَ خَيْرُ الْحٰاكِمِينَ).